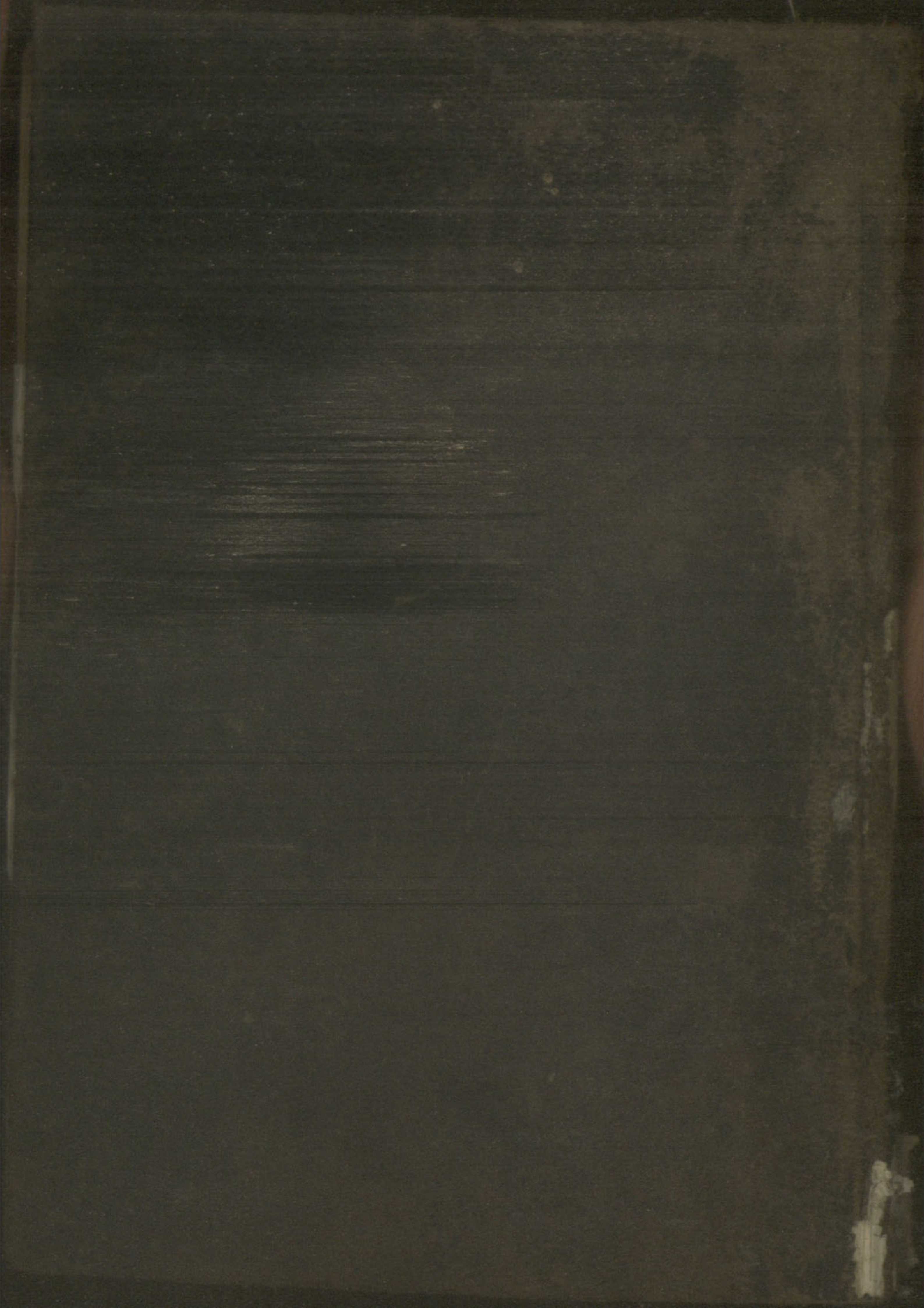
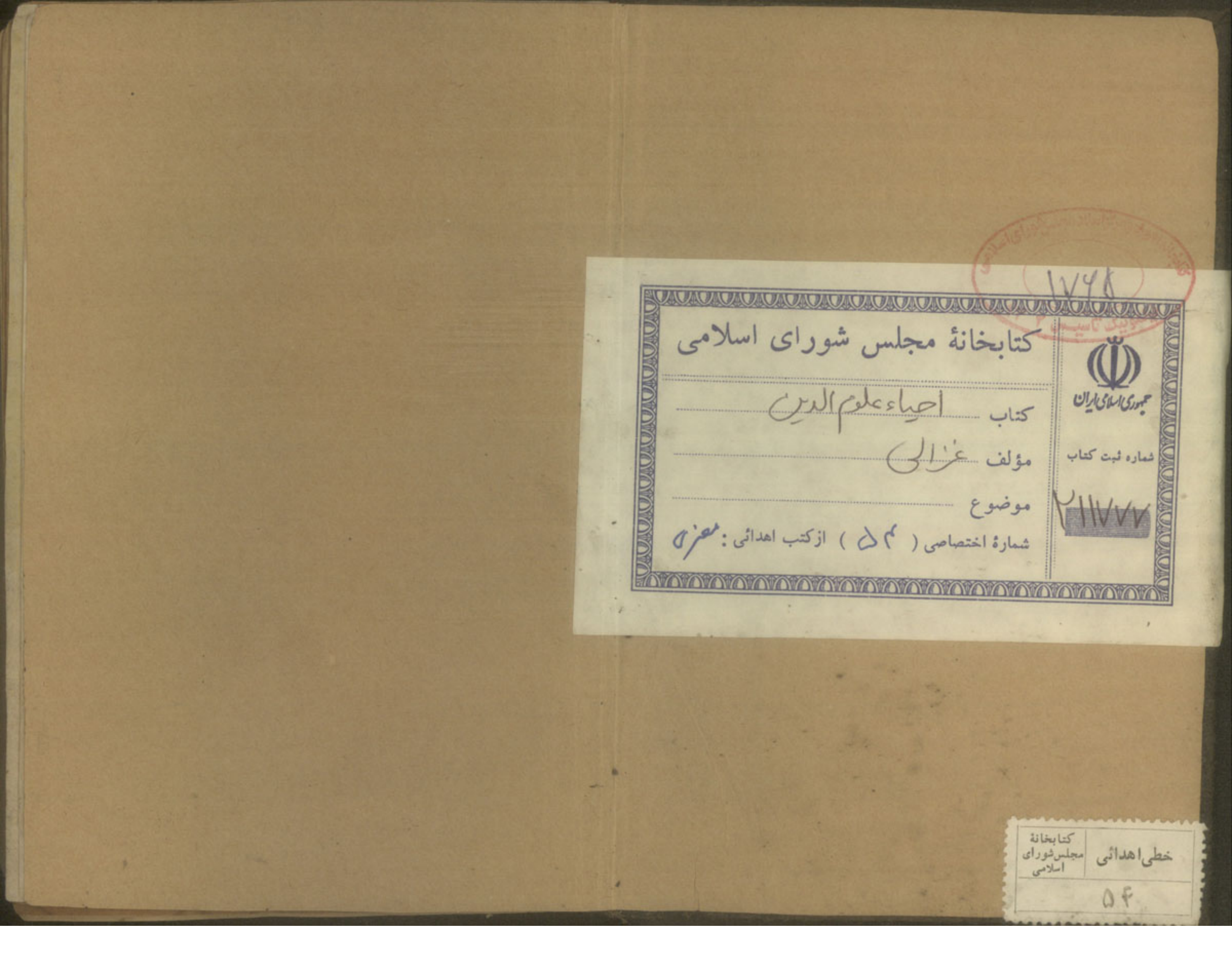



کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران
کتاب احیاء علوم الدین
مؤلف غزالی
موضوع
شماره ثبت کتاب
۲۱۱۷۷۷
شمارهٔ اختصاصی (۵۴) ازکتب اهدائی : معزی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۵۴


کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران
کتاب احیاء علوم الدین
مؤلف غزالی
موضوع
شماره ثبت کتاب
شمارهٔ اختصاصی (۵۴) ازکتب اهدائی : معزی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۵۴


کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
کتاب احیاء علوم الدین
مؤلف غزالی
موضوع
شمارهٔ اختصاصی (۵۴) ازکتب اهدائی : معزی
جمهوری اسلامی ایران
شماره ثبت کتاب
۲۱۱۷۷۷
۱۷۶۸
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی اهدائی
۵۴

هو

۵ هزار

عجائب القلب

٥٤
٣ع

رياضة النفس و تهذيب الاخلاق و علاج امراض القلب

كسر الشهوتين البطن والفرج

آفات اللسان

آفة الغضب والحقد والحسد

ذم الدنيا

حب المال


الثاني من الاحيا
تصنيف الشيخ الإمام
ذم الجاه والرياء
ذم الكبر والعجب
ذم الغرور
التوبة
الصبر والشكر
الخوف والرجا

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب عجائب القلب

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل اذ اكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عنه اكثر الافهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا اللفظ الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان ... وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف ...

...حتى شهرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
[...] اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب
اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة
قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى
الله تعالى فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان فاذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس
الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى
ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس
الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس
بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته
العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات ۝ اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها
في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون
عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة
ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف
والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن
الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث بطوله فاذن قد انكشف لكم ان معاني هذه الاسامي
موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه اربعة معاني يطلق عليها الالفاظ الاربعة
ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة
والالفاظ اربعة فكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد ... اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون
في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح ... طر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري
الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء ... شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن
والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك
اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنه تتعلق به بواسطة
القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر
بالكرسي ... انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به

انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذه
التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنجاوزه ۝

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف
حقيقتها وتفصيل عددها الا هو الله عز وجل فنحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان
جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاتباع والاعوان وهذا
معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة
فان جميعها خادمة للقلب لا تستطيع له خلافا مسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة
القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا
امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير
الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما
يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل
التسخير ولا خبر لها من معرفة نفسها ولا من طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى
المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه
من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من
قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلين
فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ
البدن بان تجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء
الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء ... للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي
هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين ... وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو
اليد والرجل التي بها يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خا... عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء
لا تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ...اك البصر والشم والذوق والسمع واللمس وظاهر وهو
العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه ...كمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في
كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع
كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد ... الدافع وهو المحرك للاعضاء الى تحصيل

هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو
المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس وهي قوة الشم والبصر والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر
عن هذا بالعلم والإدراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والشحم
والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فإن قوة البطش إنما تبطش بالأصابع وقوة البصر إنما تدرك الشيء
بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما
أيد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس
الخمسة أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة
فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء
يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى بعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع
جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر
وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الفكر والحفظ والتذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرجل
فلذلك القوى أيضا جنود باطنة وأماكنها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه
فهم الضعفاء يطول ومقصود هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب
الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم ٥

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة ٥

اعلم
أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر
الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن
سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن
يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فإن ترك الاستعانة
وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فإن عقولهم صارت
مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه
ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة المثال الأول نقول مثل نفس الإنسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل
والي في مدينته ومملكته فإن البدن مملكة النفس وعالمه ومستقره ومدينته وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع
والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام والميرة
إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة
الناصح وتحت نصحه الشر الهائل و[illegible] ديدنه منازعة الوزير الناصح في كل تدبيراته حتى لا يخلو

عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة فكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن إشارة هذا العبد
الخبيث بل مستدلا بإشارته في أن الصواب في نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وأسلسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته
على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا لا آمرا ومدبرا لا مدبرا استقام أمر بلده
وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت
بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط
الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى
فيه أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وكان ممن آثر الحياة الدنيا
فإن الجحيم هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ٥
المثال الثاني أن البدن كالمدينة والعقل أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة
والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في
مملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فإن جاهد عدوه فهزمه وقهره على
ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وإن
ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره وانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن
ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الأصغر
إلى الجهاد الأكبر المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا
وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا
فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ما طلب وإنما خرق
الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن
والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه [illegible]

بيان خاصية قلب الإنسان ٥

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله تعالى به على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به
قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية
والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية
من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأن الفرس الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس
ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأفراس فحكمه على [illegible] [illegible]كه الحس وإذا فهمت هذا في [illegible]

هذا العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق
الصلاح فيه انبعث من ذاته شوقا الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة
الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة
تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف
بعاقبة الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا اختص
قلب الانسان بعلوم وارادة ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد
البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم
فيه درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات
الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم
كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد
الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في
هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق
تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد
يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء عليهم السلم ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ
معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير
اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد الى الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة
والصفة لا بالمكان والجهة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك
المنزل الذي بلغه في سلوكه فعرفه ويعرف ما خلفه من [illegible] لما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به
ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وبالنبي صلى الله عليه وسلم ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي عليه السلم
وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما ينفتح له من الامور الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه
من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته وما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى
غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله كما قال عليه السلم ان لربكم في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا [illegible] القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة

من الاخلاق المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى سماء الدنيا فيقول هل
من داع فاستجيب له وبقوله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا
تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا
كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء
فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة تبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف
انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله وبه كمال الانسانية وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال
والجلال والبدن مركب للنفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان
الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عليه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل
تلك الخاصية فان تعطلت فيه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور
ويفارقهما في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة
من البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته
وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة الله تعالى ومعرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه
وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا
وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام
فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب او حقودا كجمل او
متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد فما من عضو من الاعضاء وحاسة من
الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله
فيه فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السـ[illegible] ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا
منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه ويستقر هو [illegible] المسكر الانساني في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري
القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب [illegible] بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة
التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه
ويجري الحواس الخمسة مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد [illegible] صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان
والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارايح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم
ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد [illegible] الى القوة الحافظة ويعرضها

الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به
ودفع قواطع الطريق فاذا فعل ذلك كان سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة واستعملها الكل في مراعاة اعدائه
وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه
ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعدائه مخذلا لحزب الله تعالى
مستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله منه والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت
على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب
ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ۝ وقال علي كرم الله وجهه
في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها الى الله تعالى ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها
في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن
كعب مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق ۝ وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ
هو قلب المؤمن ۝ وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب ۝

بيان

مجامع اوصاف القلب وامثلته ۝ اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه
اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه
الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه
الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى
قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها
والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم
والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء
بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته
لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط الحيل ووجوه الشر ويتوصل
الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من
هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان
خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه
وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل
بل روح معنى السبعية الضراوة [illegible] الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه

وشرهه والخنزير يدعو بشرهه الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بغضبه الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير
وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان
ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ
بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل
ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه
واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير
وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام
عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او اليقظة لراى
نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته
انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او راى نفسه جاثيا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا
للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه لانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على
استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه
وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ
جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد
سخره لخدمة هؤلاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاث صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب مميتا
له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة
والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور
والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر
وشهوة الظلم وغيره واما طاعة الشيطان بطاعة [illegible] والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة
والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثالها ولو [illegible] الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب
من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق [illegible] الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم
والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من
ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل [illegible] العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى
والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها
الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط [illegible] والعفو والاحتمال والثبات

والبذل والشهامة والوقار وغيرها والقلب بحكم مرآة فقد كشفت هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي
واصله الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانه تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق
وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه اذا اراد الله بعبد خيرا
جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو
الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى
وهو الطبع قال الله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع
على قلوبهم فهم لا يسمعون ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا
ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم
امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار يدخل في اذن ويخرج من الاخرى
ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا
نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقال النبي صلى الله عليه وسلم
قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات القلب
ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص
نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقال النبي صلى الله عليه القلوب اربعة
قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه
فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه مثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلب عليه حكم له بها وفي رواية [illegible] ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا
فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله عز وجل ٥

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة ٥

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني
اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة
بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم
حقيقة ولتلك الحقيقة صورة [illegible] فيه وكما ان المرآة غير وصورة الاشخاص غير

وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ها هنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في
القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة
عن حصول المثال في المرآة كما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد
بحصول السيف في اليد يسمى قبضا وكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة
والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن حصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف موجودا واليد
موجودا ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه
في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق
لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكان لحصول مثال مطابق
لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها
كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصدأه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث
لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة
والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي به شطر الصورة
وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيه حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم
التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه
والثاني لكدورة المعاصي والخبث التي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه
فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل
لم يعد اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا وغايته ان يتبعه بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم
يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان
قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح
بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن الشهوات هو الذي يجلو
القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح
فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية
او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره في التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا
ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا [illegible] اليها او مصالح المعيشة ان

كان منفرداً فيها وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فما ظنك بصرف
الهمة إلى الشهوات الدنيا ولذاتها وعوائقها وعلائقها وكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب فإن المطيع
القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق وقد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه بذلك باعتقاد سبق إليه
منذ الصبي على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن حول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ومنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما
تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين
المتفكرين في ملكوت السماوات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في
قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب فإن طالب العلم
ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً
مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فإن
العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان
ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما
أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى
وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص وكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان بينهما طريق في الازدواج يحصل من
ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب والجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله
ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان مثلاً أن يرى قفاه في المرآة فإنه إن رفع المرآة بإزاء
وجهه لم يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيه القفا وإن رفعه وراء القفا وحاذاه كان قد عدل عن عينه فلا يرى
المرآة ولا صورة القفا فيه فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين
وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى
التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا وكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات
أعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب
المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور وإلا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف
فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السماوات والأرض والجبال
بها صار مطيقاً لحمل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق
لها في الأصل ولكن [illegible] إلى [illegible] فيها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه

كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي حجاب بين القلوب وبين الملكوت وإليه
الإشارة بقول عمر يا رسول الله أين الله في الأرض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لا يسعني أرضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر أنه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما
مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي إذ كان
قد رفع الحجاب ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السماوات والأرض
أما جملتها فأكثر سعة من السماوات والأرض لأن السماوات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع
الأطراف متناهي الجوانب فهو متناهٍ على الجملة وأما عالم الملكوت وهو الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك
البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناهٍ ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة
عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ
ليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو
سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى
وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد
تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإيمان ومن يرد أن يضله الآية وبقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الإيمان
له ثلاث مراتب المرتبة الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض والثاني إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالث
إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث
درجات الأولى أن يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته بالقول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن به
بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود
الله سبحانه وتعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا
عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الإيمان سبب النجاة في
الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ
ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما سمعوا
من آبائهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنه ألقي إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي
إليهم كلمة الحق الرتبة الثانية أن تسمع كلام زيد وصوته [illegible] الدار فتستدل به على كونه في

الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في
الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة
الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت
قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر بباله السامع لانه ليس يجعل للتهمة
موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الثالث ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذا هو المعرفة
الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم
ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه
والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق
والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير المعلوم فهو بان
يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة
القلب بالاضافة الى العلوم ۝

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

۝ اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق
ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى
دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى
ضرورية لا يدري من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشي الواحد
لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبي مفطورا عليها ولا
يدري متى حصلت له ولا من اين حصلت له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه
والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد سمي عقلا قال علي رضي الله عنه العقل
عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع فالاول هو
المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والثاني فهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
لعلي عليه السلم اذا تقرب الناس الى الله تعالى بابواب البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن القرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم
الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي كرم الله وجهه وهو الذي يقدر على القرب باستعمال العقل في اقتناص
العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر
في العين وقوة الابصار [illegible] والبصر وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم

حاشية يجري مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وهي العلوم عين العقل

الحاصل في مدة الصبي الى اوان التمييز او البلوغ تضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات
والقلم الذي به سطر الله تعالى العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح
قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش العلم والقلم خلق من مخلوقات الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب
كما انه جل وعز ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه
الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه
الله تعالى باسمه فقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السماوات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلم حتى يذكر في معرض
الامتنان ولذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في
هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم الحقيقي وذلك يحصل بالتعلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال الصفة اعني صفة القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض والعلوم العقلية
غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى
معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل
فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل والداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل
عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم
الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذا مهما فاته الدوا فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة
من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء عليهم السلم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات
العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة
للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القايل ربما ناقض
عنده بعض العلوم الشرعية فعجز عن الجمع بينهما فظن انه تناقض في الدين فتحير به وظن انه على شي وينسل من الدين انسلال
الشعر من العجين وانما ذلك لعجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فعثر
فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تترك على الطريق لم لا ترد [illegible] مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما
انت لست تهتدي الى الطريق لعماك والعجب منك انك لا تحيل عثرتك الى عماك وانما تحيله على تقصير غيرك وهذه نسبة العلوم
الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر

الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما
علمان متنافيان أعني من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب علي كرم الله وجهه
للدنيا والآخرة ثلثة أمثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ولذلك
ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس
في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من
الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله أي البله في أمور الدنيا وقال الحسن أدركنا أقواما لو رأيتموهم
لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا
يغرنك جحودهم عن قبوله إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة
ولذلك قال الله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين
كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله تعالى لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم
الأنبياء عليهم السلام المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها أما قلوب سائر
الخلق فإنها إذا اشتغلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان

الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية وطريق النظار

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في
القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال
والتعلم والذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الأنبياء
والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله هو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب
مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب
المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة وتجلي
حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال
باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها
بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع
الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي [illegible] أيضا حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب
من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق
الإلهام الاكتساب في [illegible] سببه ولكن يفارقه في زوال جهة الحجاب فإن ذلك ليس باختيار

العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فإن العلوم إنما تحصل في قلوبنا بواسطة
الملائكة وإليه الإشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فإذا
عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون
والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها
والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بأنوار
العلم وإذا تولى الله تعالى أمر القلب فاضت الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت
وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأ فيه حقائق الأمور الإلهية وليس على العبد إلا الاستعداد
بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى
من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في
الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا
أن الطريق في ذلك أولا أن يقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همته عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية
والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على
الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتبة
حديث وغيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله
على الدوام مع حضور القلب إلى أن ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر
عليه إلى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ
وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى
أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل
هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى إلا الانتظار لما [illegible] الله من رحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذا الطريق وعند ذلك
إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم [illegible] شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق
في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وإن ثبت فقد يطول
ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على [illegible] واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى
تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط
وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال
الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا [illegible] شروطه وزعموا أن محو العلائق

الى ذلك الحد متعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه
قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثنا هذه
المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبث
بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان تزول وينقضي العمر قبل النجاح فيه فكم من صوفي سلك هذا الطريق
وبقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق
واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحي
والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهي بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك
الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد اولا من تحصيل
ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

خيال

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس
لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب
ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه
بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل
الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمسة
مثل الانهار فقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن
ان تسد عنه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى
تتفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب
ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء في اللوح المحفوظ مسطورة بل في
قلوب الملائكة المقربين فكما ان المهندس يسطر صورة ابنية [illegible] في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة
فكذلك فاطر السماوات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة العالم
الذي خرج الى الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر الى السماء والارض ثم غض
بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليه ولو انعدم السماء والارض وبقي هو لوجد صورة السماء
والارض في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس
والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه
خارجا من خيال الانسان و[illegible] النسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع

درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده
الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في
القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية وبعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة
الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسماوات والارض على اتساع اكنافها
ثم يسري من وجودها في الحس وجودا في الخيال ثم منه وجودا في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم
يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما باين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى
عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلا بالقلب وعجائبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب
يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها
صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الصافي الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر
الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح المحفوظ
كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من انفجار الماء من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس
لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة
وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس فلا يخفى عليك
واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلم علما يقينا بالتامل في عجائب الرؤيا واطلاع
القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن
انفرد بذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع
الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال الله تعالى في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم
احد اي شيء اريد ان اعطيه ثم قال عز وجل اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل
هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم [illegible] الاولياء والانبياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو ان علومهم تاتي
من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكماء ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب
عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين
مدخل العالمين المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل [illegible] الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس
العلوم واجتلابها الى القلب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط فقد حكي ان اهل الصين
واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش [illegible] على ان يسلم اليهم صفة لينقش

جاهلا بنفسها

العلم

اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا وارخي بينهم حجاب يمنع الاطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل
الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل
الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير
صبغ فقيل لهم وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا جانبهم يتلالا فيه عجايب
الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان جانبهم قد صار كالمراة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن
جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى يتلالا فيه جلية
الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب نقش العلم وتحصيل نقشه كما واليه اشار الحسن
بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلة المقربة له الى الله تعالى اما ما حصله من نقش العلم او ما حصله من
الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم فلا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض
كما انه لا غنا الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعدا بحسب
تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا تسعى
المومنون الى لقا الله تعالى الا بانوارهم قال الله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم
يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفى اخرى
فاذا اضا قدم قدمه فمشى واذا طفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من
يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على
وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص
الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا
يضاهي قول القايل لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره
كنور الشمع ونور الصديقين كنور النجوم والقمر وايمان الانبيا كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة
الافاق مع اتساع اقطاره ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدور
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جا في الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار
من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان
وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو
دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
ليس شي خير من الف مثله الا [illegible] قلب العارف الموقن فانه خير من الف من عوام الناس

قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين تفضيلا للمومنين على المسلمين والمراد به المومن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل
ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات
قال يرفع العالم فوق المومن بسبعماية درجة بين كل درجتين كما بين السما والارض وقال صلى الله عليه اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوي الالباب وقال صلى الله عليه فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على ساير الكواكب
فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن
اذ المحروم من رحمة الله تعالى عظيم الغبن والخسران اذ يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك
عشرة دراهم الى الغني الذي يملك من المشرق الى المغرب فكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من
يخس حظه منه قال الله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان

شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشي اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم
يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب
والحكايات اما الشواهد فقوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة
من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل
حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفقه الله فيما يعمل حتى يستوجب النار قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما
من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل
ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعايه سوال النور فقال اللهم اعطني نورا
وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال صلى الله عليه في شعري وبشري ولحمي ودمي نورا وسيل صلى الله عليه
عن قوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال صلى الله عليه هو التوسعة ان النور
اذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال
علي عليه السلام ما عندنا شي اسره النبي صلى الله عليه الينا الا ان يوتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم
وقيل في تفسير قوله عز وجل يوتي الحكمة من يشا انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال عز وجل ففهمناها سليمان خص ما انكشف له
[illegible] كان يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم
[illegible] فانه [illegible] وقال صلى الله عليه [illegible] بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى

ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان
فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه الله في قلوب
احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ
ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له
في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف
وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السماوات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما
حفظه صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء من غير حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني
واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك
علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد
فيه من الاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر فظهر ذلك على
الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها انما هما اخواك واختاك وكانت زوجته حاملا
فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له
ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال
دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت لقيت امراة فنظرت اليها شزرا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال
يدخل علي احدكم واثر الزنا ظاهر في عينيه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة قال ابو سعيد دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه
خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني فقال ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت
الله سبحانه في سري فناداني فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داود دخل
ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين
ياكل هذا الرجل فقال لي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت
على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال
بلى انك بخيل فقلت ما فتح لي اليوم بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم
ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وخرجت فاذا بفقير [illegible]
[illegible] حلق راسه فتقدمت اليه و[illegible]

اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه
وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر
فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله عز وجل فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق
الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير
وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب
هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب
القلب بين اللمتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وجل الله سبحانه وتعالى
ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم ينقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير
فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى انما يفعل ما
يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا
والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح
احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر
تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد
الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب
عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب
ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم الا وله شيطان قالوا وانت يا
رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة
الشهوة فمن اعانه على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان
المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس
ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والتطارد بين جندي الملائكة
والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا
واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكوها فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة
ومبدا استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك [illegible] الشيطان وهو الهوى والشهوات
وعمارته [illegible] الله تعالى الذي هو مطرح آثار [illegible] شكوت الى العلاء بن زياد

ما الحيلة في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله ۝ وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان وذكر الله سبحانه هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يصلح الشيء الا بضده وضد وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعاذة به والتبري من الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله عز وجل من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه والتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله التقم قلبه ۝ وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات بالقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه ان الشيطان قعد لابن آدم في طرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه فمن فعل ذلك ومات كان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه [illegible] عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله [illegible] الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي [illegible]

المزين فقال عقد المجلس للفقير بين يديه الا ما اخذ الخبز رميت القشر في دجلة فقلت ما اعمل الخبز الا اذا له الله عز وجل ۝ وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي واعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا عليه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك ۝ وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات قال ابراهيم الرقي قصدته مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرا الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت الى الطهارة فقصدني السبع فعدت اليه فقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد ۝ وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي عليه السلام جاز لغيره اذ النبي عليه السلام عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء عليهم السلام وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سببا اليه فهذا ما ننبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة ۝ قال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسالة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته [illegible] عندي في المسالة علم عندي فيالك

صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فاذا هو يحدثني بما
اجده واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثون وان عمر منهم وفي الاثر يقول الله تعالى
ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه ٥ وقال
ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب
من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمشاهدة والمجاهدة والورع والاعراض عن
شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى امرا الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه تنجلي لهم امور
صادقة ٥ وقال بعض العلما يد الله على افواه الحكما لا ينطقون الا بما هياه الله تعالى لهم من الحق ٥ وقال الاخر لو شئت
لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره ٥

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ٥

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليها
الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو مثال مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور
المختلفة فتترايا فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال الحوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه
وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة
والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت
الشهوة مثلا بسبب الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في
النفس تبقى وينتقل الخيال من شي الى شي وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر
دايما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به
ادراكات وعلوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها
والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضا والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى
الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين
فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث
لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله عز وجل في ترتيب المسببات على
الاسباب مهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك
لانوار القلوب وظلماتها سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به
يتهيا القلب لقبول الهام الملك [illegible] الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة [illegible]

بعصيانه وشماتته به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان وقد انتفع بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة
والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه جسم لطيف او ليس بجسم وان
كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخل
في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر
الباعثة على الشرور قد علم ودل ذلك على انه من سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو
فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال
الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسوال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان
يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة
الملايكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم
ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في
انه الهام والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في
معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعايهم الى الشر الصريح
فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد
اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله عز وجل تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير
ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الله سبحانه
الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطايف الحيل ودقايق الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم
ويتصنع وتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر
ذلك وهو في اثنايه يوكد فيه شوايب الريا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق
بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك
بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله تعالى ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلم فقال قل لا اله الا الله
فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وفيه يهلك العلما
والعباد والزهاد والفقرا والاغنيا واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي
المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان

المخصوص بتسميته بتلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها
كل ذلك اذعانا لتلبيسات ابليس ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له انه لمة الملك او لمة الشيطان وان
يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال
فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو
لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض
انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا
بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس
الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم وسد
باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الظاهر ويبقى بعد ذلك مداخل باطنة من التخيلات
الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن
ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم
قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في
بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها
كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن
يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر ۞ وقال ابن مسعود شيطان
المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور قلت ولم
ذلك قال تذيبني بكتاب الله ۞ فاهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني
الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون
اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب
الملائكة واحد وقد التبس هذا الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي بقي في بادية كثيرة الطرق
غامضة المسالك في ليلة مظلمة لا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب
المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله فيهما يهتدي الى
غوامض طرقه والا فطرقه [illegible] الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوما خطا فقال هذا سبيل الله عز وجل ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله فقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها
شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة
طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي
الظاهرة ولنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتوا الراهب بها
فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها وكانت عنده يعالجها فاتاه الشيطان فوسوس له وزين له مقاربتها فواقعها فحملت
منه فوسوس اليه الان تفتضح فاقتلها فان اتاك اهلها فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس لهم والقى
في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها
وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له فهو الذي قال الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر الآية فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة
وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج
الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ۞

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب ۞

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر
على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حفظ الحصن وحراسة ابوابه من
العدو من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب
الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبا وابوابه صفات
العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه
العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور
البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصته فيحسن عند الحريص كل ما يوصله
الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما
امر فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح عليه السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم
معي وابدانهم معك فقال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وسأحدثك منهن
بثلاث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام انه لا حاجة بك الى الثلاث مره فليحدثك بالثنتين فقال له ما الثنتان
فقال هما اللتان لا تكذبانني هما اللتان بهما اهلك الناس الحرص و[illegible] رجيما والحرص ابيح لآدم الجنة

كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ٥ ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم
جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة وقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلم فقال يا
موسى انت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت واريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب
علي فقال موسى عليه السلم نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى عليه السلم ابليس وقال قد امرت
ان تسجد لقبر ادم عليه السلم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان
لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك
واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى
يولي واياك ان تجالس امراة ليست ذات محرم لك فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب
والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجوده لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله ٥ وقال
بعض الانبيا لابليس باي شي تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى ٥ وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق
بني ادم اعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ٥ وقيل ان الشيطان يقول كيف
يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ٥ ومن ابوابه حب التزين في الثياب
والاثاث والدار فان الشيطان اذا راي ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها
وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن
معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يوديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع
الهوى ومن ذلك يخشى سو العاقبة بالكفر نعوذ بالله تعالى منه ٥ ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان
حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان وروي ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلم فراى عليه
معاليق من كل شي فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن بني ادم قال فهل لي فيها
شي قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام
ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ٥ ومن ابوابه الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل
الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال
يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل على مدخل الوصول الى ذلك واقل احواله الثنا عليه بما ليس فيه والمداهنة
معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥ وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال
يا ابن حنظلة احفظ عني شيا اعلمكه قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت
[illegible] تكون اذا غضبت ٥ ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور
يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله تعالى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله تعالى وقال الله تعالى خلق الانسان عجولا وقال تعالى ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل وتمهل
والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه السلم اتت
الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رووسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي
الارض فلم يجد شيا ثم وجد عيسى عليه السلم قد ولد واذا الملايكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد
البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن
ايتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة ٥ ومن ابوابه الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب
والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهي مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة
دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل واحدة الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة
اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالان لما وجد مائة ظن انه صار غنيا بها وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا
يعمرها وليشتري جارية وليشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شي من ذلك يستدعي شيا اخر يليق به وذلك
لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم فلا اخر لها سواه ٥ قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس
لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاوه فقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجا فقال
قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل شياطينه فيرجعون خايبين فقالوا ما صحبنا قوما قط مثل هولا نصيب منهم
ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم ٥ وروي
ان عيسى عليه السلم توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه عيسى ورماه من تحت راسه وقال هذا لك مع الدنيا
وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القايم بالليل مثلا
للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر
له ذلك ولا تتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف من يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط
لعبادة الله تعالى ٥ ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى
الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للكانزين كما نطق به القران ٥ قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما
غلبني ابن ادم على ثلاث ان امره ان ياخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح
مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن افات البخل الحرص
على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان ابليس لما نزل الى الارض قال [illegible]

قال الابواق وجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر
قال اجعل لي موذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال
الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء ○ ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والهوى والحقد على الخصوم
والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال
بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان
يوافق الطبيعة غلبت حلاوته على قلبه واشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع
في اتباع الهوى والشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول
والكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر لكان اول عدو له اذ موالي ابي بكر من اخذ سبيله وسار
بسيرته وحفظ ما بين فكيه وكان من سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه من الكلام فيما لا يعنيه فاني لهذا الفضولي ان يدعي
ولاه وحبه وترى فضوليا يتعصب لعلي عليه السلام وكان من زهد علي عليه السلام وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا
اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا للثياب الحرير ومتجملا باثواب واموال اكتسبها من
حرام وهو يتعاطى حب علي عليه السلام ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان
وهو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف
يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وساير الصحابة عليهم السلم من الاهل والولد بل من نفوسهم
والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقراض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عليه لعنة الله تعالى
وعدو الله وليه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند اولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هولاء
ما احبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان
يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر عليهما السلم فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الاخر انه اذا مات محبا لعلي عليه السلم لم يكن
عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه يقول لولده فاطمة [illegible] اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا امثال
اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة ومالك واحمد وغيرهم فكل من ادعى مذهب امام وهو
اوردناه
ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان
لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم
ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان اهلك به عامة العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من
[illegible] ارغبهم واشد على الاستيلاء حرصهم ولم يتمكنوا [illegible] الله عز وجل خوفهم
من لا [illegible] زهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل بابواب [illegible]

الشيطان في تهيئة مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا مهمات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم ○
قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى
منها وهي الاهوا وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون عنها ومن عظيم
حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال ابن مسعود قعد
قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون حديث الدنيا فافسد
بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك
مراد الشيطان منهم ○ ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلوم ولم يتبحروا فيها على الفكر في ذات الله تعالى وصفاته
بذلك
وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا تعالى الله عنه فيصير به كافرا
او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة
عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه واحرصهم على السوال
من العلماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول له من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن
خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله تعالى وبرسوله فان ذلك سيذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر
بعلاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يومنوا ويسلموا او
يشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامي لو زنا او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم
فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب البحر وهو لا يعرف السباحة
ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصى وانما قصدنا بما اوردناه المثال ○ ومن ابوابه سوء الظن
بالمسلمين والله تعالى قال اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على
ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى
نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على
اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه احترز منه روى علي بن حسين ان صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلى
الله عليه كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا
فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي قالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني
خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا
يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم
واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا [illegible] هم وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا ◌ فيجب الاحتراز عن الشرور عن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر
فمهما رايت انسانا يسي الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو
فان المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمومن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان
الى القلب ولو اردت استقصا جميعه لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا
وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا
قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا
في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي نعم اذا قلعت من
القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر
الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون
الذكر حديث النفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا وخص ذلك بالتقوى ومثل الشيطان كمثل كلب جايع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز ولحم ينزجر بان تقول له اخس
بمجرد القول دفعه وان كان بين يديك لحم وهو جايع يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر
عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب ولم تتمكن من سويدايه فيستقر
الشيطان في سويدا القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها
بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وساير الاخبار والايات
الواردة في الذكر قال ابو هريرة التقى شيطان المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المومن
مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المومن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جايعا واذا شرب سمى فاظل
عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيا مما ذكرت
فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه ◌ وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا
بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك
وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شي قدير فتمثل له ابليس في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل
تعرفني قال ومن انت قال اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها احدا ممن ارادها
فاصنع الان ما شيت ◌ وروى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي
فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلم فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما
ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها ومن فتن الليل ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن

فطفيت شعلته وخر على وجهه ◌ وقال الحسن ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا
اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي ◌ وقال صلى الله عليه وسلم اتاني شيطان فنازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته
حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان عليه السلام لاصبح طريحا ◌ وقال النبي صلى الله عليه ما سلك عمر
فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان
يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع ان يشرب دوا قبل الاحتما والمعدة
مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتما وتخلية المعدة فالذكر دوا والتقوى احتما تخلي
القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدوا
في معدة خالية من الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه
فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول
الحديث ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها
علما الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا
كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها
حتى انك لا تذكر ما نسيت من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة
محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك
الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدوا قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان
فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك
كان وهب بن منبه يقول اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له ◌ وقال
بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال
ادعوني استجب لكم فكذلك تذكر الله تعالى ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابراهيم بن ادهم
ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان
خصال عرفتم حق الله تعالى فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تقوموا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه
وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فواطاتموه على المعاصي
وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم ورا
ظهوركم وفرشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المحظورات شيطان واحد
او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كل البقل

نظر

ولا يشتغل عن البقالة ولكن الذي يصح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجندة ولكل نوع من المعاصي
لها شيطان يخصها ويدعو إليها فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه في نور الباب
وسواد الأخبار وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره
فذكر أن أسماءهم ثبر والأعور ومسوط وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور
وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مسوط
فهو صاحب الكذب وأما داسم فيدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب
السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد في ذلك
أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك الملائكة وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر في كثرة
الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل
بالمؤمن مائة وستين ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذبون عن قصعة
العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه وما لو وكل
العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ۝ وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم
ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله إن آدم عليه السلام لما أهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه العداوة
ألا تعينني عليه لا أقوى عليه فقال الله عز وجل لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال رب زدني فقال الله عز وجل أجزي
بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أريد قال رب زدني قال الله عز وجل باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح
قال إبليس رب هذا العبد الذي كرمته علي إن لا تعنّي عليه لا أقوى عليه قال الله تعالى لا يولد له ولد إلا ويولد لك ولد قال
رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال الله تعالى أجلب عليهم بخيلك ورجلك
إلى قوله تعالى غرورا ۝ وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف صنف
حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس
ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها الآية وصنف أجسادهم أجساد
بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ۝ قال وهب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن
زكريا عليه السلام فقال لم لا أنصحك قال لا أريد ذلك قال أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم
أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا
منه ثم نعود كالية فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة
الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر

وهو اختلاف الآثار بدلالة اختلاف الأسباب كما ذكرناه

نعود

منهم على شيء فإن قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض وإذا رأى صورته فهي صورته الحقيقية أو هو مثال له
مثل وإن كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان
بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار
النبوة كما رأى النبي صلى الله عليه جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين وذلك أنه عليه السلام سأله أن يريه نفسه على صورته
فواعده ذلك بحراء فطلع له جبريل عليه السلام فسد الأفق من المشرق إلى المغرب ورآه ليلة أخرى على صورته ليلة المعراج عند
سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه
والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع
كلامه ويقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي
انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما
روي عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل مثل البلور يرى
داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس
ومثل هذا قد يشاهد في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة
مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا بد أن يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت
وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة فإن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن للقلب وجهين
وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي عالم الشهادة لا
يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كلها متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز
أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم التلبيس أما
الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن القلب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم
تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك
في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان
خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم القلب وهكذا جميع أنواع التعبير وهذه أسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق
ذكرها بعلم المعاملة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان منكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق
التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هي مثال المعنى لا عين المعنى
إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنائم ۝

بيان

ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها ولا يؤاخذ به ۝ اعلم أن هذا الأمر

شبه

الملكوت

غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن
عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا وقد أخرجه مسلم والبخاري في
الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم
بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت وفي لفظ آخر إذا تحدث بأن
يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وتعالى إن تبدوا ما
في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء الآية وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسؤولا فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال سبحانه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في
هذه المسألة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول
أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها والثاني هيجان
الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع ويسمى الأول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي
ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات
وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر
والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له
مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت إرادة
مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه
عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد
ثم الهم فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن أمتي ما حدثت
به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث
نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن
من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا خصاء أمتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية
أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني بأن أترك اللحم قال مهلا فإني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمني فهذه
الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن
معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا متردد بين أن يكون اضطرارا

أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل
فإنه يؤاخذ به إلا أنه إن لم يعمل نظر فإن تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه
ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج
إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له
حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه لعذر لا خوفا من
الله كتبت له سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن هو عملها
فاكتبوها بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي وحيث قال لم يعملها أراد به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة وتعذر عليه
بسبب أو بغفلة فكيف تكتب له حسنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم أن من
عزم ليلا على أن يصبح ويقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل
القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا
رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وهذا نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع
أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله سبحانه لا يؤاخذ بالنية والهم وكل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن
يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة وأما فوات المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر
وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل
قوله تعالى قل إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا كلفنا ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم
لعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله تعالى الفرج بقوله لا
يكلف الله نفسا إلا وسعها الآيات فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا
هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام
الثلاثة فلا بد أن يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال
القلب والسمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على
غير محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لأنه مختار وهكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى
بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار إلى القلب وقال الله عز وجل
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى [illegible] وسلم الإثم حواز القلوب

وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بشي بوجه كان مخطيا
صابرا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى بعد ان تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها
زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا ٥

اعلم ان العلما المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في هذه المسالة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى
لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله تعالى خنس والخنوس هو السكوت وكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله
ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول
بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط
غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان
في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت
النقط دواير بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هولاء بان الخنوس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا
وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في
حالة واحدة بعينيه شيين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة
اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا
في هذا ان هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد
من الوسواس فاخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول
للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظم حق
الله تعالى وعظم ثوابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر
العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد
من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك
فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده
فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله
فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله تعالى لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع
من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة ٥ الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة
وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج

يوثر في التحريك وان خنس عن التهييج وان كان معلوما ربما بقي من الخبث ما يحتاج الى المجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة
موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة ٥ الصنف الثالث ان تكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغايبة والتفكر
في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى
يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب ويبعد جدا ان يندفع هذا الجنس
بالكلية بحيث لا يخطر ولكن ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى
المستوعب القلب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة العدو بحيث لا يخطر له غيره وكذلك
المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بالغير حديث محبوبه وان كلمه غيره لم يسمع
ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال والحرص على ذلك
فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه
الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان
في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا بعيدا جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد عن وساوس الشيطان بالخواطر
وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عنه صلى الله عليه وسلم انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى
ذلك الثوب وقال صلى الله عليه وسلم شغلني عن الصلاة وكان في يده صلى الله عليه وسلم خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وكان
ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا
تنقطع وسوسة عرض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان
في صلاته عن الفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك
من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو
محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال الحكيم الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه
من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوءه وصلاته
حتى يخرج عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده
تشتد الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة ٥

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات ٥

اعلم ان القلب بما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب
اليه الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شي يتاثر به اصابه من
جانب اخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل الشيطان به [illegible] وان جنبه شيطان الى شي

وجذبه شيطان آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة
بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم الآية واطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان
يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول صلى الله عليه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال
صلى الله عليه وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه
ازاغه ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة
وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الرياح ظهرا
لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله في تقليبها من حيث لا يهتدي اليه لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون
لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر
عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما
خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله
ويستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه معمورا بانوار العقل فيراه
صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى
الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية
حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا
يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته
من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد
والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب
المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني القلب
المخذول المشحون بالهوى المردي القلب المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين
المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم
العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على
استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته
لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين
والغرور والاماني ويوحي ذلك ... ضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين

لخوف الآخرة فيتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان
اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ
واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة ونشط الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى
فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت
من اتخذ الهه هواه الى آخر الآيتين وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله
بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه
اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة
والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر
عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فيذهب
منه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ فيه انوار البصيرة فينطفئ نور الحياء والمروة
والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان
فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر
الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر فتميل النفس
الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك
وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه اوترى لهم الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا
متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني
كيف لا يحترز من مثل ذلك ولو كان شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل
هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك
ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك
بمعصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك
الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال
يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات
الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا
لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات
الملكية لم يجنح القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه ... الى حزب الله تعالى وظهرت

الطاعة بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين هذين الجندين وهو الغالب اعني
التقلب والانتقال من حزب الى حزب فاما الثبات على الدوام مع حزب الملايكه او حزب الشياطين فنادر
من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزاين الملكوت
وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضا فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار يسرت له
اسباب المعصية وسلط عليه قرنا السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله تعالى رحيم
فلا تبال وان الناس كلهم لا يخافون فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا
غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكون باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه للغرور ويضيقه عن
قبول الحق وكل ذلك بامر الله تعالى وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السما ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي
والمضل يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا واستعملهم بالطاعة وخلق
النار وخلق لها اهلا واستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامات اهل النار واهل الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ولنقتصر على هذا القدر من ذكر عجايب القلب فان استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار
علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقايق الاسباب
وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شا الله تعالى ۞

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره
وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه
وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة على محمد صلى الله عليه
عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله
وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا
بقليله ولا بكثيره اما بعد فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر
الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي
الفاضحة والرذايل الواضحة ... العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين

وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم
الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا
يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطبا بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط
قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو
قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى
التشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هي المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب
من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج
خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها
ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم
بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق
الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان
عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان
الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا تجمع مقاصد الباب

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سو الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه صلى الله عليه
مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران
قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق وجا رجل الى النبي صلى الله عليه من بين يديه فقال
يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله
فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من ورايه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو
ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سو الخلق وقال رجل يا رسول الله اوصني فقال اتق الله حيثما كنت قال زدني
قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل
قال حسن الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امري وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق توذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار
وقال ابو الدردا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخا ولما خلق الله تعالى
الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخا ... فقواه بالبخل وسو الخلق وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخا وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما ○
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم بحسن الخلق وبسط الوجه وقال ايضا سوء الخلق
يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن
الله خلقك فحسن خلقك ○ وعن البرا بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا واحسنهم وجها
وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي ○ وعن عبد الله بن
عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه يكثر الدعا يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق ○ وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه انه قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه حسن خلقه ○ وعن اسامة بن شريك قال
شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن ○ وقال صلى الله عليه
ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ○ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشي من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به
في الناس ○ وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا
انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت ○ وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه يوما اذ قال ان حسن
الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد ○ وقال عليه السلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه السلم اليمن حسن
الخلق وقال عليه السلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ○ وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله
ارايت المراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا
يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة ○ وقال صلى الله عليه ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصايم القايم
بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية اخرى درجة الظمان في الهواجر ○ وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي
عليه السلام فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجا حسن خلقه
فادخله على الله ○ وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف
المنازل وانه لضعيف العبادة ○ وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسا من قريش
يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه
يضحك فقال عمر مم تضحك بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت من هولا اللاتي كن
عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال يا عدوات انفسهن
اتهبنني ولا [illegible] افظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك ○ وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح ○ وقال رسول الله صلى الله عليه ان العبد ليبلغ من سوء خلقه
اسفل درك جهنم ○ **الاثار** قال لقمان لابنه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانا اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال
الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا
وحسن الخلق والسخا قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بري ○ وقال
الحسن من ساء خلقه عذب نفسه ○ وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ
بسوء خلقه اسفل درجة في جهنم وهو عابد ○ وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق ○ وقال وهب بن
منبه مثل السيء الخلق مثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا ○ وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد
سيء الخلق ○ وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكا فقيل له في ذلك فقال ارحم
عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه ○ وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع
والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان ○ وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف
وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال ○ وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها
كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ○ وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه
ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا ○ وقيل لكل بنيان اساس واساس
الاسلام حسن الخلق ○ وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن فلم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه
واقرب الخلق الى الله السالكون اثاره بحسن الخلق ○ **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء**
الخلق ○ اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا
جميع ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل
والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم
ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ○ وقال ايضا هو ارضا الخلق في السرا والضرا ○ وقال شاه الكرماني كف الاذى
واحتمال المون ○ وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا ○ وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ○ وسئل
سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ○ وقال مرة ان لا
تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله عز وجل
وفيما بينك وبين الخلق ○ وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال ○
وقال الحسين بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفا الخلق بعد [illegible] يكون له همه الا عند الله تعالى

فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لحقيقته ثم ليس محيطاً بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من
نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً يقال فلان حسن الخلق والخلق معاً اي حسن الظاهر والباطن
فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح
ونفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما جميلة واما قبيحة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدراً من الجسد
المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق
عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث
تصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلقاً حسناً وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة
التي تصدر خلقاً سيئاً وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما
لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لانه لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا
اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس بها تميل الى احد
الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال
او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى
الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادراً على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة
عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد
النفس الى ان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة
مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان
لا بد من الحسن في جميعها فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب
وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق
بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا صلحت هذه القوة
حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً واما
قوة الغضب فحسنها ان ينضبط انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان
تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهي في ضبط الغضب والشهوة تحت اشارة الشرع والعقل
فمنزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي
تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة

لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في الطلب فانه تارة يكون مروضاً مؤدباً وتارة يكون جموحاً فمن
استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل منه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة
الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن
قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهوراً وان مالت الى
الضعف والنقصان سمي شرهاً وان مالت الى النقصان سمي جموداً والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان
مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند
الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثاً او جربزة ويسمى تفريطها بلهاً والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات
الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع
الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما
في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها
ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بادب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة
كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق
الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها يصدر البله والحمق والجنون والغمارة واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور
مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمراً في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه
الطريق فاسد ولا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون
اصل اختياره واختياره فاسداً واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشجاعة والشهامة وكسر النفس والاحتمال
والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه
الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة
وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة
والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره
والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل
للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الصفات والفضائل الاربعة وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الا[illegible] ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم

اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها فينبغي ان يخرج من بين
العباد والبلاد فانه قريب من الشيطان المبعد اللعين فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب
اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى ذلك واشار الى هذه
الاخلاق في اوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة
والمجاهدة بالمال هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة
الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة
موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه
وبيان اركانه وثمراته وفروعه ۞

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة ۞

اعلم ان من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه
بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه
بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل
لا يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن
يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من
مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فايدة فان المطلوب هو قطع التفات
القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد
من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التاديب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف
للغطا في ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن
داخلا وخارجا وساير اجزا الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا
ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انه
خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليه التربية ولا تصير تفاحا اصلا الا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار
حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه
اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا
الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها [illegible] وبعضها بطية القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة

في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على
التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما تخلق له الغضب وبعد
ذلك تخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا والناس فيه
على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات
ولا يتبع شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله
على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه
انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلا الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة
عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح
ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة
وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابع
ان يكون مع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع
من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العنا رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولاء جاهل فقط والثاني جاهل
وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو ان الادمي ما دام حيا
فلا تنقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة
قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفايدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك
الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما
بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية
بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان
يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع
الغضب والشهوة بالكلية والانبيا لم ينفكوا عنه اذ قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
وكان يتكلم بين يديه بما يكره فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال الله تعالى
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغيظ والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط
لهما والغالب عليهما وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط
الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك [illegible] ذلك ولا شك فيها

والتقتير يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير
وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب اشدا على الكفار رحما بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها
وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب
سليم والبخل من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه فان
الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب ان يصفو
عن الوصفين جميعا فاذا لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الاوسط فان الفاتر
لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الطرفين وكذلك السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور
والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب
على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال راسا ولا يرخص في شي منه لانه لو رخص في ادنى شي اتخذ
ذلك عذرا في استبقا بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته
بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يقصد قطع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع
غرور اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق ٥

بيان

السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة ٥ قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة
الغضب والشهوة كونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق
الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير علم
عالما وبغير مودب مودبا كعيسى بن مريم ويحيى عليهما السلام وكذا سائر الانبيا عليهم السلام ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة
ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود ومخالطة
المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل
النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل
المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير نفسه جوادا وكذا من اراد ان
يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى
ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذه الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه
لذيذا فالسخي هو الذي استلذ بذل [illegible] والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية

في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة ولم تترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال
الجميلة والتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت
العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهي لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن
بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه اعبدوا الله في
الرضا فان لم تستطيعوا ففي الصبر على ما تكرهه خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه
المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل
ولذلك لما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة قال صلى الله عليه طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبيا عليهم
السلم والاوليا الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر
والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما تاكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق
ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شي احب اليه من لقا الله تعالى فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي
يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذي يقربه الى الله سبحانه وتعالى وذلك بان يكون موزونا
بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان
العادة تقتضي في النفس عجايب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك المتنعمين في احزان دايمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح
بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار لان القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو
يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه وصرفه نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس
قايما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السما صعودها بل نرى الفاجر العيار يفتخر
بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك
يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطى غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا
بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واخبث
واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النسا وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه
يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلما وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة
على نمط واحد على الدوام مدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبايح
فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزم المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل
الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام
والشراب وهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات [illegible] على طبعه وانما غذا القلب

المقامر المفلس

الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انحرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كما حل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وما هو سبب حياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في قلبه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انحط من النفس الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك له بالعادة طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة وكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في اليوم الواحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فتفوته فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تأثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة وكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية فكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة على التوالي اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو

استكمل

في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا ازداد النفاق اسود القلب كله فاذا وقد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

بيان

تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ۞ قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى عذاب يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي قوية ام ضعيفة فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص وكما ان الطبيب لو عالج جميع

المرضى بعلاج واحد فيقتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان
ينظر في مرض المريد وفي سنه وحاله ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا
بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية
فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقراين الاحوال الى
باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ
قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه امره بان يخرج الى السوق للكدية والسوال
فان عزة الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر
كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى
قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الما وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ
ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة
والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما
عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها نفسه فهو مشغول بنفسه
ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا وبترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها فينبغي ان تنقل عن الخلق
المذموم الى مذموم آخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالما اذا كان الما لا يزيل الدم وكما يرغب الصبي في
المكتب بالكرة والصولجان ثم ينقل من اللعب بالزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم
ينقل عن الجاه بالترغيب في الآخرة وكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة واحدة فلينقل الى جاه اخف منه وكذلك
ساير الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم يكلفه ان يهيي الاطعمة اللذيذة
ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى يقوي به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى
النكاح وهو عاجز عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا تسكن بذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الما دون الخبز وليلة على الخبز
دون الما ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته ولا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان
راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سو خلق ويامره بخدمة من ساء خلقه وبراعيه
حتى تمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا
من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى يصير الحلم عادة له بحيث ان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه
الجبن وضعف القلب واذا اراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتا عند اضطراب الامواج وعباد
الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتدا ارادته كان يكسل نفسه عن

القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام على الرجل عن طوع ۞ وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع
ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والريا بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب
وليس غرضنا ذكر دوا كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك
مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى ذلك كله في كلمة واحدة فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد يسر الله اسبابها فينبغي ان
يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة
فتفسد به الرياضة بالكلية ۞

بيان علامات امراض القلب وعلامات عودها الى الصحة

اعلم ان
كما ان كل عضو من اعضا البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر
مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب ان يتعذر هو
عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة
سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضا عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب
الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهايم فلم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع او الابصار او غيرها
بل بمعرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم يعرف الله تعالى
فكانه لم يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات
كما قال تعالى قل ان كان آباوكم وابناوكم الى قوله تعالى احب اليكم من الله ورسوله الآية فمن عنده شي احب اليه من الله فقلبه مريض
كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما او سقطت شهوتها عن الخبز والما فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا
يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شا الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك
يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان وجد من نفسه قوة
الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا فان الاطباء هم العلما وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار
الدا عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال
ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراياة فهذه علامات اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة
التي يعالجها فان كان يعالج دا البخل فانه المهلك المبعد عن الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال
الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا دا ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا دا بل المطلوب
الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى

الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فإن كان أسهل عليك وأخف من الذي يضاده فالغالب عليك الخلق الموجب له مثل أن يكون
إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله للمستحق فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فجاهد نفسك بالمواظبة على البذل
فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة
على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا
تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا
يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون
سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير
ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في
زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين
في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا
جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد
الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم إلى الصراط أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة
وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم إذ وجب
قراءة الفاتحة في كل ركعة ورأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة
هود فلم قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض
ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة إلا بالعمل الصالح ولا
تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد
منها على الترتيب ۝

بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه ۝

اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر
الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يقف على عيوب نفسه
فله أربع طرق الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكّمه على نفسه ويتبع إشارته
في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرّفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرّفه طريق
علاجه وهذا قد عزّ في هذا الزمان وجوده ۝ الثاني أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً وينصبه رقيباً على
نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان

وإن كان مثل البرق

يفعل الأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم
عليه قال ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال سمعت أنك جمعت بين أدمين على مائدة وأن لك حلتين
حلة لليل وحلة للنهار فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا
كانت تهمته لنفسه وكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز فقل في
الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض
يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا
أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا للعيوب بتنبيه غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض
الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو
نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإبعاد العقرب وقتلها وإنما نكايتها على البدن
ولا يدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى أن تدوم بعد الموت أبدا ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا
عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه
عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان
فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا
على مساوينا بمنه ولطفه ۝ الطريق الثالث أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا
ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه
عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول
أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم ۝ الطريق الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق
فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة
في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها
عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى
عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته هذا كله حيل من فقد شيخا زكيا عارفا بعيوب
الناس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد
الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده ۝

بيان ۝

شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الط[illegible] بترك الشهوات وأن مادة

أو آلافا من السنين

أمراضها هي اتباع الشهوات ٥ اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب
وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين وإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد
لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق إلى الله تعالى ولم يطلع على سببه و
سره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات وأسرارها فهو من الذين أوتوا العلم درجات وكلا
وعد الله الحسنى والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى قال الله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان
يضله ونفس تنازعه بين أن النفس عدو منازع يجب مجاهدتها وروي أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام يا داود
حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام
طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم
قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا يا رسول الله وما الجهاد الأكبر فقال صلى الله عليه وسلم
جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذا تخاصمك
يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر برحمته وقال الثوري ما عالجت شيئا أشد من نفسي مرة
لي ومرة علي وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في الآخرة مع العباد تجتهدين
كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس أما تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك
وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس بأسياف الجهاد والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة
من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن
قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا
والصبر على الأذى فإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت بحلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف
قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها
في سائر الأيام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان
الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة
دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقيل من
استولت عليه النفس صار أسيرا [illegible] في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد

أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم ٥ وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في
قلبه شجر الندامات ٥ وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة ٥ وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ٥ ويروى
أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعدما ملك خزائن الأرض يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وإن الصبر
والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام قال الله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ٥
وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فقعدت فلم أطق القعود
فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد
قال بلى فسألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل عز وجل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا
خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد وانصرف وما عرفته
قال يزيد الرقاشي إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة ٥ وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى أتكلم قال
إذا اشتهيت الصمت قال فمتى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام ٥ وقال علي كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن
الشهوات في الدنيا ٥ وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله لا
أمنعك إلا من كرامتك علي ٥ فإذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن الطريق إلى سعادة الآخرة لا يتم إلا بنهي النفس عن الهوى
ومخالفة الشهوات والإيمان بهذا واجب وأما علم ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه وحاصل الرياضة
وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن
وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا ولا يتمنى
الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة ولا خلاص عنه إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله عز وجل وحبه
والتفكر فيه والانقطاع إليه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس
فيه أربعة رجل استغرق ذكر الله تعالى قلبه فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي إلى هذه الرتبة
إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله عز وجل ذكر في قلبه إلا من
حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين
فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعا بقدر رسوخ ذكر الله تعالى في قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا
لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده
وإن كان ذكر الدنيا أغلب عليه وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله تعالى
فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا أيضا وسيأتي ذكره في كتاب
ذم الدنيا قال إبراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رما[illegible] واحدة وشققتها فوجدتها

جامضة فغضب وترك الرمان ورأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم قلت
كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى
لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه
في الدنيا فتركته ومضيت ۞ وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها ۞ فاذن لا
يمكن صلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات
فمن اراد حفظ لسانه من الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم
الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل جميل لم يتحفظ عن النظر
الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على
العبد منعها عن الحرام فان لم تعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراءها
هذه آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير كالسكران الذي لا يفيق
من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا
هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب
جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها
في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر
والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب
فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والاخرة بالخلاص
عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تأديبه ونقله عن
توثبه وتوحشه الى الانقياد والتأدب فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى
ما قد كان تقدم من طبع الاسترسال ثم يرفه باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك
النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت
الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله تعالى عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل
عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند
الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع
تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك
الدابة في الابتداء تنفر عن السرج [illegible] قهرا وتمنع عن السراح الذي الفته بالسلاسل والقيود ثم تأنس

بائن بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير تقييد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها بان تمنع عن البطر
والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى
لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل
فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به
سنة بل دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى
الحر يمنع نفسه شهواتها والنزول عند البطر والفرح ۞ فتراه طول زمانه تعبا مستعملا في الدخول والخروج ۞ وطريق المجاهدة
والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه
او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه
فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لا ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن
اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا
بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة
سببا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت ۞ **بيان**
علامات حسن الخلق ۞ اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش
المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق
فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن
الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم بها حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله تعالى اولئك هم الوارثون
وقال تعالى التائبون العابدون الآية وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله تعالى اولئك هم
المؤمنون حقا وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على
هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل
على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين
بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم
اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال صلى الله عليه من سرته حسنته
وساءته سيئته فهو مؤمن وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه لا يحل لمسلم ان يروع
مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة [illegible] خيه ما يكره ۞ وجمع بعضهم

علامات حسن الخلق فقال ان يكون قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا
ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة
والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة ○ وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول
بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق
خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك
والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد
والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى
واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره دل على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية
قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد
هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثر اليهود
ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ○ وحكي عن ابن ادهم
انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم فقال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل
انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده الى البلد فاستقبله
اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل
يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت
الله تعالى الجنة له فقيل له لم فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ○ ودعي ابو
عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد
جاءه ثانيا فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك
مرات وابو عثمان لم يتغير فقال له انما اردت ان اختبرك فاحسن خلقك فقال ابو عثمان الذي رايت مني هو خلق الكلب اذا دعي اجاب
واذا زجر انزجر ○ وروي ان ابا عثمان اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن
ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له الا زجرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب ○ وروي ان علي بن
موسى الرضا كان يميل الى ... بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له

الحمام فدخل يوما واطبق باب الحمام ومضى الحمامي الى بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه
ودخل الحمام فراى علي بن موسى فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم واحمل الي الماء فقام وامتثل جميع ما كان يامره فرجع
الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي سال عن الحمامي فقيل له انه خاف
مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوء ○ وقد روي ان عبد الله الخياط كان يقعد على
دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله
ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقدر ان عبد الله قام من الحانوت لبعض حوائجه فتقدم المجوسي الى تلميذه
واسترجع ما خاطه ودفع اليه درهما زائفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئس ما عملت
هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه واخذ الدراهم والقيها في البئر لكي لا يغر بها مسلما ○ وقال يوسف
ابن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات
والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره وطلاقة الوجه
للصغير والكبير ولطف الكلام لمن فوقه ودونه ○ وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة
والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ○ وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ
من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت
الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى ○ وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول يا اخوتاه
ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة ○ وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما
قرب من الحي وقف وقال ان بقي في قلبك شيء فقله كي لا يسمع بعض سفهاء الحي فيجيبك ○ وروي ان عليا كرم الله وجهه دعا غلاما
فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال
امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض انت حر لوجه الله ○ وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي
اضله اهل البصرة ○ وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم ○ فهذه النفوس قد
ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق
فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه
العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها
درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون ○ **بيان الطريق في رياضة
الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم** ○ اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة
خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به ... نشا عليه وسعد في الدنيا

والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة
القيم عليه والوالي له قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن
يصونه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره
في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة
تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما
يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته فإن ذلك الظهور أوائل الحياء فإذا كان يحتشم ويستحيي ويترك
بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه
هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا
ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل
أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ويقول بسم الله عند أخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره ولا يحدق إلى
الطعام ولا إلى من يأكل ولا يسرع في الطعام ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود
الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كثير الأكل بالبهائم وبأن
يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح بين يديه الصبي المتأدب القليل الأكل ويحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة
بالطعام الخشن أي طعام كان ويحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والإبريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن
الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما رأى على صبي ثوبا من إبريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه ذلك ويحفظ
الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فإن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوه
خرج في الأكثر رديء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك
بحسن التأديب ثم ينبغي أن يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب
الصالحين ويحفظ عن الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ عن مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة
الطبع فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى
عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا
يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله لا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما
يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال إياك أن يطلع عليك في
مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح
ويسقط وقع الكلام من قلبه و[illegible]عه لا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن

عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه و

القبائح وينبغي أن يمنع النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تصلب أعضاؤه ولا
يتخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا
يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه
الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يفتخر على أقرانه
بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره
والتلطف معهم في الكلام ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء
لا في الأخذ فإن ذلك لؤم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة وذلة وأن ذلك من
دأب الكلب فإنه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر
مما يحذر من الحيات والعقارب فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر
أيضا وينبغي أن يعود أن لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل
ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة
الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أولاد اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يتعود في الصغر ويمنع
أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن
فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من
ذلك فإنه يسري لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ
والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان
وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الأدب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع
الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي أن يعلم
طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن
يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام من رمضان
ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام والكذب والخيانة والفحش
وكل ما يغلب على الصبيان فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور فيذكر له
أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله تعالى وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها وأن
الموت يقطع نعيمها وأنها دار ممر لا دار مقر وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة
حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فإذا كان الن[illegible]وع واقعا مؤثرا ناجعا يثبت

كما تنشأ النفس على الجد وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس
والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق
بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه ٥ وقال سهل التستري كنت ابن اربع سنين وكنت اقوم الليل وانظر الى صلاة خالي محمد بن
سوار فقال لي يوما يا بني الا تذكر الله تعالى الذي خلقك فقلت يا خالي كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك الله معي الله
ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشرة مرة
فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا
والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه
وشاهده كيف يعصيه اياك والمعصية وكنت اخلو فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن
شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة واتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع
سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنا عشرة سنة فوقعت لي مسئلة فسالت اهلي ان يبعثوا بي الى البصرة اسال عنها
فجئتها فسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته
عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي
بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام وكان يكفيني ذلك الدرهم
سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسة وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت
اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ٥

بيان

شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة ٥ اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين
اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة
فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى
فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص
فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق
اذا الف الخرزة لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة
والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على
حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس
علما الدين من ينبههم فان تنبه منهم … له فان طلب الطريق من العلما وجدهم مائلين الى الهوى

عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلما بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان
المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه
او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة وله
معتصم لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لابد من ملازمتها في وقت سلوك
الطريق اما الشروط التي لابد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم
الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه
والتقليد والمعصية واما قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار
الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق
بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله
واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف
ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس
من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم
على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضا الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد
ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان
ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم
الترقي الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث
وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به وكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء
السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة
فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون كالمستقل بنفسه كالشجرة
التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك
به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر
وليعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه
ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن
من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه
نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح … الحجاب ومهما نقص دم القلب

فخان منه مسلك العدو كان مجاري العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم
لعل قلوبكم ترى ربكم ۵ وقال سهل ما صار الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال إخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال
عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب ظاهرة تشهد لها التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين
وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري
والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته
عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن والشبع يقسي القلب والنوم
يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب فقد قيل في وصف الأبدال
إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ۵ وقال إبراهيم الخواص اجتمع رأي سبعين صديقا على أن كثرة
النوم من كثرة شرب الماء وأما الصمت فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام
وشراب أو تدبير أمر فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فإنه يستروح إليه
ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح إليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى وأما الخلوة ففائدتها
دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار
الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف
الطاهر فكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس
إلا عن قدر الضرورة وليس ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم فإن لم يكن مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي
مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل
يا أيها المزمل يا أيها المدثر فهذه الأربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك
اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات
إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي أعني تلك الصفات أسرار العلائق
التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصي فلا بد
من تخلية الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال
فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة هو مضادة الشهوة ومخالفة
الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره وإذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علقة
شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب
ويكون ورده وردا واحدا [illegible] أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره

ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا إلى علائقه قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجمعة إلى الجمعة شيء غير الله فحرام عليك أن تأتيني
وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا
هم واحد فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد فيها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل الدين القوت
الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله أو سبحان الله سبحان الله
أو ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك
ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه للقلب لازما حاضرا غالبا عليه قد فرغ
القلب عن كل ما سواه لأن القلب إذا اشتغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا
عن غيره لا محالة وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه من أحواله
وأحوال غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد
في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما معنى
قولنا الله ولأي معنى كان إلها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من
وساوس الشيطان ما هو كفر أو بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة
إلى ما يعلم قطعا أن الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويفزع
إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه كما قال الله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال تعالى
إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على
شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى علقة أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك
لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فإن علم أنه لو تركه
وأمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له
حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من
فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب
عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم
ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة الخطر فإن سلم كان
من ملوك الدين وإن أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر
الاعتقاد والاشتغال بأعمال الخير فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد فإن لم يكن
ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة

طريق

ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك

أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وإن كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من الأحوال وما يبدو من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتوراً في طريقه ووقوفاً بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار لو أفيضت عليه ويدوم عليه ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق وقلت مرة أخرى دلني على عمل أجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم ولا بد من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هذه لعله قال يا هذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبداً فإذن منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى أبداً ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الله سبحانه وتعالى وجلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى وحكمته ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط الوصف به أصلاً فإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظاً أو نصحاً أو يتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صورة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع والشيطان يخيل إليه أن هذا منك إحياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاماً وأجزل لفظاً وأقدر على جلب قلوب العوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه كلام القبول وإن كان محركه هو الحق حرصاً على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على إصلاح عباده كالذي وجب عليه أن يحمل ميتاً ليدفنه إذ وجده ضائعاً وتعين عليه ذلك شرعاً فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح به وهذا عظيم الوجود جداً فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه من أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين سبحانه أن الشر قديم في الطبع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال سبحانه وتعالى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدرج إلى لقاء الله سبحانه أما تفصيل الرياضة في كل صفة فيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني الشهوات ثم صحبها الحب الذي للأبدان

شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولن يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه العجب والكبر والرياسة ولما ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدين رأساً تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فإنما يأتي في هذه الكتب إن شاء الله

انس

كتاب

تعلم

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤتيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه أما بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا [illegible] آفة شهوة البطن إلى هذا الحد

وجب شرح غوائلها وآفاتها لتحذر منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة
الفرج فإنها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى ومشيئته في فصول يجمعها **بيان** فضيلة الجوع
ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف
أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من
خالف شهوة الفرج والعين ● بيان فضيلة الجوع وذم الشبع ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا
أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش
وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال
من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته ● وقال صلى الله عليه وسلم سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف
وقال الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة
وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة ● وقال الحسن قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم عند الله تعالى كل نؤوم أكول شروب ●
وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز أي مختارا ● وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يباهي الملائكة
بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لأجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها
إلا أبدلته بها درجات في الجنة ● وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت
إذا كثر عليه الماء ● وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلا
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ● وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع إذ قال فيه إن
أقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن
غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش
الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين عليهم السلام وأخلاقهم وحفظوها هم تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله
على كل بلد ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون
أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله تعالى الذي أذهب
عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة
فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن
تنجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين عليهم السلام
وتفرح بقدوم روحك الملائكة ... وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البسوا الصوف

فضل الجوع

وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء ● وقال عيسى عليه السلام أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم
لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ● وروي ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس ● وفي التوراة مكتوب إن الله تعالى ليبغض الحبر
السمين من الشبع ● وفي الحديث إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش ● وفي الخبر إن الأكل على
الشبع يورث البرص ● وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء أي يأكل سبعة
أضعاف أكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل
الطعام وتأخذه كما يأخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن ● وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال صلى الله عليه وسلم
بالجوع والظمأ ● وروي أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أقصر من
جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا ● وكانت عائشة رضي الله عنها تقول إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي
لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول صلى الله عليه وسلم يا عائشة إخواني من أولي العزم قد صبروا
على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي
أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني
قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى ● وعن أنس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام ثم قال ما هذه الكسرة فقالت قرص خبزته
ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة ● وقال أبو هريرة ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة
حتى فارق الدنيا ● وقال صلى الله عليه وسلم إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله تعالى
المتخمون الملاء وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة ● **وأما الآثار**
فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ● وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة ●
وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ● وقال الفضيل يعاتب نفسه
أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي لا تخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ● وكان كهمس
يقول إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني ● وكان فتح الموصلي إذا اشتد مرضه
وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي ● وقال مالك بن دينار قلت
لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أصبح جائعا وأمسى جائعا
وهو عن الله تعالى راض ● وكان الفضيل بن عياض يقول إلـ ... ظلام الليل بلا مصباح وإنما

الآثار في فضل الجوع

نبغط هذا باوليائك فأي منزلة بلت منك هذا ٥ وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين
كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة ٥ وفي التوراة اتق الله تعالى وإذا شبعت فاذكر الجائع ٥ وقال
أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة ٥ وقال الجوع عند الله تعالى في خزائنه لا يعطيه إلا لمن أحبه ٥ وكان
سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى
قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئا
أنفع من الجوع للدنيا والدين وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال جعل الحكمة والعلم في الجوع وجعل
المعصية والجهل في الشبع وما عبد الله تعالى بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وجاء في الحديث ثلث للطعام فمن
زاد عليه فإنما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع
ليلة سأل الله تعالى أن يجعلها ليلتين فإذا كان كذلك وجد الزيادة ٥ وقال ما صار الأبدال أبدالا إلا بإخماص البطون
والصمت والسهر والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع ومن جوع نفسه انقطعت
عنه الوساوس وقال إقبال الله تعالى على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله وقال اعلموا أن هذا زمان لا ينال فيه أحد
النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والضر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء فسلم من المعصية وإن
شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام ٥ وسئل حكيم بأي قيد أقيد النفس فقال قيدها بالجوع والعطش وذللها بإخمال الذكر
وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها
واصحبها بخلاف هواها ٥ وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله عز وجل ما صافى أحدا إلا بالجوع ٥ وقال أبو طالب
المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ وكذلك
الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام ٥ وقال بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم
قليل الأكل قليل الراحة ٥ وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة
وإذا رغيف موضوع فقعد يبكي على فقد المناجاة فإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فإني
كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم إن كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي هو روي
أن موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوما ثلاثين وعشرا على ما ورد في القرآن لأنه استاك بغير تبييت يوما فزيد
عشرة لأجل ذلك ٥ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع ٥ لعلك تقول هذا الفضل العظيم
للجوع من أين هو وما سببه إلا إيلام المعدة ومقاساة الأذى فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضرب
نفسه وقطعه لحمه وتناوله الأشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته
لمرارة الدواء وكراهيته فأخذ يتناول كل ما يكره مذاقه وهو غلط بل نفعه بخاصية في الدواء وليس لكونه مرا وإنما يقف على

على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع
انتفع به وإن لم يعلم علة المنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع وإن لم يعلم عين المنفعة وعلتها ووجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك
إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر
فوائد الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة ونفاذ البصيرة فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ
شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الصبي إذا أكثر الأكل
بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك ٥ وقال أبو سليمان عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث
العلم السماوي ٥ وقال صلى الله عليه وسلم أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ٥ ويقال مثل الجوع
مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ٥ وقال
ابن عباس من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع ٥ وقال الشبلي ما جعت لله يوما إلا رأيت في قلبي
بابا من الحكمة ٥ وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه
والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحري أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني
إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ٥ وقال أبو يزيد الجوع سحاب فإذا جاع
العبد أمطر القلب الحكمة ٥ وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة إلى الله تعالى حب المساكين
والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور الله من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح ٥ الفائدة الثانية
رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن
القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه
بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الأظهر فيه قال أبو سليمان أحلى ما تكون العبادة إلي إذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد
يجعل أحدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان القلب إذا جاع وعطش صفا
ورق وإذا شبع عمي وغلظ فإذن تأثر القلب بلذة المناجاة ٥ الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح
والأشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها
وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها
وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه
بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرضت على نبي الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت
أو كما قال والبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع … من أبواب الجنة وأصله

الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب والقرب من احدهما بعد
من الآخر ۞ الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله تعالى وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد
الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة ويذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حين
يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه الذي
يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي
ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء واولاها بالمباشرة من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا
احد الاسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك
خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة
والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة من الم الجائع ۞ الفائدة الخامسة وهي من كبار الفوائد
كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة
الشهوات والقوى لا محالة الاطعمة وتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه
والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت فكذلك
النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان
يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش ۞ وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد
عصيت او هممت بمعصية ۞ وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك
قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة
فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيره فيمنعه الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر
الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا
تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج
يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به
مناجاته وربما عرض في اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها
القوة الحاصلة بالشبع كل مريد صبر على السياسة فصبر على خبز البحت سنة لا يخالطه شيء من الشهوات وياكل بنصف بطنه
رفع الله عنه مؤنة النساء ۞ الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه
كثر نومه ولذلك كان يقول [illegible] معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا

كثيرا فتخسروا كثيرا ۞ واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر
وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره
ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد للعبادة حلاوة ثم المتعزب اذا نام
على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل
فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه اخطارا
ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر
الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له ۞ الفائدة السابعة المواظبة على
العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام او
طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها
الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه ۞ قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما
دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر
كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى به درجات في الآخرة لا
آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج
الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملتها الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات
شغله بالاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال ابو سليمان المتشبع يدخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة
وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان
سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل ۞ الفائدة الثامنة يستفيد من قلة الاكل صحة البدن
ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش
القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج
الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب من انواع المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع عنه كل ذلك ۞
حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هنديا ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي
الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار وقال
السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا
فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر

لبعض العلماء سمعه من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت
كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم ○ وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل
بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك ○ وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بادب لم يعتل الا
علة الموت قيل وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع ○ وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان
انفع ما ادخل الانسان بطنه الرمان واضر ما ادخل معدته الملح ولان يقلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان
وفي الحديث المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من مرض
الطغيان والبطر وغيرهما ○ الفائدة التاسعة خفة المؤنة فمن تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود
الشبع صارت بطنه غريما ملازما له آخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا آكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب
من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن
خفيف المؤنة قال الحكيم اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي ○ وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري
لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم ○ وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن السعر
الماكولات فيقال له انه غال فيقول ارخصوه بالترك ○ وقال سهل الاكول مذموم في ثلثة احوال ان كان من اهل العبادة
فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شي لا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب
هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما
يحسم هذه الاحوال كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادمنوا قرع باب
الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح
من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه
انما لا تلهيهم باستغنائهم عنها بالقناعة واما المحتاج فتلهيه لا محالة ○ الفائدة العاشرة ان يتمكن به من الايثار
والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله
فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق
بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمه الله اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال الآية قال ان الله عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم
فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارضين
كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الشم الصعاب قيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قيل وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة
قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة

باموالهم فصاروا الالوف فاذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم واسمنوا دوابهم واهزلوا اديانهم واتعبوا
انفسهم بالغدو والرواح الى ابواب السلاطين يتعرضون للبلاء وهم من الله تعالى في عافية يقول قائلهم تبيعني ارض كذا وكذا
وازيدك كذا ويتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا بلغت به الكظة ونزلت به
البطنة قال يا غلام ائتني بشي يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين اليتيم اين الارملة اين المسكين الذين امرك
الله تعالى بهم وهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير لادخار الاجر وذلك خير من ان ياكله
حتى تتضاعف عليه الوزر ○ ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان
هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك واثرت به غيرك ○ وعن الحسن قال والله لقد ادركت اقواما كان الرجل منهم
يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله جميعه فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله تعالى ○
فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب عن كل واحدة فوائد لا تنحصر فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف
الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف
على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان
لك رتبة المقلدين في الايمان ○ **بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن** ○ اعلم
ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر
وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر
الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات اما الوظيفة الاولى
في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف
وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل مثلا رغيفين
في كل يوم واراد ان يرد ذلك الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين
جزءا او من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره وان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة
فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه
وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين
منها وهي الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال
ينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل ○ وسئل
سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم
دقيق الارز فاسويه مخلطا ثلثمائة وستين كرة اخذ

كيف قال الاكل بلا حد

وتوفيقه ٥ ويحكى عن الرهابين انهم يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام ٥ الدرجة الثانية ان يرد نفسه
بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن
في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون
العشرة وكان ذلك عادة عمر اذ كان لا ياكل الا سبع لقم او تسع لقم ٥ الدرجة الثالثة ان يردها الى مقدار
المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب
ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله صلى الله عليه وسلم وثلث للنفس والرابع ان يزيد على المد
الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة
الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وهاهنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو
ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة ولكن الغالب ان من لم يقدر على نفسه رغيفا او رغيفين
فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب
النفس الادم بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان
يبزق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض والصواب
للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى
الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في
كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد
وهو ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة
صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه وسلم
يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة وقد
غيرتم نخل لكم الشعير ولم ينخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم
الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخرى لم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت
اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المومن مثل الغنيمة
يكفيها الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا لا يطوي بطنه
لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم ٥ وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها
حلالا لان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط ٥ الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخره وفيه ايضا
درجات الدرجة العليا ان يط[illegible] د الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى الى ثلثين يوما او

اربعين وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن
فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير بن سليم الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم بن احمد الخواص وكان
الصديق الاكبر رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الخير البناني يطوي
سبعا وكان صاحب ابن عباس [illegible] وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة
قال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه
الطائفة مر على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان
المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل
في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجعل لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى
الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه ٥ فهذه درجة
عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول اشتغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه
وحاجته ٥ الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة
الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة حتى
لا يكون له حالة الجوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة ٥ فروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة ٥ وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والاسراف
فان اكلتين في يوم من السرف فقال اكلتين في كل يوم سرف واكلة في كل يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود
في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الصبح فتكون اكلة بعد التهجد وقبل
الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب بفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون
النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه
[illegible] قط الا وقد اخر الفطر الى السحر ٥ وفي حديث عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل
الى السحر وان كان قد يتوق الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه
نصفين فان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد جسمه ولا يشتد بالنهار
جوعه لاجل التسحر فيستعين بالاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت
الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتباعدها ٥ الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك
الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام
اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات [illegible] طريق الاخرة الامتناع عن الادام

على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له
بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها
لذاتها صارت الدنيا سجنا له ومضيقا عليه واشتهت النفس الانفلات منها ويكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر
الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها
تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك عظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات وعظم الخطر
في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس تحريما بل هو مباح
على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا لم يعص بتناوله ولكن تربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات
وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم من شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي
وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم انواع الطعام والوان اللباس
يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام فيما قال له واذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من
الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا
منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين
قال امرت بسوق الحوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد
وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر من شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا
عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ وروي عن نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد
ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف وشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها
وادفعها اليه فقال الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا ولم نقدر عليها فلما وجدناها نعطيها السائل نحن نعطيه
ثمنها واتاه فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأخذها ودفعها اليه
فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فآثر
بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار
اشارة الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان
يأكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاؤوا بثريد ولحم
فاكل معه عمر ثم قربوا الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي
نفسي بيده لئن خالفتم عن سنتهم [illegible] لنخالفن بكم عن طريقهم وروي ان عتبة الغلام كان يعجن

دقيقه ويجففه بالشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف من حب
كان في الشمس فيقول مولاة له لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول يا فلانة قد سددت عني كلب الجوع وروي
ان مالك بن دينار بقي اربعين سنة يشتهي رطبة فما اكلها وقال يا اهل البصرة عشت فيكم ما تعلمون فما اكلت رطبة ولا بسرة ولا تمرة فما
زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم ولقد اشتهت نفسي اشياء فلا اطعمها منذ اربعين سنة ووالله لا اطعمها حتى الحق الله تعالى
ولقد طلقت الدنيا منذ خمسين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة واخذ
لقمة وطرحها واقبل يبكي وقال عجلت الى شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي على عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رأيته اكل
الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت في سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت
ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك
ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأكله ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فرأى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه
اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال
لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث بها الى يتامى الفقراء من جيرانه وقال ابو موسى
الاشج نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة فما اطعمتها وقال احمد بن خليفة نفسي منذ عشرين سنة ما تطالبني الا الماء
حتى تروى فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي
ان ادافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترى قطعة لحم على خبز وشواها فلقي صبيا فقال الست ابن فلان وقد مات
ابوك قال بلى فناوله اياه وجعل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه ومكث
عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين كثيرة فاشترى ليلة بقيراط تمرا ورفعه حتى يفطر عليه فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع
عتبة وقال هذا من جرأتي وشرائي التمر وقال لنفسه ما اظن هذا اصاب من اجل الا بذنبك والله لا اذوقه وتصدق به
واشترى داود الطائي بفلس بقلا وبفلس خلا ثم اقبل يقول لنفسه يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يكن يأكل
الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تأكل مع خبزك
تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له
بعض القوم ابكى الله عينيك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك
شيئا لم يعاود فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له شيئا من الطعام فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة منه
ووضعها في فمه ثم القاها وبكى وقال يا جعفر احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي في قلبي هاتف اما تستحيي تركته من اجلي
ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد فبعثت اليه
مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت لا تبرح [illegible] من الغد [illegible] فردها ولم

التين الوزيري

يشربها فابيته ولمته وقلت سبحان الله رددتني على كرامتي فلا اراني وجدت لذلك قال لا تشنع عليه هذا الذي قد شربها اول مرة وقد
راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك لاني ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الاية ۞ وقال صالح
السدي ان نفسي تطالبني منذ اثنتين ستة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها ۞ وقال ابو بكر الجلا اعرف انسانا يقول نفسه انا
اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فتقول له لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة ۞
وتروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد اي
شي تصنع اما علمت ان الرغيف الذي رغبت عنه كم فيه من حكمة كذا وكذا وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل
الما والما الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهايم وبنو ادم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه لا ترضى به وفي الخبر لا يستدير
الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمايه وستين صانعا اولهم ميكاييل الذي يكيل الما من خزاين الرحمة ثم الملايكة التي تزجر
السحاب والشمس والقمر والافلاك وملايكة الهوى ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شي هو فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد
وبمقدار ما تملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فاجا الى الطبيب فساله عن شي يوافقه من الماكولات
فقال له تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر فصف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا
فقال له بشر تعلم شيا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيا اقل
ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال اتعرف شيا اقل ثمنا من الاسفيدباج يقوم مقامه قال لا
قال انا اعرف قال ما هو قال ما الحمص بسمن البقر في معناه فقال الطبيب انت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هولا كانوا
امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات كان لانه لا يصفو لهم حلال فلم
يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء
الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل
ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما سا خلقه ومن
داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه ۞ وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا وتاقت نفسه الى الجماع
فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع
فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصلي او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث
اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا
جزا من القران عقيب كل اكلة وكان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالذكر والصلاة وكان يقول
اشبع الزنجي وكده ومرة ... اشتهى شيا من الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكل الفاكهة

بدلا عن الخبز لتكون قوتا ولا يكون تنقلا ولا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ۞ ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له
ابدا بالتمر فان قامت كفايتك والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ۞ ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف
فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته ۞ وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات
فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة ۞ قال ابن عمر ما اتانا شيا من العراق فاكهة
احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال
فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك
شهوة يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض عباد البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمك فمنعتها فقويت مطالبتها
واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت له ماذا فعل الله تعالى بك فقال لا احسن اصف
لك ما تلقاني به ربي تعالى من الكرامة والنعيم وكان اول شي استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم
هنيا بغير حساب ۞ وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات
ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها ۞

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ۞

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط
اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه من فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه
مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جا الشرع
بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك
ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب منه غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع
مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في
مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثنا على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله
عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع
المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقا الحياة وقوة
العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع من العبادة فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل
فيه اثر ليكون متشبها بالملايكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتدا بهم واذا لم يكن للانسان
خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة
بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي
... الوسط لان الوسط هو

أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة وكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة والملائكة
خارجون عن الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله البعد وأبعد
المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر صلى الله عليه وسلم
خير الأمور أوساطها وإليه أشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة
والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد الاعتدال في الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت
النفس جموحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها بالجوع كما يبالغ
في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالضرب والجوع وغيره إلى أن يعتدل فإذا ارتاضت واستوت رجعت إلى الأكل
والاعتدال وترك تعذيبها وإيلامها ولهذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا
يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لأنه قد فرغ عن تأديب نفسه واستغنى عن التعذيب ولما
كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذي يحس بألمه في أكثر الأحوال
لتنكسر والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما يمتنع عن ملازمة الجوع
من سالكي طريق الآخرة إما صديق أو مغرور أحمق أما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه
عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيرا
وهذا غرور عظيم وهو الغالب فإن النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته نفسه
في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر إلى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على
أن تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متباعدة عن
الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان صلى الله عليه وسلم يدخل على أهله فيقول
هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم إذا وكان يقدم إليه صلى الله عليه وسلم الشيء فيقول أما إني كنت
أردت الصوم ثم يأكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال إني صائم فقالت عائشة قد أهدي إلينا حيس فقال صلى الله عليه
كنت أردت الصوم ولكن قربيه ۞ وحكي أن سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه
كان يقتات ورق النبق مدة ومنها أنه كان يأكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل
له كيف أنت في وقتك قال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد أي آكل كثيرا أي لا أقدر بمقدار واحد ما آكله
وقد كان معروف الكرخي يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشرا لا يأكل من هذا فيقول أخي بشر قبضه الورع
وأنا بسطتني المعرفة ثم
أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتميز

ودفع ابن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا أبا إسحاق بهذا كله فقال إذا وجدنا
أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال ۞ وأصلح ذات يوم طعاما فأكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري
فقال له الثوري أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث والذي أخذ العلم
من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع من مالك بن دينار أنه يقول ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة ويسمع عن سري
السقطي أنه منذ عشرين سنة أو أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فلم يفعل فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطئ والبصير
بأسرار العلم يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور
فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي فليست نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من
الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي بأعصى علي من نفس معروف وابن أدهم فأقتدي بهم وأرفع
التقدير عن مأكولي فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله
وجاهه بطرفة عين أقام عليه القيامة واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل لا ينفع التقدير في
الطعام والمنام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة
في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله إذا أكل
على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله تعالى في أكله وإفطاره وينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء بارد بالعسل جعل يدير الإناء في كفه
ويقول أشربها فتذهب حلاوتها ويبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها فهذه أسرار لا ينبغي أن يكاشف الشيخ بها مريده
بل يقتصر على مدح الجوع فقط حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة فإن الشيطان
يجد متعلقا من قلبه فيلقي إليه كل ساعة أنك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص
أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كي لا يخطر بباله أن الشيخ يأمره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته
والقوي إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء
عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب
عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أم لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا
ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات
فإفراط وإسراف ومهاجرة اللحم إقتار وهذا قوام بين ذلك ۞

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الأكل ۞

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات إحداهما
أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكله في

الجماعة وهذا هو الشرك الخفي. سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا فقال يأكل في الخلوة ما لا يأكل
في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة
بالأعمال فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصان على نقصان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين
ولا يرضى منه إلا بتوبتين ولأجل ذلك شدد أمر المنافقين فقيل إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأن الكافر كفر
وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله تعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا
الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء بل كمال العارف أن يترك
الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها
في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يبغي به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية
الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضده وهو عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين فهذا قد حمل
على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا
يضاهي طريق من يأخذ من أحدها يعطي جهرا ويرد سرا لكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته
إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحا
لغيرك لأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم له من غيره فهو إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه في إصلاح
غيره ولذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات
الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح بأن يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة
وهي شهوة الأكل والجماع وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه
الشهوة أهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى به. قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب
منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مشتهاها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وقد نغصت على نفسك إذ لم تعطها شهوتها
وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلي شهوة نظرت إلى نفسي فإن أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من
منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منه شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه
الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى الحية لأن
شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام.

القول في شهوة الفرج

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على
الإنسان لفائدتين إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن
النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة
فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق. الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفة

ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تفسير قوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه
الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق إذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه
إلا أنه قال في تفسيره الذكر إذا دخل وقيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول أعوذ
بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة
على الرجال. وروي أن موسى عليه السلام كان في مجلسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوان فلما دنا منه خلع البرنس
فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا نبي الله فقال موسى عليه السلام من أنت قال أنا إبليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال
جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال أختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي
إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة
لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهدا إلا
وفيت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى
أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتي علم موسى عليه السلام ما يحذر به بني آدم. وعن سعيد بن المسيب قال
ما بعث الله تعالى نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت
ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح. وقال بعضهم إن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي أرمي به فلا
أخطئ وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوات ونصفه الغضب وأعظم الشهوات شهوة
النساء وهذه الشهوة لها إفراط وتفريط واعتدال والإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى التمتع بالنساء والجواري
فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين أحدهما
أن يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام
وما مثال ذلك إلا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل
بعلاجها وإصلاحها فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص
فإن قلت فقد روي في غرائب الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعف الوقاع فأمرني بأكل
الهريسة فاعلم أنه كان تحته صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع وحرم على غيره نكاحهن وإن
طلقهن فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتنعم. والأمر الثاني أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال والجهال إلى العشق
وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة الشهوة بالوقاع وهي
أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيى منها حتى اعتقد أن الشهوة لا تقضى إلا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق
فتكتفي به وهذا لا يكتفي إلا بواحد معين حتى يزداد به ذلا

يسخر العقل لخدمة الشهوة

ليكون مطاعاً

وقد خلق لا ليكون خادماً للشهوة ولا ليعيش فإن العشق إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همّة له وإنما يجب الاحتراز
من أوائله بترك معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والأولاد وحبّ
اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فإن هذه الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنغّص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة
ومثال من يكسر العشق في أول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عن توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها
ومثال علاجها بعد استحكامها أن يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذها إلى ورا وما أعظم التفاوت بين الأمرين في العسر
[هامش: بذنبها ويجرها]
واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فإذن إفراط
الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جداً وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة وهو أيضاً مذموم
وإنما المحمود أن تكون معتدلة له ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه
معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء

بيان

ما على المريد في ترك التزويج وفعله ۝ اعلم أن المريد في ابتداء أمره لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل
يمنعه عن السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله عز وجل ولا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان
من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريداً تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما أحوجك إلى امرأة تستأنس بها فقال
لا آنسني الله بها أي أن الأنس بها يمنع الأنس بالله وقال ما شغلك عن الله تعالى من أهل ومال وولد فهو عليك شوم وكيف
يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وكان مستغرق الحب في الله تعالى حتى كان يخاف احتراقه فيه إلى حد كان
يخشى في بعض الأحوال أن يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عائشة رضي الله عنها أحياناً ويقول
كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه وقد كان طبعه الأنس بالله تعالى وكان
أنسه بالخلق عارضاً رفقاً ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم وإذا ضاق صدره قال أرحنا يا بلال حتى يعود إلى
ما هو قرة عينه فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذا فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله فشرط
المريد العزوبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة هذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل
والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلاً وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن
الشهوة وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره ويتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهي
تؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام إياكم
والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال سعيد بن
جبير إنما كانت فتنة داود من ال[illegible] بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى بن

زكريا ما بدو الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول إبليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطئ به يعني النظر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً
يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة
الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا
فروجهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم لكل بني آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان
وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم أو يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه
وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه احتجبا فقلنا أليس بأعمى لا
يبصرنا فقال صلى الله عليه وسلم وأنتما لا تبصرانه أفعمياوان أنتما وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما
جرت العادات به في المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه بغير
حاجة وإنما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها
عن الصبيان فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى المرأة أمكنه أن يستبيحها بالنكاح
والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي
لم يحل له النظر فإن قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة لا محالة فأقول
لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وماء صاف
وماء كدر وشجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلاً خالياً
عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل
العين إليها ويدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة
فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فه
فنظره نظر شهوة وهو حرام وهو مما يتهاون به ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين ما أنا بأخوف على
الشاب الناسك من سبع ضار من صبي غلام أمرد يجلس إليه وقال سفيان لو أن رجلاً عبث بغلام بين إصبعين من أصابع رجله
يريد الشهوة لكان لواطاً وقال بعض السلف سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون
وصنف يعملون فآفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح
فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو إرادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى الله عز وجل
[هامش: في المنام]
فرأيت شخصاً فقال ما لك فشكوت إليه فقال تقدم إلي فتقدمت إليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع
جسدي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم [illegible] فأتاني شخص في المنام فقال

يجب أن يذهب ماء الحياء واضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي
فبت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشتد فرأيت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع
ما لا يحب رفعه فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج المريد إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح
ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع
ذلك في آداب النكاح فلا نطول بإعادته وأمارة صدق الإرادة أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم
من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد
طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقيل ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته
بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والخلق والورع وعلامة صدق الإرادة في دوام
النكاح الخلق الحسن تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد تحيرت
في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه وتزوج بعضهم امرأة ذات
جمال فلما قرب الزفاف أصابت المرأة الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستقبحها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم
أراهم أنه قد ذهب بصره حتى زفت إليه المرأة فذهب عنهم الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل
له في ذلك فقال تعمدت لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق الحسن وتزوج
بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر على خلقها فيتأذى بها
فإن تزوج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو له أولى إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله
كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين ألف درهم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائهم
في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب إليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني
من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين ألف درهم وليس تمضي الأيام والليالي حتى تتم مائة ألف وأنا أصير لك مثلها فأجيبيني إلى ما
سألت والسلام فكتبت إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم
والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك
وصم الدهر واجعل فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافا ما سرني أن أشتغل عن الله تعالى طرفة
عين وهذا إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب
وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه الشهوة الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم تنفع هذه الثلثة
فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال ابن المسيب ما أيس
الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى

ما شيء أخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن أبي وداعة السهمي قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت
قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن
يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه ثم زوجني بحضرة من كان
على درهمين أو ثلثة فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي فجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب
وانصرفت إلى منزلي فاسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فإذا بابي يقرع
فقلت من هذا قال سعيد فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين
بيته والمسجد فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك قال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمر قال إنك
كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها
في الباب فسقطت المرأة من الحياء وقال بارك الله لكما وفيكما برحمته وانصرف فغلقت الباب ودخلت أنا وهي فتقدمت
إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاؤوني
فقالوا ما شأنك قلت زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك قلت نعم وها
هي في الدار معي فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلثة أيام فأقمت ثلثا
ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء وهي أحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم
بحق الزوج فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد شهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام
ولم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس فقال ما حال ذلك الإنسان قلت خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك
شيء فالعصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد خطبها عبد
الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة
سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في تلك الليلة تعرفك غائلة الشهوة
ووجوب المبادرة في تطفئة نار الشهوة بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم أن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها فاحش يستحيا منه
ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب
فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا تقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الإثم فإن من
ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع
وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف وكتم
فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل دعته

امراة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع
القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة
روي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله
وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت
سليمان الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ۞ وعن سليمان ايضا
ما هو اعجب من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق
ليبتاع شيئا من الطعام من السوق وجلس سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها على ما ذكرناه واورع الناس
فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فرات حسنه وجماله فانحدرت اليه وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه
واسفرت عن وجهها كانها فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد
هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في البكاء والنحيب فلم يزل
كذلك يبكي فلما رات ذلك منه سدلت البرقع على وجهها ورجعت حتى جاءت الى خيمتها على راس الجبل فجاء رفيقه وراه قد
انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او
نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك
قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان حتى انتهيا فقضيا فرضهما فنهضا للصلاة فلما انتهى
سليمان الى مكة طاف وسعى ثم اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة وله رائحة
طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قلت ان في شانك
وشان امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب ۞ قال عبد الله بن عمر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت
عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي ابوان كبيران
شيخان وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت
ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا
فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج
منه وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني
فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع
عليها وانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما

نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير
رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله ادّ الي اجري فقلت كل ما ترى
من اجرك من الابل والغنم والبقر والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاستاقه ولم يترك منه شيئا اللهم
ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون ۞ فهذا فضل من تمكن من قضاء شهوة
فعف ويقرب منه من يمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه
والآفات كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى
وعليك الثانية ۞ وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في
ترداداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على
نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا
التحسر وان استقبح لم يتلذذ به وتالم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما المه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تالم وعن تحسر
ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية
القوة ونهاية التوفيق روي عن ابي بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى
قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك مني ولكني اخاف الله تعالى قال فانت تخافينه وانا
لا اخافه عز وجل فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال
ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله تعالى حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو
وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له
زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول
ان التائب من الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه ۞ وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب
متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال فشغفت به
وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما
شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت مثل مقالتها الاولى فاطرق مليا وقال هذا موقف تهمة
وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ومعاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا
مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير
ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك فمضى الشاب الى منزله فاراد
ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي واخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم [illegible] في موضعها فالقى اليها الكتاب

ان
وتحسر
وعقل

ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المرأة ان الله تعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد الى المعصية ستره
الله تعالى فاذا لبس منها ملابسها غضب الله عليه لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا
يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم
واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة
والاوجاع المرمضة ذلك الله عز وجل رب العالمين فاقصديه على صدق المسئلة واني متشاغل عنك بقوله عز وجل
وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين الآية فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت على طريقه
فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت
بكاء كثيرا وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية
اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار
فاطرقت وبكت بكاء شديدا ... ثم لزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل كذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد ذلك
ويبكي عليها بكاء شديدا فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها
ذخيرة لي عند الله تعالى وانا استحيي من الله تعالى ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده عز وجل ه

كتاب آفات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن
العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره
الذي ارسله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله واي فضله
ودين سبله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه من قبله ما كبر عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة
ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية
الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله
ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه
خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والآذان لا تصل الى غير الاصوات واليد لا
تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال
رحب وله في الشر [illegible] الى شفا جرف

والنار

هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام
الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او
يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه
وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان
ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكر كل واحدة منها بحدها واسبابها وغوائلها
ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام
فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع
والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن
اما لانسان او حيوان او جماد ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة
السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي
اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى
الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن
الحروف انها قديمة او محدثة وهي آخر الآفات وجملتها عشرون ه

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله
عليه وسلم من صمت نجا وقال صلى الله عليه وسلم الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وقال عبد الله بن سفيان عن ابيه قلت يا رسول الله
اخبرني بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فاوما
بيده الى لسانه ه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ه وقال
سهل بن سعد الساعدي قال صلى الله عليه وسلم من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة ه وقال صلى الله عليه وسلم من وقي
شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي ه والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر
الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل النار فقال صلى الله عليه وسلم
الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت
يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك يا معاذ بن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد
السنتهم ه وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال صلى الله عليه وسلم قل ربي الله ثم استقم
قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه [illegible] وقلت يا رسول الله اي الاعمال افضل

فقال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه
وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت ۝ وقال سعيد بن جبير مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أصبح
ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا ۝ وقال عمر اطلعت على أبي
بكر وهو يمد لسانه فقلت ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا الذي أوردني الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله تعالى اللسان على حدته ۝ وكان ابن مسعود على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيراً تغنم
أو اصمت تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه ۝ وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه
وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله عز وجل قبل الله عذره ۝ وروي أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصني قال صلى الله
عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه
وقال صفوان بن سليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن
الخلق ۝ وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت ۝ وقال الحسن
ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبداً تكلم فغنم أو سكت فسلم ۝ وقال سفيان قيل لعيسى عليه السلام
دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبداً قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا إلا بخير ۝ وقال سليمان عليه السلام إن كان
الكلام من فضة فالصمت من ذهب ۝ قال البراء جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة فقال
أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير ۝ وقال صلى الله عليه وسلم
اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان ۝ وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عند لسان كل قائل فاتق الله
وانظر ما تقول ۝ وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة ۝ وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت
والشاجب الذي يخوض في الباطل ۝ وقال صلى الله عليه وسلم إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم
أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بالشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه ۝ وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة
أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس ۝ وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر
سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ۝

الآثار

كان الصديق رضي الله عنه يضع حجراً في فيه يمنع به نفسه من الكلام ويشير إلى لسانه ويقول هذا أوردني الموارد ۝
وقال ابن مسعود والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان ۝ وقال طاوس لساني سبع إن أطلقته أكلني
وقال وهب بن منبه في حكمة آل [illegible] أنه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه ۝ وقال الحسن ما

عقل عن الله تعالى دينه من حفظ لسانه ۝ وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا
باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه ۝ وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن
صاحبه ۝ وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم ۝ وقال يونس بن عبيد
ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله ۝ وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنف
ساكت فقالوا ما لك يا أبا بحر لا تتكلم قال أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت ۝ وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك
الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني
ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم
تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت ۝ وقيل إن ابن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الآخرة أربعين سنة ۝ وقيل
ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع قرطاساً وقلماً فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب
نفسه عند المساء ۝ فإن قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنميمة
والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء
الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع
ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي
تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر
والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة
أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول
والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا الرابع [illegible] وفضول الكلام امتزاجاً
خفي مدركه فيكون الإنسان به مخاطراً ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعاً أن ما ذكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا فلقد أوتي صلى الله عليه وسلم جواهر الحكم وجوامع الكلم
كما قال صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً وجواهر الحكم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار
المعاني إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله ونحن الآن نعد
آفات اللسان ونبتدي بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلاً قليلاً ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر
فيها أطول وهي عشرون آفة الآفة الأولى الكلام فيما لا يعنيك ۝ اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك عن جميع
الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق [illegible] ضرر فيه عليك ولا على مسلم أصلاً

إلا أنك متكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فإنك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو
أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر والذكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه
ولو هللت الله سبحانه وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز
فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن
لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا هكذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع
رأس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد
غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كعبا فسأل عنه فقيل مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا
لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله عز وجل قال هي أمي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم وما
يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ۞ ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه
حوسب عليه وإن كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب ۞ وقال محمد بن
كعب القرظي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام
فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك فقالوا أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به فقال
إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وتركي ما لا يعنيني وقال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا
أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا
يعنيك ۞ وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحسن من الدهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك
الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا
سفيها فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه عما تحب أن يعفيك منه واعمل
عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام ۞ وقيل للقمان ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني
۞ وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني
وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى
ولا تصحب الفاجر لتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك بكل ما لو
سكت عنه لم تأثم ولم تستضر في حال [illegible] م فتذكر معهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما

وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت به من مشايخ البلاد في وقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم
تأثم ولم تستضر وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لا يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة
الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التي
ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا
إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فإنك تسأل غيرك عن عبادته فتقول هل أنت صائم فإن
قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر
بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب
فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته
وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم
أنتم وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين وليس معك فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيا وإن لم
يذكره لم يصدق فيقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لا تسمح
نفسه بأن يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس فإن هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر
وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يعمل الدرع ويسرده فتعجب مما رأى فأراد أن يسأله
عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت
حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك
ولم يسأل فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن
الإسلام فهذا حده وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد
أو تزجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة وأن
أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث
العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك
ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا ۞ **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو أيضا
مذموم وهو يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه
أن يفخمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضل عن الحاجة وهو مذموم لما سبق
وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول
الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله [illegible] منكرا أو نطق بحاجتك في معيشتك

بلغت

التي لا بد لك منها يقولون أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
أما يستحيي أحدكم أن لو نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره وكان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة
قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا وقال مطرف ليعظم
جلال الله تعالى في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قولكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم
محصور في كتاب الله تعالى قال عز وجل لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس فأمسكوا
فضل المال وأطلقوا فضل الكلام وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من
بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال صلى الله
عليه وسلم قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان هذا إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه
الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وقال مجاهد
إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت
لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت وأكثر أو أقل وروي أن سليمان عليه السلام بعث بعض
عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه أنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه
فسأله سليمان عليه السلام فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون
وقال إبراهيم التيمي المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال صلى الله عليه وسلم
أما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية أنه قال صلى الله عليه وسلم ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام فقال
صلى الله عليه وسلم ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز إنه ليمنعني من كثرة الكلام مخافة المباهاة
وقال حكيم إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن
أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام
تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء
كان خيرا لها وقال إبراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وسببه
والباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعنيه

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي
كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر [illegible] الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة

فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام
الكثير فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو
الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن إحصاؤها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا
وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم
بالكلمة من سخط الله عز وجل ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة وكان علقمة يقول
كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث يعني الحديث وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك
بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها
في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله تعالى بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل وإليه الإشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله
تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم وقال سلمان إن أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم
كلاما في معصية الله عز وجل وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلسهم فيقول توضؤوا فإن بعض ما تقولون
شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر
محظورات سبق وجودها أو تدبر في التوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية
البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه
خوض في الباطل

الآفة الرابعة

المراء والجدال وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك
ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال
صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة
وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر
ملاحاة الرجال وقال صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل عبد حقيقة
الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا وقال صلى الله عليه وسلم ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب
أعداء الله عز وجل بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق
وقال الزبير لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات
أكثر التنقل وقال مسلم بن يسار إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد إذ
هداهم الله إلا بالجدل وقال مالك بن أنس ليس هذا الجدال [illegible] وقال لقمان لابنه

يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك ۵ وقال مالك بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته ۵ وقال سفيان
صافي من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش ۵ وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان
اغضبه ۵ وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا ۵ وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لفظة من المراء ركعتين
وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه
ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه ۵ وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته
ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه ۵ وقيل لميمون بن مهران ما لك لا يفارقك اخ لك اذا اصحبك عن قلى
لاني لا اشاريه ولا اماريه ۵ وما ورد في ذم المراء والجدال اكثر من ان يحصى وحد المراء كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه
اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا
فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه
باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة
وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت
فيه لكذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه
وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض
الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن اما المجادلة فعبارة عن قصد
افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى
مكروها عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت
عن كل ما لا يأثم به لو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان
باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من
صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويؤذيه وهاتان صفتان
مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد
الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر
كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتمارين كما يثور التهارش بين الكلبين
يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية في الخامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث على اظهار فضله
والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء
ما ذكرناه ثم المواظبة عليه عادة [illegible] يروى ان ابا حنيفة قال لداود الطائي لم

توثر الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد منه
وهو كما قال لان من سمع من غيره الخطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له
بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه
حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة وان كان مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة
لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه ان ذلك حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو
ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال صلى الله عليه وسلم رحم الله
من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود
المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا فاذا اجتمع عليه
سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها ۵ الآفة الخامسة
الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى
تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام
ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد
قالت عائشة رضي الله عنها ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم ۵ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ۵ وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ۵ ويقال
ما خاصم ورع قط في الدين ۵ وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي
فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل
للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لي الخصم ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال
فاني لا اطلب منك شيئا هو لك ۵ فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف
يكون حكمه وكيف تذم الخصومة فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه
قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا
يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات
مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه
قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذ المال منه ربما
رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير
لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد [illegible] لكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا

فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات، وأقل ما فيه تشوش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب، والخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جداً، فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم ولا تذم خصومته، إلا أنه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيه لأن معه ما يكفيه فيكون تاركاً للأولى ولا يكون آثماً، نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب، إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهّله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام. قال صلى الله عليه وسلم: يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام. وقال الله تعالى: وقولوا للناس حسناً. قال ابن عباس: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً، لأن الله تعالى يقول: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها. وقال أيضاً: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه. وقال أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام. وروي أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال: مر بسلام، فقيل: يا روح الله تقول هذا لخنزير؟ فقال: أكره أن أعود لساني الشر. وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: الكلمة الطيبة صدقة. وقال صلى الله عليه وسلم: اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يكن فبكلمة طيبة. وقال عمر رضي الله عنه: البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين. وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً فلعله عز وجل يعوضك منه ثواب المحسنين. وقال أيضاً: الكلام الطيب يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح. فهذا كله في فضل الكلام الطيب، ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر.

الآفة السادسة

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة، وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف. وقال صلى الله عليه وسلم: إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام. وقالت فاطمة رضوان الله عليها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات، والتنطع هو التعمق والاستقصاء. وقال عمر: إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان. وجاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام، فقال له سعد: ما كنت من حاجتك [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي على الناس زمان

يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها. وكأنه أنكر عليه ما قدمه من الكلام من التشبيب والمقدمة المتكلفة، وهذا أيضاً من آفات اللسان، ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن العادة، وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات، إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أسجعاً كسجع الأعراب. وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بيّن عليه، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم. ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، ولرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به. فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق، فالاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه.

الآفة السابعة

الفحش والسب وبذاءة اللسان، وهو مذموم منهي عنه، ومصدره الخبث واللؤم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش. ونهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسب قتلى بدر من المشركين فقال: لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء، ألا إن البذاء لؤم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء. وقال صلى الله عليه وسلم: الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها. وقال صلى الله عليه وسلم: أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور: رجل يسيل فوه قيحاً ودماً، فيقال له: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث. وقال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: البذاء والبيان شعبتان من النفاق. فيحتمل أن يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أن يكون المراد بالبيان المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف، ويحتمل أيضاً البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه، إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس، وإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب، ولكن ذكره مقروناً بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق. وقال جابر بن سمرة: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي أمامي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم أخلاقاً. وقال إبراهيم بن ميسرة: يقال: الفاحش المتفحش يوم القيامة يأتي في صورة كلب أو في جوف كلب. وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ اللسان البذي والخلق الدني. فهذه مذمة الفحش، فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن أهل الفساد لهم عبارات صريحة فاحشة يستعملونها، وأهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يعفو ويكني، كنى باللمس عن الجماع والمسيس [illegible] كنايات [illegible] ومتعالكها في الشيم

والعنين فهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة
وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخرا
وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن
في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر او قالت ام الاولاد وكل
في الولد والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان
يعبر عنه بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل
في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان ه قال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت
ابطه خراج فاتيناه نسأله لنرى ماذا يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد
الحاصل من مخالطة اهل الفسق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني
فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا
قال فما سببت شيئا بعده ه وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي بأس ان انتصر
منه فقال صلى الله عليه وسلم المستبان شيطانان يتعاويان ويتهاتران ه وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا
فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم ه وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ه وقال صلى الله عليه
ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه فقال
صلى الله عليه وسلم يسب الرجل فيسب اباه ه **الآفة السابعة** اللعن اما للحيوان او الجماد
او الانسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله
عز وجل ولا بغضبه سبحانه وتعالى ولا بجهنم ه وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول ه وقال عمران بن الحصين
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه
خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد ه وقال ابو الدرداء ما
لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله تعالى ه وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمع صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو
يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه
وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود ه وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ه
وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم لا تسر معنا على بعير
ملعون وقال ذلك انكارا عليه ه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة
تبعده من الله تعالى وهي الكفر وا[illegible] لكافرين والظالمين وينبغي فيه لفظ الشرع لان في اللعنة خطرا لانه حكم

على الله تعالى بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه الا الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله تعالى عليه والصفات
المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على
الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس
والقدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة واكلة الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة
خطر لان معرفة البدعة غامضة وما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير
نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على الشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع
والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك ابو جهل لعنه الله وفرعون لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء
ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه خطر لانه
ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما
يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله تعالى
على الاسلام والطاعة الذي هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا
سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا يقال لا لعنه الله ان مات على
الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا
في الكافر فهو في زيد الفاسق او المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على
الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما
باللعن فقال اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته
كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر
جاز لعنه وذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان فيه اذى على مسلم لم يجز كما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال ابو بكر هذا قبر رجل كان عاتيا على الله تعالى وعلى رسوله وهو سعيد
ابن العاص فغضب ابنه عمرو وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر
يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر
فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك ه وشرب نعيمان الخمر
فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه
لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب [illegible] فهذا يدل على ان لعن فاسق

بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعن الأشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز
لعن يزيد لانه قاتل الحسين او آمر به قلنا هذا لم يثبت اصلا ولا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعن لانه
لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه
فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر
ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء به
احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو
يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيره كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت
ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وقال صلى الله عليه وسلم
ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا
الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة
واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان
بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم
دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا
عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب
منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله
الا الله احب الي من ان يخرج لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا
وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله تعالى كل طعان لعان وقيل لعن المؤمن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد
ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا
مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان
لا صحح الله جسمه او لا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه
ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

الآفة التاسعة

الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع
ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده [illegible] حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه
فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان
ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم
ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسان بن ثابت الانصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير
نفسه لجاد بها فليتق الله سائله وهذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا
فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار منها
ما لو تتبع لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله
وكنت اغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال
صلى الله عليه وسلم ما لك بهت قلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي
لعلم انك احق بشعره حيث يقول ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل واذا نظرت الى اسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني
وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس باربع قلائص
فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في المجمع وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل فرجع وهو من
ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول في الشعر فجعل يعتذر اليه ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على
لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من قول الشعر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب
الشعر حتى تدع الابل الحنين

الآفة العاشرة

المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا له واما
المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة
فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة
الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور
فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما
غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك به جلساءه ويهوي به ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه
قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به [illegible] كثر سقطه قل حياؤه

ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال
ففيم الضحك قال فما روي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك
اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين
وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال
ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من
بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو اعجب منه فهذه افة الضحك والمذموم منه ان يستغرق
ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
القاسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم
ليساله نفر به فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله
ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك فقال صلى الله عليه وسلم وافواهكم ملأى من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار
فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم
وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك وقال عمر بن عبد العزيز
اتقوا الله واياكم والمزاحة فانها تورث الضغينة وتجر القبيح تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث
حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال
لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للبها ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر فيه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن
من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة في النظر اليهم وهم
يرقصون في يوم عيد وهو خطا اذ من الصغاير ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار
فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم لا اقول الا حقا
وقال عطاء سال رجل ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال فما كان مزاحه فقال ابن عباس
انه كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس انه
كان صلى الله عليه وسلم من افكه … التبسم صلى الله عليه وسلم وقال الحسن اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال صلى الله عليه وسلم انك يومئذ لست بعجوز قال الله تعالى
انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
ان زوجي يدعوك فقال صلى الله عليه وسلم من هو اهو الذي بعينه البياض اراد البياض المحيط بالحدقة وجاءت اخرى
فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وسلم احملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يطيقني ولا يحملني فقال صلى
الله عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن البعير وكان يمزح بالنغير وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه
فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وذلك انه جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشي فقال اعطنيه فابيت
وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة رضي الله عنها سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم
سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت
حريرا وجيت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت
من الصحفة شيا ولطخت وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيا فمسحت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروي ان الضحاك بن سفيان
الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا رسول الله ان عندي امراتين احسن
من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت احسن ام انت
فقال لا بل انا احسن منها واكرم فضحك صلى الله عليه وسلم من مسالة عايشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري
والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات
منقولة مع النسا والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى الهزل
وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر فقال صلى الله عليه اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق
الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى
نسوة من بني كعب بطريق مكة فاطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن
ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد
قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت حتى طلع علي وانا اصلي
في المسجد فجلست الي فطولت فقال صلى الله عليه لا تطول فانا انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد
قال فسكت ساكتا وقام فكنت اتفرر منه حتى لحقني يوما وهو على … شي واحد فقال يا ابا عبد الله

اما يرى ذلك الجمل الشارد بعيد فقلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلم فقال الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله فحسن اسلامه وهداه الله تعالى ۞ وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به النبي صلى الله عليه فيضربه بنعله ويامر اصحابه بمثل ذلك فلما كثر ذلك منه قال له رجل يوما لعنك الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تفعل انه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالب نعمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب الضحك المميت للقلب مذموم ۞

الآفة الحادية عشر

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم الآية ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ويكون بالاشارة والايما واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت انسانا فقال صلى الله عليه ما احب اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا ۞ وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك من الجرائم والذنوب ۞ وقال عبد الله بن زمعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك احدكم مما يفعل مثله ۞ وقال صلى الله عليه ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم فيجي بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما زال كذلك حتى يفتح له فيقال هلم هلم فما ياتيه ۞ وقال معاذ قال صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره ولعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وفرح بان يسخر منه صناعة ولعبا كانت السخرية في حقه من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وانما المحرم استصغار يتاذى به المستصغر المستهزا به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وصنعته وعلى صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها ۞

الآفة الثانية عشر

افشا السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذا والتهاون بحق المعارف والاصدقا قال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال صلى الله عليه وسلم الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ۞ ويروى ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابه ان امير المؤمنين اسر الي حديثا […] عنك ما بسطه الى غيرك قال يا بني لا تحدثني به فان من كتم

سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه فقلت يا ابه وان هذا ليدخل بين الرجل وابنه فقال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذل لسانك بافشا السر فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا فافشا السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم وان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده

الآفة الثالثة عشر

الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفا فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه وسلم الواي مثل الدين او افضل والواي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل عليه السلام بوفائه بالوعد قال الله تعالى انه كان صادق الوعد قيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله تعالى بثلث النفاق اشهدكم اني قد زوجته ابنتي ۞ وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك ۞ وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجي ۞ وكان صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى ۞ وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شا الله عز وجل وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي به فهذا هو النفاق ۞ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ۞ وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ۞ وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف فاما من عزم على الوفا وعن له عذر منعه من الوفا لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلاثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجات فاطمة رضي الله عنها فقالت يا رسول الله اما ترى اثر الرحى بيدي وطلبت منه خادما فقال صلى الله عليه كيف بموعدي لابي الهيثم واثره على فاطمة رضي الله عنها لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صلى الله عليه صدقت فاحتكم ما شئت فاحتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال صلى الله عليه وسلم هي لك احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف عليه السلام كانت احزم واجزل […] حكما […] موسى عليه السلام فقالت حكمي ان

تُرَدّ في شأنه فادخل معك الجنة قال فكان الذين يضعفون ما الحكم به حتى جعل مثلا لا يقولون أشأم من صاحب اليمين والراعي
وقد قال صلى الله عليه وسلم الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يخلف وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن
يفي فلم يجد فلا إثم عليه ٥ **الآفة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين** وهو من قبائح الذنوب

الكذب

وفواحش العيوب قال إسماعيل بن أوسط سمعت الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما
في النار ٥ وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الكذب باب من أبواب النفاق ٥ وقال الحسن
كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وإن الأصل الذي بني عليه
النفاق الكذب ٥ وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب
وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ٥ ومر
صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا ويقول الآخر والله
لا أزيدك على كذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال صلى الله عليه وسلم أوجب أحدهما بالإثم والكفارة ٥ وقال
صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق ٥ وقال صلى الله عليه وسلم إن التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس الله
تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا
يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره ٥ وقال
صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله تعالى فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة
وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح
الله تعالى عليه أو على أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت ورجل كان مع قوم في سفر أو
سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله تعالى التاجر
أو البائع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس
ويل له ويل له ٥ وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر
جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فإذا مده
رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة ٥ وعن عبد الله بن جراد
أنه سأل النبي صلى الله عليه فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال صلى الله عليه قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال
صلى الله عليه وسلم لا ثم أتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون ٥ وقال أبو سعيد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب ٥ وقال

صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر
وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي فخرجت لألعب فقال أما إنك لو لم تفعل لكتبت عليك كذبة
وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا ٥ وقال صلى الله عليه
وكان متكئا ألا أخبركم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور ٥ وعن ابن عمر
قال قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به ٥ وقال أنس قال صلى الله عليه وسلم
تقبلوا إلي بست أتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال صلى الله عليه وسلم إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف
وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ٥ وقال صلى الله عليه وسلم إن للشيطان
كحلا ولعوقا ونشوقا فأما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم ٥ وخطب عمر رضي الله عنه
بالجابية فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي هذا فيكم فقال أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو
الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو
يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق
لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان ٥ وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها
وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ٥ وقالت عائشة رضي الله عنها
ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه
يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله عز وجل منها توبة ٥ وقال موسى
عليه السلام يا رب أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه ٥ وقال لقمان لابنه يا بني
إياك والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه ٥ وقال صلى الله عليه في مدح الصدق أربع إذا كن
فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خليقة وعفة طعمة ٥ وخطب أبو بكر رضي الله عنه
فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة
وقال معاذ قال صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله تعالى وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل
السلام وخفض الجناح ٥ وقال علي رضي الله عنه أعظم الخطايا عند الله تعالى اللسان الكذوب وشر الندامة
ندامة يوم القيامة ٥ وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت على إزاري ٥ وقال عمر رضي الله عنه
أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسما فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا
وأعظمكم أمانة ٥ وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت
قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ٥

وقال الشعبي ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار الكذب أو البخل وقال ابن السماك ما أراني أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى كذاباً قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقاً صدق وإن كان كاذباً قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال أيضاً الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما الآخر وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه

بيان

ما رخص فيه من الكذب اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلاً وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذوناً فيه وربما كان واجباً قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير أرأيت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فانتهى إليك فقال رأيت فلاناً ما كنت قائلاً ألست تقول لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً وواجب إن كان المقصود واجباً كما أن عصمة دم المسلم واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز عنه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة فكان الكذب حراماً في الأصل إلا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً وقالت أسماء بنت يزيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن أبي كاهل قال وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو يعني بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب أهلي قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الأرقم حتى أدخله بيته فقال لامرأته أنشدك بالله عز وجل هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فإني أنشدك بالله تعالى قالت نعم فقال لابن الأرقم أتسمع ثم انطلقا إلى عمر فقال إنكم لتحدثون أني أظلم الناس في خلع النساء وأخلعهن ظلماً فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت

التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب وقال النواس بن سمعان الكلابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم أو دفع عنه وقال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ويقول ما زنيت وما سرقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وبين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة منهما أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييباً لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعاً في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة والأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب مهما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس في فواتها محذور حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت أسماء سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لم يثبت فيه إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف أن يقول لا أدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كان ذلك مباحاً نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذباً ولكن الكذب المباح أيضاً قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه لأنه إنما أبيح لقصد الإصلاح ويتطرق

اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهراً بالاصلاح فلهذا يكره وكل من
اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جداً
والحزم في تركه الا ان يصير واجباً بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز
وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة فيه اذ في الصدق مندوحة عن
الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع فسقط وقعه وما
هو جديد فوقعه اعظم فهذيان اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلاً والكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن
السلف ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال عمر رضي الله عنه اما ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي
عن ابن عباس وغيره مثله وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض
والتصريح جميعاً ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت
جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله به وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم
ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملاً لعمر فلما رجع قالت
امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة اهليهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط فقالت كنت اميناً عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطاً فقامت بذلك في نسائها واشتكت
عمر عند الناس فلما سمع عمر ذلك دعا معاذاً وقال بعثت معك ضاغطاً فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك
فضحك عمر واعطاه شيئاً وقال ارضها به ومعنى قوله ضاغطاً يعني رقيباً واراد به الله سبحانه وتعالى وكان النخعي لا يقول
لابنته اشتري لك سكراً بل يقول ارأيت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من
يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا كيلا يكون كاذباً وكان الشعبي
اذا طلبه في البيت من يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هو ههنا وهذا
كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه
على الجملة كما روي عن ابي عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون
هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزاه الله خيراً فقال لي يا بني اتق الله واياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك
لان فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض

خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على
ولد البعير فاما الكذب الصريح فكما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده
الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء فهو حرام وان لم يكن
الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكمل للمرء
الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم
بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن
الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقوله قلت لك مائة مرة وطلبتك كذا كذا مرة فانه
لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة وان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذباً وان طلبه مراراً لا
يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيه لخطر الكذب
ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقول كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام وان لم
يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها وادخلتها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحاً من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها قالت
فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال
ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تجمعن جوعاً وكذباً فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا
لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذباً فقال صلى الله عليه وسلم ان الكذب ليكتب كذباً حتى يكتب الكذيبة كذيبة
وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن
المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لي لا تمس
عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر قال خوات
التيمي جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا
قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه وقال عيسى عليه السلام ان من اعظم
الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه
وسلم من كذب في حلمه كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر
فيها طويل فلنذكر اولاً مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها
بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضاً الآية وقال الصـ[illegible] المسلم على المسلم حرام دمه وماله

وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله تعالى بينه وبين الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا ۞ وقال جابر وابو سعيد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له
حتى يغفر له صاحبه ۞ وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم
فقلت يا جبريل من هؤلاء قال عليه السلام الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم ۞ وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك
في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه ۞ وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع
عورة اخيه تتبع الله تعالى عورته يفضحه الله تعالى في جوف بيته ۞ واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات
تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار ۞ وقال انس امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله
ظللت صائما فائذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله ان امرأتين من اهلك ظلتا صائمتين
وانهما تستحيان ان تأتياك فائذن لهما فليفطرا فاعرض عنه فعاوده فقال صلى الله عليه وسلم انهما لم تصوما وكيف صام
من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل
واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو
بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله والله انهما قد ماتتا او كادتا
ان تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال صلى الله عليه وسلم لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم
وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله
عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس ۞ وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل
واعظم من الربا عرض الرجل المسلم ۞ وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على
قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة او قال
يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست
على قبر فقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ۞ ولما رجم رسول الله صلى الله عليه
الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه بجيفة وهما معه

فقال صلى الله عليه وسلم انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال صلى الله عليه وسلم ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه
وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين
وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح ويروى ايضا
مرفوعا كذلك ۞ وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا وترك ذلك فقالا
لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما ان يعيدا الوضوء
والصلاة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم ۞ وقال مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة
الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس ۞ وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة
وثلث من البول وثلث من النميمة ۞ وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد ۞ وقال بعضهم
ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس ۞ وقال ابن عباس اذا
اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ۞ وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في
عين نفسه ۞ وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح
ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من كان هكذا ۞ وقال
مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن هذا فقال عيسى عليه السلام ما اشد
بياض اسنانه كأنه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لا يذكر من خلق الله الا احسنه ۞ وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما
رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس ۞ وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء
واياكم وذكر الناس فانه داء ۞ وقال بعض الشيوخ حد الغيبة ما اذا كنت تحدث به فاذا حضر سكت عنه وهذا
معنى مليح ۞

بيان معنى الغيبة وحدها

۞ اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه
لو بلغه سواء ذكرت نقصا له في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه وداره
ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما
يكرهه واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او شيء مما يكرهه كيف ما كان واما الخلق فان
تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين
فكقولك هو سارق وكذاب وشارب وخائن وظالم ومتهاون بالصلاة والزكاة ولا يحسن الركوع والسجود ولا
يحترز من النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه عن الرفث والغيبة
والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى
لنفسه حقا وانه كثير الكلام وكثير الاكل وانه نؤوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه

فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة واما الدين فقولهم لا غيبة في الدين فانه ذم ما ذمه الله فذكره
بالمعاصي وذمه يجوز بل يلزم والدليل عليه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي
جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم انها في النار ه وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال صلى الله عليه وسلم فما خيرها اذا وهذا فاسد
لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فانه به مغتاب عاص لربه واكل لحم اخيه بدليل ما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول
قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ه وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه
فقد بهتموه ه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اغتبتيها ه وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك ان تقول ما بلغك ه وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك
الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته ه وذكر ابن سيرين النخعي ولم يقل الاعور وقالت عائشة رضي الله عنها
لا يغتابن احدكم احدا فاني قلت لامراة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي الفظي
فلفظت بضعة من لحم ه

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

انما حرم لان فيه تفهيم
الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة
وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات
بيدي انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد
من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت امراة قال صلى الله عليه وسلم
ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين
كلامه في الكتاب غيبة الا ان تقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك
بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اليوم اذا كان
المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم
اذا كان معك قرينة يفهم عن الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل
الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف [illegible] المقصود ولا يدرون انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة مثل

ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة
الحياء نسال الله تعالى ان يعصمنا منها وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته
فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما نبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده
ان يذم غيره ويجعل نفسه متشبها بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه وجمع بين ثلث فواحش
وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم
فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين
فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي اليه المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق
خبثه وهو يمتن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف
نسال الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لاخفاه له
في خلوه او عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بافة
عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا
يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه
انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب
ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله تعالى من بلائه فان كل
ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المستمع للغيبة احد المغتابين وقد روي ان ابا بكر وعمر قال احدهما للاخر ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لياكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال صلى الله عليه وسلم انكما اكلتما من
لحم صاحبكما ه فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والاخر مستمع ه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجلين
اللذين قال احدهما للاخر اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج عن اثم
الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فلم يفعل لزمه وان كان
يقول بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي
اسكت او بحاجبه وراسه وجبينه وغير ذلك فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر ان ينصره فلم ينصره اذله الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق
وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله تعالى ان يعتقه من النار وقد ورد
في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في [illegible] الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

۞ اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة ۞ الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون في ذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر المساوي والعيوب فيهلك معهم ۞ الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ومقصوده ان يسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت ۞ الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله ۞ الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك ۞ السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع كلام الناس بالثناء عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق ۞ السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب ۞ الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشاؤه التكبر واستصغار المستهزأ به ۞ واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر ۞ الاول ان تنبعث من الدين داعية التعجب في انكار المنكرات والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل عليه الشيطان ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري وآثما ومن ذلك قول الرجل عجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل ۞ الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه ... عن ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه

وترحمه ۞ الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي ذكره روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله تعالى فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وساله ان يدعوه فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم تبغضه قال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فقل يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع والسجود فيها فساله فقال لا ثم قال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا ثم قال والله ما رايته يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الله الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك ۞

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

۞ اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنبحث عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها محبطة لحسناته فانها تنقل في القيامة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد ۞ وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في عيوب الناس كذا مهما وجد عيبا ينبغي ايضا ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله عز وجل ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا

برضا الغير وما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة
فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب آفات الغضب وهو ان
يقول اني اذا امضيت غضبي عليه فلعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنه فجرات على نهيه واستخففت بزجره
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم ابوابا لا يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى ٥ وقال صلى الله عليه وسلم
من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر ان يمضيه
دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شا ٥ وفي بعض كتب الله المنزلة يا ابن آدم
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق ٭ واما الموافقة فبان تعلم ان تغضب عليك اذا
طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان
يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله تعالى ايضا على رفقائك
اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث
يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت المخلوق وانت بالغيبة
متعرض لسخط الله تعالى يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك
في الآخرة او تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية
الجهل والخذلان واما عذرك بقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا
جهل لانك تعتذر بالاقتدا بمن لا يجوز الاقتدا به فان من خالف امر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك
النار وانت قادر ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى
ما اعتذرت عنه وسجلت بالجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسه من الجبل
فتردي هي ايضا نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت
تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة
الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله تعالى وانت من اعتقاد الناس فضلك
على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق
وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع
بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت
خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك
واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك

او تنقل اليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل
محسودك كما قيل ٭ واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود ٥ واما الاستهزاء فمقصودك
منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك
وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزات به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك
منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيامة على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار
الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة على اثمه فهو حسن
ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبر اثم المرحوم فيخرج عن كونه
مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما
حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب
من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما
هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن
قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة ٥

بيان تحريم الغيبة بالقلب ٥

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن
باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن
المنهي عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد الا ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده
بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقال الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل
خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكهه
ووجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فهذا كله
دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله
وعرضه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن
ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما ان حاله عنده وعند غيره مستور
فلا يجب ان يباك الظن وكيف يجب عليك ان لا تسيء به ظنا كما كان على ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف
عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا

ويتثاقل عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح
أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة والجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا
من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته فأما إذا أخبرك
به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذوراً لأنك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضاً من الظن
فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة أو محاسدة فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع
شهادة الأب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا
تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله تعالى عني وكان محجوباً وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد
يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن
أنه عدل وليس بعدل فإن المغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاغتياب تساهلوا في
أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له
بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت
هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور
باطلاعك على نقصه وتنظر إليه بعين الاستحقار وترتفع عليه بإيذاء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين كما
تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت
فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس
وهو منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله
تحت ستره فيتوصل إلى الاطلاع عليهم والتجسس عن أحوالهم وهتك الستر حتى ينكشف له ما كان مستوراً عنه
كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته

بيان الأعذار المرخصة في الغيبة. اعلم أن المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع
ذلك إثم الغيبة وهي ستة الأول التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً أما
المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به وقد قال
صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال صلى الله عليه وسلم مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته
الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى نهج الصلاح كما روي أن عمر وعثمان وعلياً دخلوا على طلحة فلم يرد سلام عمر
رضي الله عنه فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه [...] ذلك فجاء أبو بكر ليصلح ذلك ولم ير أبو بكر ذلك غيبة وكذلك قيل لعمر

إن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب إليه عمر رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر رضي الله عنه ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه عمر رضي الله
عنه فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً. الثالث
الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والأسلم التعريض فيقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو
زوجته أو أخوه ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي أن هنداً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني
ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم
لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء. الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت متفقهاً يتردد
إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة
والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك
من اشترى مملوكاً وقد عرفته بالسرقة أو الفسق أو بعيب فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد
والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله ذكر الطعن وكذلك المستشار في التزويج
وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو
الواجب وفيه كفاية وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بالعيب فله أن يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترعوون عن ذكر
الفاسق الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الإمام الجائر والمبتدع والمجاهر
بفسقه. الخامس أن يكون الإنسان معروفاً باسم يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن
الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء مثل ذلك لضرورة التعريف ولأنه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه
بعد أن صار مشهوراً به نعم لو وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير
عدولاً عن اسم النقص. السادس أن يكون مجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر
ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت منه
ما يتظاهر به فلا إثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه
ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته. قال الصلت بن
طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة. وقال الحسن ثلاثة لا
غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن والإمام الجائر وهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به
وكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم قال عوف دخلت على ابن سيرين
فتناولت عنده الحجاج فقال ابن سيرين إن الله تعالى حكم عدل ينتقم للحجاج [...] كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك إذا

لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اكبر ذنب اصابه الحجاج ٥

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير ٥ وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به والحديث الصحيح من كانت لاخيه عنده مظلمة في مال او عرض فليستحلها منه من قبل ان ياتي يوم القيامة وليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته هذا قوله صلى الله عليه وسلم ٥ وقالت عائشة رضي الله عنها لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها ٥ فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة ٥ وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله تعالى حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله تعالى ابدا فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فمعناه اني لا اطلب مظلمتي في القيامة ولا اخاصم ولا تصير الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى يوم القيامة نودوا ليقم من كان اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا في الدنيا قال الله تعالى خذ العفو الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل

قال للحسن ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها واعذرني فلا اقدر ان اكافيك على التمام ٥

الآفة السادسة عشر النميمة

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عز وجل عتل بعد ذلك زنيم قال ابن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ونم دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال عز وجل ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة اللمزة النمام وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط عليه السلام تخبر بالضيفان وامراة نوح عليه السلام كانت تخبر انه مجنون ٥ وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر ولا قتات بل القتات هو النمام ٥ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله تعالى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات ٥ وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب ٥ وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيامة ٥ وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيامة في النار ٥ وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوا مقعده من النار ٥ ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة ٥ روى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل اسمه وتعالى وعزتي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله تعالى ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف ٥ وقال كعب اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ٥ ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ لاجل سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال الحكيم البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم ٥

بيان حد النميمة وما يجب

٥ اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ... الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم

ايك بكذا وليس النميمة مخصوصة بهذا بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سوا كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه
ثالث وسوا كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايما وسوا كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسوا كان
عيبا ونقصا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشا السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان
من احوال الناس ينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره
فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشا للسر فان كان ما ينم به
نقصا او عيبا في المحكي عنه فهو كانه قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السو للمحكي عنه او
اظهار الحب للمحكي له او الفرح بالحديث والخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او
فعل بك كذا او هو في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك وما هو مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا
يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الثاني ان ينهاه وينصح له في
ذلك ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله عز وجل
ويجب بغض من يبغضه الله تعالى الرابع ان لا تظن باخيك الغايب السو لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا
يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتحقق ذلك لقوله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي
نميمته فتقول فلان حكى كذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وروي ان عمر رضي الله عنه دخل اليه رجل فذكر
عنده عن رجل شيا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت صادقا
فانت من اهل قوله تعالى هماز مشا بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا وروي ان حكيما
زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ
واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت
كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني لصادق فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت
اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق به وبصداقته وكيف لا يبغض
وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن
يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع بين الناس وهو
النمام وقيل قاطع الرحم وروي ان عليا رضي الله عنه سعى اليه رجل برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب اي خصال المؤمن
اوضع له فقال كثرة الكلام وافشا السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا

فجاء رجل

اعلم الامير اني ذكرته بسو قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي
اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض اهل العلم فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق
من كل طايفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول
اجازة وليس من دل على شي فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ
الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
الساعي بالناس الى الناس لغير رشده يعني ليس بولد الحلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذنه في الكلام وقال اني مكلمك
يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا
دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ايتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما
استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا الامة الا خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة
واجل وسايلهم الغيبة والوقيعة وانت مسول عما اجرموا وليسوا مسولين عما اجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك
فان اعظم الناس غبنا بايع اخرته بدنيا غيره ووشى رجل بزياد بن الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد
على الرجل يقول له انت امرؤ اما ايتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل
لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما زال يذكرك في قصصه بشر فقال عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت الينا حديثه ولا اديت
حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقيامة تضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب
ابن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فالميت رحمه الله واليتيم جبره الله
والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب
والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد فسادك
ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم يعيبوهم ولم يعيبوك وقيل النميمة مبنية على الكذب والحسد
والنفاق وهي اثافي الذل وقيل لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك
بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة
قال رضيت فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند
نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم
فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المراة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الافة السابعة عشر ذو اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه
من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له

لئيما

فقال له

لسانان من نار يوم القيامة ۞ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله تعالى يوم القيامة ذا
الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي لفظ آخر الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث ۞ وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان
يكون امينا عند الله تعالى ۞ وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى
يوم القيامة كل شفتين مختلفتين ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله تعالى يوم القيامة الكذابون
والمستكبرون الذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا
دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا ۞ وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح
واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها ۞ وروي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال
يا امير المؤمنين انه منهم فقال عمر نشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين
وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان
الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة
الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر
من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين الى الآخر فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة
مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته
وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين
ويثني عليه في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه ۞ وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير
وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل خاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان
يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به
لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم ۞
وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل عليه
الان له الكلام فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم النت له القول فقال صلى الله عليه وسلم ان شر
الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال عليه والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح ولا يجوز الا لضرورة او اكراه
يباح الكذب بمثله ويباح به آفة الكذب كما ذكرنا بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل
كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشر

المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها فالمدح تدخله ست آفات اربع في المادح
واثنتان في الممدوح فاما المادح فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه
على رؤس الاشهاد بعثه الله تعالى يوم القيامة يتعثر بلسانه والثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون
مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا والثالثة انه يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي
ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان كان لا بد لاحدكم
ان يمدح اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق
الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رأيته يصلي
بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا
بعد خبرة باطنة ولذلك سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته في المبايعة والمعاملة
قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا اراك تعرفه فالرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم
او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق ۞ وقال الحسن من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين
احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس
حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه
بالدرة فقال ما لي وما لك يا امير المؤمنين قال ما لي وما لك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال
خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطي منك ۞ الثانية هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي من نفسه ذلك
ومن اعجب من نفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك
الغرض ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لذلك المادح قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح ۞ وقال صلى الله عليه وسلم
اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا ۞ وقال صلى الله عليه وسلم لمن مدح رجلا عقرت الرجل
عقرك الله عز وجل ۞ وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي ۞ وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع
ثناء عليه او مدحة الا تراءى له شيطان ولكن المؤمن يراجع ۞ قال ابن المبارك لقد صدقا كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك
قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص ۞ وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا
له من ان يثني عليه في وجهه ۞ وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور
او لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح
لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله [illegible] حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر

بايمان العالم لرجح وقال لعمر رضي الله عنه لو لم ابعث لبعثت يا عمر ۞ واي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم عن صدق وبصيرة
وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان
بالله تعالى وبقربه لا من اجل تقدمه على ولد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على
بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما
اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء
قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح ۞

بيان ما على الممدوح ۞ اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور
ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه
المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال
المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين ۞ وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف
نفسه ۞ واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني ۞ وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا
تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته ۞ وقال علي رضي الله عنه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني
خيرا مما يظنون ۞ واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك ۞ واثنى رجل على علي رضي الله عنه في وجهه
وكان قد بلغه عنه فقال انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك ۞

الآفة التاسعة عشر في الغفلة عن
دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا
العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف
الاحترام قال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده ۞ وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
من يطع الله تعالى ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن
يعصهما لانه تسوية وجمع ۞ وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول
لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود
وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون منها ۞ وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
فقال حذيفة ان الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين ۞ وقال ابراهيم اذا

قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته او خنزيرا رأيتني خلقته ۞ وعن ابن عباس قال ان احدكم ليشرك حتى
يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ۞ وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم
قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت ذلك ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل
المسلم ۞ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم
اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب
الله الواحد جل وعز ۞ وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم ۞ وقال
صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما
وهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه
لم يسلم وعند ذلك تعرف سر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك
ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير
وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقل الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك
عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين ۞

الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم
الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان
يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي
اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به
القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى
ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم
يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك
من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ۞ وقال انس سأل الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال صلى الله عليه وسلم سلوني ولا تسألوني
عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال صلى الله عليه وسلم ابوك حذافة فقام اليه شابان فقالا
يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا او في النار فقال صلى الله عليه
لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق ۞ وفي الحديث نهى رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وعن اضاعة المال وكثرة السؤال ❁ وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان الناس يتساءلون بينهم
حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله تعالى الله علوا كبيرا فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل
احدكم على يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ❁ وقال جابر ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال ❁ وفي قصة
موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع عن السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت الآية فلما لم يصبر حتى سأل ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك
وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في
حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا رسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس
الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه اهي قديمة
ام حديثة وكذلك سائر الصفات ❁

كتاب آفات الغضب والحقد والحسد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته
الا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب
وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم
فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال سبحانه وتعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلاة على محمد
صلى الله عليه وسلم رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون المرسلون وعلى آله واصحابه الائمة المهديين والسادة المرضيين
صلاة يوازي عددها ما كان من خلق الله تعالى وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والآخرون وسلم تسليما ❁
اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد
استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد
انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه
قرابة الشيطان الرجيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي
والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد
وفي ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد فاذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى
معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان ويعالجه ان كان راسخا في قلبه ويداويه فان
من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر الآن

عدد

مساويه

ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب واسبابه ثم بيان ان الغضب
هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم
الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة
العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة
الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به
ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب ❁

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الآية ذم
الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة
وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال صلى الله عليه لا تغضب ❁
وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك
يرجع الي لا تغضب ❁ وعن عبد الله بن عمرو انه سال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله عز وجل
قال لا تغضب ❁ قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا
تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ❁ قال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من كف
غضبه ستر الله عورته ❁ وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب
تستخف فؤاد الرجل الحليم ❁ وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يملكه الغضب ❁ وقال
ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال صلى الله عليه وسلم لا تغضب ❁ وقال يحيى لعيسى عليهما السلام
لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى ان شاء الله ❁ وقال النبي صلى الله عليه
الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل ❁ وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم ❁ وقال له
رجل اي شيء اشد قال صلى الله عليه وسلم غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب الآثار ❁ قال
الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار ❁ وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال
علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم
وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا
وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه
فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد
امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال انه الشيطان وقد اردت

ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان اسألك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب اما
تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب
الصبيان الكرة وكيف تغلبني ابن لئيم اذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه
وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وراس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن
الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه ❁ قال ابليس لعنه الله يعرف
ابن آدم فلن يعجزني في ثلث اذا سكر اخذنا بخزامه فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا قال بما لا يعلم
وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه ❁ وقيل للحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذن لا تذله الشهوة ولا
يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب ❁ وقال اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار والغضب يفسد الايمان كما
يفسد الصبر العسل ❁ وقال ابن مسعود انظر الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب
وبامانته اذا لم يطمع ❁ وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه
فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا ❁ وقال علي بن زيد اغلظ
رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم
ما تناله مني غدا لا والله لا كان ذلك ابدا اذهب فقد عفوت عنك ❁ وقال لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح
الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان
علما وحلما ❁ وقيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل ❁ وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في
خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب ❁ وقيل من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار ❁
وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق
وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا
تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف
ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء ❁ وقيل لابن المبارك اجمل لنا حسن
الخلق في كلمة فقال ترك الغضب ❁ وقال نبي من الانبياء لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون
بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو
ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به ❁ وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق
والطمع ❁

بيان حقيقة الغضب ❁

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا
للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى

اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة
ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها حتى تفشي اجزاؤها بخارا تتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء
يجبر ما انحل وتفرق من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على
تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب
الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من
باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه
ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي
البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة
بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف
القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب
وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى
دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا
تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط
فبفقد هذه القوة او بضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه
من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص
جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه
الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر
وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في
الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم وبرودة المزاج
تطفئه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك
شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره
في معرض الفخر بجهله فمن يسمعه ينغرس في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار
الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان

استشاط غضبا فمن عقله ومن اجمع نفسه لم يزد الى بطفي نور العقل ويمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد
عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم فيستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه
حتى لا يرى بعينه شيء ويسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي
مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى وانمحى فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى
فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل
الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف
فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب
مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس
المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها ويدبرها وينظر لها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت
حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر
وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه حيا من قبح صورته واستحالة خلقته
وقبح باطنه اقبح من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا
فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش
وقبح الكلام الذي يستحيي منه ذووا العقول وقائله يستحيي منه عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والقتل والجرح من غير مبالاة وتمزيق الثياب فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته بسبب عجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطمها ويضرب بيده على الارض او يده او
يعدو عدو الواله السكران المدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق النهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما
يضرب الجمادات فيكسر القصعة والغضارة والمائدة ويتعاطى افعال المجانين ويشتم بالحمار والبغل ويخاطبه ويقول
الى متى منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى انه ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره
في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والعزم على افشاء السر وهتك الستر
وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يانف منه من التعرض للحرم
واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم
ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله عز وجل اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس
بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة ضعفت الغيرة في رجالها ضعفت الصيانة في نسائها ومن الحقد

ضعف النفس السكوت عند مشاهدة المنكرات قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال الله تعالى
ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن سياسة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى
يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين
فينبعث حيث يجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو
الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس
من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال
غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين
الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر
اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته ٥

بيان

ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ٥ اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة
اليه تتوجه واياه تقصد وظن اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير
وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيا ويكره فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام
يوافقه شيء ويخالفه اخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا
محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلثة اقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة
وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد الى بدنه بالضرب والجرح لا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه
الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي يسكنها او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو
الانسان من كراهية زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها ٥ القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالمال الكثير والغلمان
والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما
فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ
عليه فاما اذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في
الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر
غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والمنصب والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه
فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المجالس والمحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي لو جلس في صف النعال فلا
يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه

وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده ان يزيد في حاجاته وشهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة وبمخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما هو مثل هذه الرذائل فالغضب على مثل هذا الجنس ليس بضروري بل حبه ليس بضروري
القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق المكتسبين الذين لا يمكنهم التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها
اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ في الباطن فيه الى ان يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث لان ما صار ضروريا في حق شخص لا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه
واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبرة يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه اذا ضربه غيره لا يغضب فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون
فان قلت الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله تعالى فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله تعالى وان الله تعالى لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى الخير فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا

لا يندفع عنه فلا يتصور ذلك على الدوام للبشر ولو تصور لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك ما قلت في الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل صلى الله عليه وسلم اني لا اغضب ولكن قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك يا رسول الله شيطان فقال صلى الله عليه وسلم بلى ولكن دعوت الله تعالى فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير ولم يقل صلى الله عليه وسلم لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال صلى الله عليه وسلم لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط على الجملة بل كل من يغضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته الى ما لا بد له في دينه منها فانما غضب لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله تعالى كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله تعالى عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقص اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك وكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء منكرا عليها ما يلقيه اليها الشيطان فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذن اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذن يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب هو اخراج حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المرآة من القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه وكسره يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب

كظم الغيظ فينبغي ان يكظم لله تعالى وليعظم عليه اسبيل ودلك من جلاله وفضائله والناس وقال من ظلمه يوم القيامة اشد من ذلك الآن فلا احب ان يكون هذا القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا عن حق فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على قلبه السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده وكيف يقول لمرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه واما العمل فان يقول بلسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة رضي الله عنها اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد صلى الله عليه وسلم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما او اضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت ليعرف بذلك ذل نفسه واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا بالماء البارد او ليغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فان الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس قام او اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت اخاك بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب له ثلاث صحائف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن

بعض غضبه واعطي الثانية وفيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء واعطي الثالثة وفيها خذ الناس بحق الله تعالى فانهم لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ذكره الله تعالى في معرض المدح وقال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملا الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق ويخيره من اي الحور شاء

الآثار

قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسالة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الا تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله تعالى اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم ... بالعافية وقال ابو هريرة

بيان الأسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى عليه السلم الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بالنفس كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وإنما اختلفوا بالفضل أشتاتا فبنو آدم عليه السلم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل والفخر والعجب أكبر الرذائل وهي رأسها وأصلها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة ورجولية جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وذلك أن المريض أضعف فلهذا أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا وكذلك الصبي والشيخ الضعيف أسرع غضبا وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك

منقول عن الأتراك والأنذال والأكراد والجهلة الأغبياء والذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل أما العلم فهو ستة أمور الأول أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يرددها ويقول خذ العفو وأمر بالعرف وكان يتأمل الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو أن يقول قدرة الله تعالى علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو فقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لأوجعتك ضربا أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره عند الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب بالأنبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالأنبياء والصالحين في عادتهم لتميل نفسه إلى حب هؤلاء الكبراء والاقتداء بهم إن كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ فلا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وضعف النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبك يا نفس تأنفين من الاحتمال اليوم ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وأنت تحذرين أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فمهما

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما هي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته وقال أبو هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم إني قد غفرت له بذلك وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم كان رجل فيمن قبلكم إذا أصبح يقول اللهم إني أتصدق اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في تفسير قوله تعالى ربانيين أي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح يمشون على الأرض هونا أي حلما وقال ابن أبي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد وإذا مروا باللغو مروا كراما أي إذا أوذوا صفحوا وروي أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الأسواق وروي أنه وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأشج فأناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا أشج إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبي وأمي أنت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحلم والأناة قال خلقان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال صلى الله عليه وسلم بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحليم الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين

الآثار

قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك

ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا تباهي الناس بعبادة ربك فإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال أكثم دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه إن أول عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أنصاره على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الأهتم أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال فأي الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال أنس في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم إلى قوله تعالى عظيم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا فغفر الله لي وقال بعضهم شتمت رجلا من أهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله تعالى وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال معاوية لعرابة بن أوس بم سدت قومك يا عرابة فقال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فيقال لي إن تركك له ذل فقال جعفر إنما الذليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء إليك فأحسن إليه فقد جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكني أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله تعالى يحفظ ومن يستعن بالله ولا يستعن بغيره يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت إليك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر عيسى عليه السلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال عليه السلم كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الغضب والشجاع إلا عند الحرب ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك إليه ودخل على حكيم صديق له فقدم إليه الطعام فخرجت امرأة الحليم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وشتمت الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحليم وقال تذكر يوما كنا في منزلك فسقطت دجاجة على المائدة وأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسري عنه وانصرف وقال ... وضرب قدم حكيما فلم

بعض مثل هذا في ذلك فقال امض حجرا تعثرت به توقيت وربحت الغضب ○ وقال محمود الوراق: سألزم نفسي
الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه علي الجرائم ○ وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم ○
فأما الذي فوقي فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم ○ وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن
لام لائم ○ وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم ○

فصل

القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ○ اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته
بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص
على ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه وأما السب فلا يقابل لقوله صلى الله عليه وسلم إن امرؤ عيرك بما فيك
فلا تعيره بما فيه وقال صلى الله عليه وسلم المستبان شيطانان يتهاتران ○ وسب رجل أبا بكر وهو ساكت فلما
ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنك كنت جالسا لما شتمني
فلما تكلمت قمت فقال صلى الله عليه وسلم إن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان ○ وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وإنما نهيه صلى الله عليه وسلم
عن التعيير بمثله نهي تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص فيه أن يقول من أنت وهل أنت إلا
من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بني أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس
أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم
حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل إذ ما من أحد إلا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب
وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب للأعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما
تكلمت وما أحقرك في عيني بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين
فحرام بالاتفاق لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه
إن ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز أن يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام
ولا هو مثل الحرام كالنسبة إلى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه (وسلم)
أرسلن إليه فاطمة رضي الله عنها فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة والنبي صلى الله عليه
(وسلم) نائم فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال صلى الله عليه (وسلم) فأحبي هذه فرجعت إليهن فأخبرتهن بذلك
فقلن ما أغنيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر
[illegible] وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسببتها حتى جف
لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] أبي بكر يعني أنك لا تقاوميها في الكلام ○ وقولها سببتها ليس المراد به

[illegible] قالوا يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال
[illegible] لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ○ قال أنس قال رسول الله
[illegible] ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله قال العافون عن
الناس فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب ○ وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي أمر
أن يؤتى بحد إلا أقامه والله تعالى عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية ○ وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أي أبوابها شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا
خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله فقال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم أو إحداهن ○

الآثار

وقال إبراهيم التيمي إن الرجل ليظلمني فأرحمه
وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا
يكون له جواب ○ وقال إذا أراد الله تعالى أن يتحف عبدا قيض له من يظلمه ○ ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز
فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك إن تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه
وقد اقتصصتها ○ وقال يزيد بن ميسرة إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك أنك ظلمته
فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي ○ وقال مسلم بن يسار لرجل
دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل ○ وقال أبو بكر رضي
الله عنه بلغنا أن الله عز وجل يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله عز وجل شيء فليقم فيقوم أهل العفو
ليكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس ○ وقال هشام بن محمد أتي النعمان بن المنذر برجلين أحدهما قد أذنب ذنبا
عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال: تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ○
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها ○ إلا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها ○ وقال مبارك بن فضالة وفد
سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت أيقتل رجل من
المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول إذا كان يوم
القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله تعالى يد
فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خلينا عنه ○ وقال معاوية عليكم
بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال ○ وروي أن راهبا دخل على هشام بن عبد
الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا قال لا ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه كان إذا قدر عفا وإذا
وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد ○ وقيل ليس الحليم [illegible] إذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا ○

وقال زياد الظفر بالكريم يذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب ○ وأتي هشام برجل بلغه عنه
[illegible] فقال له هشام وتتكلم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل
[illegible] تكلم ○ وروي أن سارقا دخل خيمة عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فإنه من أعدائنا فقال استر
عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة ○ وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في
عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعي فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق فقال عبد الله اللهم إن كان
حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه ○ وقال الفضيل ما رأيت أزهد من رجل
من أهل خراسان جلس إلي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني
وإياه بين يدي الله تعالى فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له ○ وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن أيوب
ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف
وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر ما لقي من كيد النساء والحبس
ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به أدال له منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين
أكمل له أمره وجمع له أهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه فقال الحكم فأنا أقول لا
تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم به ○ وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض
إخوانه فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا ○
وأتي عبد الملك بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط ما
يحب من العفو فعفا عنهم ○ وروي عن زياد أنه أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخا له فقال إن جئت بأخيك وإلا
ضربت عنقك فقال أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه
شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام قوله تعالى أم لم ينبأ بما في صحف إبراهيم وموسى الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى
فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته ○ وقيل مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان ○

فضيلة الرفق

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب
والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص
واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق
إلا بضبط قوة الغضب والشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق
وبالغ فيه فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم
حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة ○ وقال صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله تعالى أهل بيت أدخل عليهم الرفق ○

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق
إلا حرموا ○ وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف ○ وقال صلى الله عليه (وسلم)
يا عائشة ارفقي فإن الله تعالى إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق ○ وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير
كله ○ وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولي فرفق رفق الله به يوم القيامة ○ وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار كل
هين لين سهل قريب ○ وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شؤم ○ وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من
الشيطان ○ وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني
منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال صلى الله عليه وسلم هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال صلى
الله عليه وسلم إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانته عنه ○ وعن عائشة
رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ○

الآثار

بلغ عمر رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام
عليه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير أيها الرعاة
إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله تعالى ولا أعم من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى الله عز وجل
ولا أعم من جهل إمام وخرقه واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه ○ وقال وهب بن منبه
الرفق ثني الحلم ○ وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه
والصبر أمير جنوده ○ وقيل ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف
شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم ○ وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال
معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضرك ○ وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور
مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه إشارة إلى
أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن
لما كانت الطباع إلى الحدة والعنف أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر ولذلك كثر ثناء الشرع على جانب
الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن قال الشاعر: ووضع الندى في موضع السيف
بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى ○ فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد
بالشهد هكذا كذي قال عمر بن عبد العزيز ○ وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية أما بعد
فإن التفهم في الخير زيادة ورشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من [illegible] عن الأناة فإن المتثبت مصيب أو كاد أن

دا الرشد

يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي ه وقال ابو حمزة لا يحقن الحلم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا ه واعلم انهم لا يعطوك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه ه وقال الحسن المؤمن وقاف متاني وليس كحاطب ليل فهذا ثنا اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق من مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر ه

القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته — بيان

ذم الحسد ه اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب والغضب اصل اصله والحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد احاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ه وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ه وقال انس كنا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من اهل الجنة فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوءه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل بعينه وقال صلى الله عليه في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت اني لا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي الثلث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم الا لصلاة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين ابي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله تعالى قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق ه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ ه وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة ه وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم ه وقال صلى الله عليه وسلم

البغضة

انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال صلى الله عليه وسلم الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج ه وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك ه وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ه وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ه وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون ه وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ه وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال صلى الله عليه وسلم الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ه وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد ه قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس ادم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية ه وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يوميذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشي فقال ما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر الاية واياك والحرص فانه اخرج ادم عليه السلام من الجنة اسكنه الله سبحانه جنة عرضها السماوات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فحمله الحرص فاكل منها فاخرجه الله منها ثم قرا اهبطا الى اخر الاية واياك والحسد فانما قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني ادم الايات واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت ه وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذا الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسي سيكفيكه مساوه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذايك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذا الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه فان المسي سيكفيكه مساوه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجايزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في امري حتى تراجع الملك

فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته ثم قال مثل قوله فعجب الملك وقال ما صنعت بالكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال له الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسي مساوه ه وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شي من الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار ه وقال رجل للحسن هل يحسد المومن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا ه وقال ابو الدردا ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده ه وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ه شعر

كل العداوة قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك عن حسد

ه قال الحكيم الحسد جرح لا يبرى وحسب الحسود ما يلقى ه وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه ه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله تعالى لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله تعالى وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار ه وقيل الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملايكة الا لعنة وبغضا ومن الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا ه

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

ه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهية النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني قال صلى الله عليه وسلم المومن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو الحسد وهو حرام بكل حال الا ان تكون نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذا الخلق فلا يضرك كراهيتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضا الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان لك فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سوا وذكر الله تعالى [illegible] يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه

احب الى ابينا منا ونحن عصبة الاية فلما كرهوا حب ابيه له وساهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم فانزل الله تعالى العلم ليجمعهم ويولف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض ه قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا وكانوا ينصرون فلما جا النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا كفروا به الى قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا ه وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جا ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى عليه السلام قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليس بحرام بل هي اما واجبة واما مندوب اليها او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة ه وقال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسالانه ان يومرهما على الصدقة قالا لعلي رضي الله عنه لا تذهبا اليه فانه لا يومركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزوجك فاطمة والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها كيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يوته مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سوا وهذا منه حب لان يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يوته علما فهو ينفقه في معاصي الله عز وجل ورجل لم يوته الله تعالى علما ولا مالا فيقول لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سوا فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له مثل النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما احب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة [illegible] كالايمان والصلاة والزكاة فهذه

المنافسة واجبة وهو ان يجب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك يكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال صلى الله عليه وسلم وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب مساواته ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به وتكون كراهيته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فهي اربعة الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذه غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها والثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الاخرة والثانية والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع

ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الان في الحسد المذموم وهو كثير جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد الاسباب فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصاب عدوه بلية فرح وظن انه مكافاة من جهة الله تعالى له على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته نعمة من الله تعالى ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله تعالى حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ الاية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل من غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف

ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم

السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم فتعجبوا ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال الله تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منهما منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له

السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم

السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم به عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده كانهم ياخذون ذلك من

خزائنه وملكه ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته ويستحيل في العادة زواله فهذه اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين بل بين متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك

حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه فلا يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى من النعيم وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة ولا ينقص بعض الناظرين على بعض لذته بالانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه وان المال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفته ويأمن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم غدا عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض ولا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعتها تفي بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السماوات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فانت في ذلك معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة تختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ۝

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب ۝

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه لا ضرر على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله تعالى وانبياءه عليهم السلام في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله تعالى من نعم يفيضها عليهم ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير فائدة ولا جدوى واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله عز وجل من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة تزول عن المحسود [illegible] غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله تعالى [illegible] ان كانت شيء ايضا الا ان الكفار يحسدون

المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب ان يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده
لا يكون لهم هو بارادته تقبل الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعم عن المحسود بالحسد
فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذى ساير النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك
فلا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان تخص بهذه
الخاصية ولست اولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك
تكرهها واما المحسود فينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما
اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه
اعني انك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة ان كنت تؤمن بالبعث فانك تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما
عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعم فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ
وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو
ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من
الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك
لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك لكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك
حسدا وغما وقيل لذلك لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد ۝ لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من
يحسد ۝ ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الحسد لكان ذلك اعظم مصيبة
وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذن اذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك
وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما
عند الخلق والخالق عز وجل شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود دايمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد
عدوك حتى توصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع
والجاه والمال التي اختص بها عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير لاخيه
المسلم كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم فبغضه اليك
حتى لا تحبه لاجل كمال الحسد بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب ۝ وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها قال ما [illegible] لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله
فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال [illegible] ح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان

اكثر همهم كان حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال انس فنحن نحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر
ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم ۝ وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب
الصايم ولا يصوم حتى عد اشيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب ۝ وقال رجل لعمر بن عبد العزيز كان
يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون
متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لكل شيء مخرجا ۝ فانظر الان كيف
حسدك ابليس فيفوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا
وعساك تحسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله تعالى وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه
حتى لا يتكلم او لا يعلم ويتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب
الاخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي يكف عنه الاذى والحسد
والبغضا والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تكون من اهله فقد نفذ عليك حسد
ابليس وما نفذ حسدك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في
صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود
ثانيا فيرميه اشد من الاولى فيرجع الحجر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم
في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية
الشيطان لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العايد لم يفوت الا العين ولو بقيت العين لفاتت بالموت لا محالة والحسد
يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان
تبقى له عين يدخل بها الى النار فيذهبها لهب النار فانظر كيف انتقم الله تعالى من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود
فلم يزلها عنه ثم ازال نعمة الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة تصديقا لقوله تعالى ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى
قالت عايشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان رضي الله عنه شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد
نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهذا
الذي به هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من
قلبه نار الحسد وعلم انه يهلك نفسه ويفرح عدوه ويسخط ربه وينغص عيشه واما العمل النافع فهو ان يخالف الحسد
فكلما تقاضاه الحسد به من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح
له والثنا عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه الا [illegible] وان بعثه على كف الانعام عنه الزم

نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه فتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا يكسر سورة العداوة من الجانبين ويقل من غربتها وتعود القلوب الى التالف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدوا المر فمن لم يصبر على مرارة الدوا لم ينل حلاوة الشفا وانما تهون مرارة هذا الدوا اعني التواضع للاعدا والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضا الله تعالى وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف مراد الله تعالى وعند ذلك يريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدوا الكلي فاما الدوا المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا واذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسو حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك في باطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهية لهذه الحالة فانت ايضا حسود لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم الاية وقال تعالى ودوا لو تكفرون وقال سبحانه وتعالى ان تمسسكم حسنة تسوهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين

الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سوا فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله تعالى وافعالهم افعالا لله تعالى ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهيته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سيل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث لا يخلو منهن مومن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهية تمنعه من البغي ومن الايذا فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل بظاهره على ان كل حاسد اثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل من يحب مساة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه اثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الايات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدايك ثلثة احوال احدها ان تحب مساتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه والثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا والثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه

كتاب ذم الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي عرف اولياه غوايل الدنيا وافاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها واياتها ووزنوا بحسناتها سياتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سو قبايح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها فاذا اقبلت لم يومن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة ...

فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة وكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمومها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كأنها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه جعلته حصيدا كأن لم تغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا ۞

اما بعد فان الدنيا عدوة الله تعالى وعدوة لاولياء الله تعالى وعدوة لاعداء الله تعالى اما عداوتها لله تعالى فانها قطعت الطريق على عباد الله تعالى ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله تعالى فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله تعالى فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشيء لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله سبحانه بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى ۞

بيان ذم الدنيا ۞

الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا راس كل خطيئة

وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك ۞ وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ۞ وروي انه صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا ۞ وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب ۞

وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب الكنز يخاف عليه الآفة يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله تعالى عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا ۞ وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم ۞ وقال ايضا رواه موسى بن يسار الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل منها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا فانه منذ خلقها لم ينظر اليها ۞ وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره بعابد فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما فسمع سليمان عليه السلام كلامه فقال لتسبيحة مؤمن خير مما اعطي الله ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى ۞ وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له ۞ وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله تعالى في شيء والزم الله تعالى قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ۞ وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله

فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها جماجم رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال
صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل آمالكم ثم هي عظام بلا جلد ثم هي صائرة
رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت
والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه عظام دوابهم
التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ٥ ويروى
في بعض الكتب ان الله تعالى لما اهبط آدم عليه السلام الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفنا ٥ وقيل مكتوب
في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك
والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفنا تصير قضيت عليك يوم خلقتك الا
تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا
ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم
والملائكة حافون بهم حتى انعمهم ما يرجون من رحمتي ٥ وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض
منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك
لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم ٥ وفي اخبار آدم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل
ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في هذه الحبة الشجرة فلذلك نهي عن اكلها فجعل يدور في الجنة
فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال اي شي تريد قال آدم عليه السلام اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل
للملك قل له في اي مكان تريد ان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا
يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر
بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال صلى الله عليه وسلم نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من
الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه ٥ وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين
اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن
دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما
بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار ٥ وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الآخرة
والدنيا في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ٥ ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول
الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر ٥ وقيل لعيسى عليه السلام
لو اتخذت بيتا قال يكفينا بيت من كان قبلنا ٥ وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من

هاروت وماروت ٥ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه ثم قال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه
العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله
فيها اعطاه الله سبحانه علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا
بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر
على الغنى لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله سبحانه ثواب خمسين صديقا ٥ وروي ان عيسى عليه السلام اشتد به
المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجا اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها واذا هو
بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فقال الهي لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله عز وجل اليه ماواك في مستقر
رحمتي لازوجنك يوم القيامة مائة حورية خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن
مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا احضروا عرس الزاهد عيسى بن مريم عليهما السلام ٥ وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب
الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما
يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا عند الله تعالى ٥ وقيل اوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار
هي الا لعامل يعمل فيها فنعم الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم ٥ وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى بهم صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة
قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله قال ابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى ان تبسط عليكم
الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم ٥ وقال الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقال صلى الله عليه زهرة الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ونهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها ٥ وقيل مر عيسى عليه السلام
بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك
لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان
الليل اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله وكلمته فقال ما حالكم وما قصتكم فقالوا بتنا
في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا للدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال
حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي
ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت [illegible] بينهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا

معلقون على شفير جهنم لا ادري لعلي واقع فيها ام انجو منها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم
على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة ٥ وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا تسبق فجا اعرابي
بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيا الا وضعه ٥ وقال
عيسى عليه السلم من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلك الدنيا فلا تتخذوها قرارا ٥ وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا
يحبنا الله تعالى عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى ٥ وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ٥ ثم قال ابو الدردا من عند من قبل نفسه لو تعلمون
ما اعلم لخرجتم الى الصعيد تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب
عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهايم
التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوايكم الا خبث
سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته
ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها
املك بامورکم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف
في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمين اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم
انكم تبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون
على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم
قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حال بكم اني ارى كثيرا فتبرى منكم يلقى بعضكم بعضا
بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم
على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحني منكم والحقني بمن احب رويته ولو كان حيا لم يصابركم
فان كان فيكم خيرا فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم ٥ وقال عيسى
عليه السلم يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ٥
وينشد ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ٥ فاستغن بالدين عن دنيا الملوك
كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ٥ وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر ترك الدنيا ابر ٥ وقال نبينا صلى الله عليه
لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب ٥ واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم يا موسى لا تركنن الى
حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها [illegible] على رجل [illegible] وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك

يبكي من مخافتك فقال الله تعالى له يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو
يحب الدنيا ٥

الآثار

قال امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من جمع
ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا للنار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق
فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها ٥ وقال الحسن رحم الله اقواما كانت
الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ايتمنهم عليها ثم راحوا خفافا ٥ وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن
نافسك في دنياك فالقها في نحره ٥ وقال لقمان يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك
فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان به تبارك وتعالى وشراعها التوكل على الله سبحانه لعلك ناج وما اراك ناجيا
وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا قال الحكيم انك لن تصبح في شي من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من
الدنيا الا عشا ليلة وغدا يومك فلا تهلك في اكله وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار
وقيل لراهب كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال
من ظفر به تعب ومن فاته نصب وينشد ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها ٥ اذا ادبرت
كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها ٥ قال الحكيم كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن
اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية ٥ وقيل خبث
الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص ٥ وقال سفيان اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في
غير اهلها ٥ وقال الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية
وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله تعالى منها فلا تاخذه الا من
حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا ٥ وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لا تعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب
الخروج منها ٥ وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجي في طلبك ٥ وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على
ذهب يبقى ٥ وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم
ما حقره الله تعالى ٥ وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل
والعارية مردودة ٥ وينشد وما المال والاهلون الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع ٥ وزار رابعة
اصحابها فذكروا الدنيا وذموها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من
احب شيا اكثر من ذكره ٥ وقيل لابراهيم بن ادهم [illegible] نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع ٥ أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وإنعاما كبان
بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما ٥ هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال ٥ وما دنياك إلا مثل
فيء أظلك ثم آذن بالزوال ٥ وقال لقمان يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا ٥
وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم ٥ وقال
ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع ٥ وقيل الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم ٥ شعر يا خاطب الدنيا إلى
نفسها تنح عن خطبتها تسلم ٥ إن التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم ٥ وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله
أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها شعر إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق ٥
يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا ٥ أفنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي إقبالا وإدبارا ٥
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا ٥ هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس أبكارا ٥
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النارا ٥ قال أبو أمامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال أيحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا
الأوثان وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه وإمساكه عن حقه والشر كله تبع
لهذا ٥ وقال رجل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال كرم الله وجهه وما أصف لك من دار
من صح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب ٥
وقال رضي الله عنه طولت أم قصرت حلالها حساب وحرامها عذاب اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا ٥ وقال
أبو سليمان إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا
لئيمة ٥ وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة تجتمعان في القلب فأيهما
غلب كان الآخر تبعا له ٥ وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم
الدنيا من قلبك ٥ وهذا اقتباس مما قاله عيسى عليه السلام الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي إحداهما تسخط الأخرى ٥
وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا عليهم أم
غربت أذهبت إلى ذا أم ذهبت إلى ذا ٥ وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن
فيه أن يتعيش فيه يعني التنعم قال لا لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره ٥ وقال
الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا
مر بها أن تصيب ثوبه ٥ وقيل لما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل

فسلم عليه وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل
وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ٥ وقال الحسن والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم
الرحمن بحبهم الدنيا ٥ وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا
منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ٥ وقال لقمان لابنه إنك استدبرت الدنيا يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت
إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ٥ وقال عبد الله بن مسعود إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته
وهو راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر ٥ وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما
قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له ٥ وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال هذا
قاله عز وجل من خلقها وهو أعلم بحالها منكم وأعلمكم إياها وخطرها وحذركم منها وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة
الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل منها إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب ٥ وقال أيضا
مسكين ابن آدم رضي بدار إن أخذ من حلالها حوسب عليه وإن أخذ من حرامها عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله
يفرح بدرهمه ولا يهتم بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه ٥ وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز
سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات ٥ فأجابه عمر السلام عليك كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة
لم تزل ٥ وقال الفضيل الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد ٥ وقيل عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح
وعجبا لمن يعلم أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها وعجبا لمن يعلم أن القدر
حق كيف ينصب ٥ وقدم على معاوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء
وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها
قال له سلني ما شئت قال له عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك ٥ قال داود
الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك ٥ وقال بشر من سأل الله
الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه ٥ وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق به شيء يسوءك ٥ وقال الحسن
لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث أنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه ٥ وقيل
لبعضهم أي الغنا قال إنما الغنا من عوفي من رق الدنيا ٥ وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه
ما يشغله بالآخرة ٥ وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا يدعنا الله تعالى على هذا
فليت شعري أي عذاب الله ينزل ٥ وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة ٥ وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله
ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها وإذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فإذا نفد أعاد عليه

وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطًا ۞ وكان رجل يدعو يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أمسك
الدنيا عني ۞ وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلًا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد
في سبيل الله واجتنب محارم الله وعظّم الدنيا في عينه فيؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظّم في عينه ما
صغّره الله وصغّر في عينه ما عظّمه الله كيف ترى حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا
من الذنوب والخطايا ۞ قال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعوانًا
وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء إلا وجدت فاجرًا قد سبقك إليه ۞ وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء
والأرض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم القيامة يا رب لم تبغضني فيقول اسكتي يا لا شيء ۞ وقال
ابن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير إليه ۞ وقال وهب بن منبه من فرح بشيء
من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلبه هواه فهو المغلوب
لا الغالب ۞ وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيّع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وذكروا
أبوابًا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا ۞ وقيل الدنيا تبغّض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت
إلينا ۞ وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها قيل والآخرة لمن قال لمن طلبها ۞ وقيل الدنيا دار خراب وأخرب منها
قلب من يعمرها والآخرة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها ۞ وقال الجنيد كان الشافعي رضي الله عنه
من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ أخًا له في الله تعالى وخوّفه بالله تعالى فقال يا أخي إن الدنيا دحض
مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها
إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله تعالى وارض برزقه عز وجل لا
تستسلف من دار بقائك في دار فنائك فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وقصّر من أملك ۞
وقال ابن أدهم لرجل أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت
إن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة ۞ وقال إسماعيل بن عياش
كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة يقولون إليك عنا يا خنزيرة ولو وجدوا لها اسمًا أقبح من هذا لسموها به ۞ وقال
كعب لتحببن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها ۞ وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره
قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه ۞ وقيل الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله تعالى فكيف الوقوع
فيها ۞ وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن ۞ وقال بندار إذا
رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان ۞ وقيل من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني
الحرص حتى يصير رمادًا ومن أقبل على الآخرة صفّته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله تعالى

أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرًا لا حد لقيمته ۞ وقال علي رضي الله عنه إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس
ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر
والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات
المرأة وهي مبال في مبال وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها ۞

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله تعالى على وجل ولا تغتروا بالأمل
ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة مكارة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها
وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة
فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها
يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من
رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل وهل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى
لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى وماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك
وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك
فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى
السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك
وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتهنًا بأعمالك ۞ وقيل إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطي حاجته
منها لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى
جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به من أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي
تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له إذ أبكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد
تعقد التاج على رأسه اليوم وتعفره في التراب غدًا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفًا
وترضى بالبدل من كل بدلًا ۞ وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما
أنزل آدم عليه السلام إليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد فيها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل
تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهي حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلًا
مخافة ما يكره طويلًا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة
التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية فالعيون إليها
ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر على

الاول من دحر ولا العارف بالله تعالى حق اخبرته عنها مذكر فيا شوقا لها فقد ظهر منها الحاجة فاعتز وطغى وتبع للفساد فشغل بها اليه حتى زالت عنها قدمه فعظمت بليته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته وكم من راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار منها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى فنا فسروره مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى ولا يدري ما هو آت فيتطر امانيها كاذبة وامالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن ادم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعما على خطر ومن البلا على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل زاجر عنها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقص عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها وكره ان يخالف الله تعالى على امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه زواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية ان الله تعالى قال لموسى عليه السلم اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت فاقتد بصاحب الروح والكلمة ابن مريم عليهما السلم كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتا مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض امسي وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس على الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلم الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سكونها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفورا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى يثبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه ياملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف اوليائي فقد بارزني بالمحاربة انا الثائر لهم يوم القيامة

ومن خطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ايها الناس اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وم

توقفون على اعمالكم وتجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا يدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخا فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب واسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار الثرى فارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تعاينت الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا الله واياكم دار المقامة من فضله انشاء الله انه رحيم ودود حميد مجيد ۝

وقيل الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله تعالى فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحليم وقد اعيت الواصفين لعيوبها بظاهر افعالها وما تاتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب ۝ وقال حكيم وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور ۝ خطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به وتفعلون ما تظهرون [illegible] انكم حمقى وان كنتم تكذبون به فهلكى ما خلقتم

للابد هاهنا ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم اليه صائرون وفيه خالدون ثم غلبه البكا ونزل ٥ وقال علي رضي الله عنه في خطبة اوصيكم بتقوى الله تعالى والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية لاجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبوسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه ٥ وقال محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل والعلم والمعرفة والادب ان الله تعالى قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا واخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه ما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية فتزودوا منها كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا وكل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم ٥

بيان صفة الدنيا بالامثلة ٥

اعلم ان الدنيا سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا ثم تخلف بالوفا تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سايرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ٥ وانشد الحسن رحمه الله

احلام نوم او كظل زائل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع ٥

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل

يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ... ان اغترارا بظل زائل حمق ٥

ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة ورحلوا فاصابته الشمس فانتبه يقول

الا انما الدنيا كظل لبسته ... ولا بد يوما ان ظلك زائل ٥

وينشد

وان امرا دنياه اكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور ٥

ومثال الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون ٥ وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه وكذلك الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شي مما ركنوا اليه وفرحوا به ٥ فقيل لبعض الحكما اي شي اشبه بالدنيا قال احلام النايم ٥

مثال الدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها

[illegible] بالتلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك

آخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا انكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف اهلكتهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر ٥

مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها ٥

اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رايت في النوم عجوزا متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اوما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم ٥ وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطا تصفق بيديها وخلفها خلق كثير يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهولا ثم بكا ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم بغداد ٥ وقال الفضيل بن عياض يوتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطا زرقا انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اشياعها واتباعها ٥ وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب وهي لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شي راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شي راه الناس عجوز شمطا شوها قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت لها من انت قالت انا الدنيا ٥

مثال اخر للدنيا وعبور الانسان بها ٥

اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فقال في ظلها ساعة ثم راح ٥ ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن الى الدنيا ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال صلى الله عليه وسلم ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الاخرة فالمهد هو

الميل الاول على رأس القنطرة والحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة فرسخ محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها
وربعها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها ولابد من العبور والبنا على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة
وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان . **مثال آخر** في لين مأخذها وخشونة مصدرها .
اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة حظها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا
سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي كرم الله وجهه الى سلمان رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا
مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها
وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام .

بعد الخوض فيها

مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص منها بعد تبعاتها . قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب
الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه . وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم
يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان
بل لو اخرجوا منها كانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة
الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم
كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ باكله مع شدة الجوع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد
حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب
اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يخرق او يقحل يوشك ان يكون
وعاء العسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب
اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله . **مثال آخر** لما بقي من الدنيا وقلتها بالاضافة الى ما
سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط
في آخره فيوشك ذلك ان ينقطع . **مثال** لاداء علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك .
قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله . **مثال**
لمخالفة اول الدنيا لآخرها ولحسن اوائلها وخبث عواقبها . اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة
كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده
للاطعمة اللذيذة من النتن اذا بلغت في المعدة غايتها وكما انه كلما كان الطعام الذ طعما واكثر دسما واظهر
حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا [illegible] في القلب هي اشهى واقوى فنتنها وكراهيتها والتأذي

بها عند الموت اشد بل هي في دار الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ ولده وماله تكون مصيبته وتفجعه والمه في كل ما
فقده اشد ولذته فيما وجد منها وحرصه عليها اعظم وافرح وكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد
ادهى وامر وما الموت معنى الا فقد ما في الدنيا فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي
الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال صلى الله عليه وسلم فالى ما يصير قال الى ما قد
علمت يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم . وقال ابي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما
يصير . وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان
قزحه وملحه . وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمونه حيث رأيتم وقال الله عز وجل
فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه . وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسألك واستحيي فقال لا تستحي
وسل قال اذا قضى احدنا الحاجة وقام نظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما ذا صار
وبخلتم وعليه وسمنه . **مثال** في نسبة الدنيا الى الآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه
ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع اليه . **مثال**
الدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها . اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم
كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة وامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور
السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ
اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها
الملتفة وطيورها والحانها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها وثمارها وجواهرها
ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب
صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف
والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة
ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد في السفينة مكانا لها فحملها على عنقه وهو متأسف
على اخذها وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه عن المركب
حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتفرج والتشمم لتلك الازهار والانوار من بين تلك الاشجار وهو مع ذلك
خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه
وشوكة تدخل في رجله او يده وصوت هائل يفزع منه وعوسج [illegible] وهتك عورته وهذا يمنعه بعوقه عن

الانسان البقا والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه
فمهما تناوله العبد من الدنيا على قصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه
الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا
صفات ثلاث صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته
لا يحصل الا بالكف عن الشهوات الدنيوية والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة [illegible] والحب لا
يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت
وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله تعالى كما ورد
في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت
الصدقة تدفع عنه الحديث . واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه
السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر
عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة
جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع امنا من الفراق
وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه [illegible] وسدت
عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما هذا حال من ليس له الا محبوب واحد يؤخذ منه ذلك الواحد [illegible]
على الله تعالى فاذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث [illegible] والفكر [illegible]
التي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن [illegible] البدن وصحة البدن
لا ينال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه [illegible] لله اذا اخذه
العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة وان [illegible] النفس على قصد
التنعم صار من ابناء الدنيا الراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب
في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب وفي طول الحساب عذاب
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقال ايضا حلالها عذاب [illegible]
والصبر يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل الحساب والمحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد
عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب
لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء
لها هو ايضا عذاب [illegible] الى اقرانك وقد سبقوك بسعادة [illegible] كيف ينقطع قلبك

حسرة مع علمك بانها سعادات منصرفة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حال الفوات سعادة
[illegible] وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى
خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه
هذا من النعيم الذي تسألون عنه اشارة الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار
وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء
بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعون الا ما اعان على
تقوى الله [illegible] ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام
وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان
يطعم الناس لذائذ الطعام وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ
الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا روي ان الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على
بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا
عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا
له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله تعالى فهو من الدنيا وما هو لله تعالى فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي
هو لله تعالى فاقول الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات
والتنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى ويمكن ان
يجعل لغير الله تعالى وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث
سوى امر الله تعالى واليوم الآخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول
من الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا
من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله تعالى وذلك
كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده وان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على
التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله تعالى
وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر . فانظر كيف
اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور يجمعها الله تعالى في قوله عز وجل انما الحياة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي يحصل هذه الخمسة منها سبعة يجمعها قوله تعالى

الانصراف لو ازدهاه فلما اجتمعوا في السفينة انصرف بعضهم مشغولا بما جمعه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا
وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال
ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزهرة فقد استرقه
وشغله الحزن بحفظه والخوف من فوته وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان
من الاحجار فظهر نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه مؤذيا بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هاربا منها
وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح والاطعمة فبلغ سقيما مدبرا
ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة قريبة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا
وجد المكان الاوسع ووصل الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم
موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب
والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل
له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى ه **مثال**
لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم يقول الله العظيم في تجريه اياهم عن ابناء الدنيا ه قال الحسن البصري بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا
ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة
فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما
انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام انتم قالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا
لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله سبحانه لا يعصونه شيئا قال فاوردهم
ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله تعالى ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم
ورياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم يا هذا والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا
وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه
فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبادرهم عدو فاصبحوا بين اسير وقتيل ه **مثال**
لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها ه اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو
الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه
لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر
وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله تعالى في الدنيا

علم انها دار ضيافة سبيلة على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون
كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها ه **بيان**
حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد ه اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما ينبغي ان يجتنب
منها وما لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول
دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوالك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر
يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا
ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام الاول ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد
الموت وهو العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه
وسمائه والعلم بشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك
الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا
ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو
منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وقال آخر
اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم
الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في
الحس والمشاهدة فهو من عالم المشاهدة والشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في
الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا ه القسم الثاني
وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات
الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة
فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه
انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر
قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله تعالى خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك
انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه ه القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين
الى حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الط[illegible] الواحد الخشن وكل ما لا بد منه لينال

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى ليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس
هو لله سبحانه ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله تعالى وبين التنعم والضرورة درجة
يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة
غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه فينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا
يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له
بيتا على باب دارهم وكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون وجهه لانه كان يخرج الى المسجد اول الاذان
ويعود الى منزله بعد العشاء وكان طعامه ان يلتقط النوى وكلما اصاب الحشف خباه لافطاره وان لم يصب ما يقوته من الحشف
تصدق بالنوى فان لم يصب ما يقوته من النوى باع الحشف واشترى بثمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع
الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ربما مر بالصبيان فيرمونه بالحجارة ويظنون انه
مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا
اصيب الماء فهكذا كانت حاله ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن
اشارة اليه ولما ولي عمر رضي الله عنه قال يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا
من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال الا من كان من مراد فقاموا فقال الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل
واحد فقال له عمر رضي الله عنه اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما
تسال عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه
ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن
حيان لما سمعت هذا من عمر رضي الله عنه قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى وجدته
جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضا ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة
محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فمددت يدي
لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت يا اويس رحمك الله كيف انت غفر الله لك ثم خنقتني العبرة من رقتي عليه حين رايت
من حاله ما رايت فبكيت وبكى ثم قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي فقلت الله تعالى
فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا فعجبت حين عرفني لا والله ما رايته قبل ذلك اليوم ولا راني
فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك

ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله تعالى وان لم يلتقوا يتعارفون
ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه
منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه كما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او قاضيا
في نفسي شغل عن الناس يا هرم فقلت يا اخي اقرأ علي اية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها
عنك فاني احبك في الله تعالى حبا شديدا فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي
والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله تعالى انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد
غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات ابوك ادم وماتت امك
حواء ومات نوح وابراهيم خليل الرحمن وموسى نجي الله يا ابن حيان ومات داود ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول رب
العالمين ومات ابو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي ثم
قال واعمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال هذه وصيتي يا هرم بن
حيان كتاب الله تعالى ونعي الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة
عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت
لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة وادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني
وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وارضه من الدنيا باليسير
وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك
الله يا هرم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب
الي لاني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وتراني فاذكرني
وادع لي وادعو لك ان شاء الله انطلق انت هاهنا وانا انطلق هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي ففارقني وبكى فابكاني
فجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله فهكذا كانت
سيرة ابناء الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت بما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد كل ما اظلته الخضراء
واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الاخرة وهو كل ما اريد به وجه الله عز وجل مما وصل بقدر الضرورة
من الدنيا لاجل قوة طاعة الله عز وجل وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل
بغير الحج بل تجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية [illegible] في يمينه ولم يكن مشتغلا

بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من
الآخرة لا من الدنيا نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال
الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة أيام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم
ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك ه

بيان

ماهية الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنساهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم ه
اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة
عن آحادها وليس كذلك أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى إنا جعلنا ما على
الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب
ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي وأما
المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد
وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب لحومها للأكل وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد
يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب
الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه
هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله عز وجل حب الشهوات من النساء والبنين وهو من الإنس
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهو من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة
والأنعام هي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين علاقة
مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه
العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب
الثناء وحب التفاخر والتكاثر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها ه العلاقة الثانية مع البدن
وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون
بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف
نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن الأعيان التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى
وأعني بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الإبل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال ومثال
العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعهدها وينظفها ويكسوها
أنواع الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور

القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي
فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن
إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا للضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما
ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه وأكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى هو البطن فإن القوت
ضروري وأمر المسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليها لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها
وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا واتصل بعضها بالبعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتاهوا
بكثرة الأشغال فنسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط
الناس في مقاصدها حتى يتضح لك أن أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الأشغال
الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر
إلى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمطر ولدفع أسباب الهلاك عن المال والأهل
ولم يخلق الله تعالى القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فإن النبات
يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني
عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية
وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس
والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي أيضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله تعالى من صيد أو
معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من
غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
وأشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات إنما تؤخذ
من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيره أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة
أنواع أخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجارة كل عامل على الخشب كيفما كان
وبالحدادة كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والإبري وغيرهما وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة وأما
الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل
مضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا باجتماع
من الذكر والأنثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس وتربية الولد فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد
لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن

يعيش كذلك ما لم يجتمع بطائفة كبيرة ليشاغل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج
الى النجار ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف يتفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى الحراثة
والنقل وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا
في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الآلات
والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتمنع الجيران عن اللصوصية ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص من
خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة
ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث ولاية وزيادة الزوج على الزوجة
وولاية الابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية
على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة ان ظلمت فاما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلاد
ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون
على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة وقد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة لعمى او مرض او هرم
وتعرض عوارض مختلفة لو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن
له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير
الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم
والتوصل الى فصل الخصومة والتوسط بينهم ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزمهم
الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا
بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة
اخرى فيحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذا اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا لتعطلت الصناعات
ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات او لطلب القوت لتعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة
الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار
فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد
باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من
يوظف الخراج على الفلاحين بالعدل وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون
والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال
لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة لانخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار

لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب
ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد
الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم
الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفيء مع مال الاصل وهو المسمى فيء الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات
ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المتردد بين الطائفتين في الاخذ
والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا الى
غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لها ولعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها في اخرى وهكذا على التوالي فهذه
الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع به واعلاها
الاغذية ثم الامكنة التي يأوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع
ثم الكسوة ثم اثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة للاصطياد والبقر آلة
للحراثة والفرس آلة للحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار
يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده
للآخر حتى ياخذ منه عوضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج
الفلاح في ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت
فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع اليه كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى
ابنية يجمع اليها ما يحمله الفلاحون من الطعام فيشتريه منه صاحب الابنية ويترصد ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق
والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها انتظارا لارباب الحاجات طمعا
في الربح وكذلك في جميع الاطعمة والامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فالناس يشترون من القرى
الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ويتعيشون به لتنتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيه كل آلة وكل قرية
لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع
الاموال فيتعبون طول الليل والنهار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع
طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت
بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا
ولهلك الزهاد منهم ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال
قد لا يكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين صاحب الدابة تسمى [illegible] الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم

يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو
والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بحيوان وطعام بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط
بين المتبايعين يعدل احدهما على الاخر فطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى ما يطول بقاؤه لان الحاجة اليه
تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير
فمست الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما ترى
فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من
يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى
فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية او الجمعها لانهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون
من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص
فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد واما
الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما ان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك
من انواع التلصص الحادث بحسب ذلك وذلك ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها فاما المكدي فانه اذا طلب
ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد
العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا في التعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون
واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابتهم من غير استحقاق ليكون ذلك سبب
الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن
قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم بعد زوال التعجب وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة
والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون
اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او
الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع
التعاويذ والحشيش الذي يتخيل انها ادوية فيخدع بها الناس وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس
الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علم وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع
الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي
اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم
ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم [illegible] اشغال [illegible]

مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم الغفلة والجهل فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود
ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا ويكسبون
لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل
ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو
انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن
والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام
ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الاخر وطائفة
ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في
الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا
وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله
في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللاكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك من غيرهم
ولا يعتبرون وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء
يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب
النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة
في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات
وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم
فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلوب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم
حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله عز وجل وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول
حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم
والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور والقدر الذي يكفي منه وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها
وتداعى بهم الى مهاوي لا يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود
منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه
بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة
وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل
الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية [illegible] فلا يبالي الله تعالى في اي واد اهلكه فهذا حال

المنهمكين في اشغال الدنيا وشهدت لذلك طايفة فاعرضوا عن الدنيا لحسدهم الشيطان لم يتركهم واضلهم في الاعراض
ايضا حتى انقسموا الى طوايف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلا ومحنة والاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سوا تعبد
في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في قتلهم انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب غلاة من طوايف الهند فهم يهجمون
على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاصهم من محن الدنيا وبلاياها ووصول الى سعادة الآخرة واخطوا
الطريق وظنت طايفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وان
السعادة في قطع الشهوة والغضب فاقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم
فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه
الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الزندقة والالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله انما هو لله تعالى
وان الله سبحانه وتعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات
وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفا توحيدهم ومعرفتهم بالله تعالى
وجلاله وكبريائه فاسقطوا عن نفوسهم بجهلهم التكليف والعبادات حيث اعتقدوا ان الله تعالى لجلاله مستغن عن
عبادة العباد وظنت طايفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى واذا حصلت
المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة والتكليف فتركوا السعي والعبادة وزعموا انهم ارتفع
محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكليف وانما التكليف على عوام الخلق وورا هذا مذاهب باطلة وضلالات
هايلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه عليه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن
طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي من الدنيا
بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن
ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك ما يمنع من الحر والبرد حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل
على الله عز وجل بكنه همته واشتغل بالعبادة والذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها
حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتدا بالفرقة الناجية والفرقة هم الصحابة رضي الله عنهم
فانه قال صلى الله عليه وسلم اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة فقال صلى الله عليه ما انا عليه واصحابي فقد
كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون
ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل
والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله عز وجل كما سبق ذكره في مواضع ٥ ٥ ٥

كتاب حب المال

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق
ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر
والطمع والاياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على
المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا
وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللا
وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب
والاطراف واسعة الارجاء والاكناف لكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة
منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة امره الا خسرا
وبالجملة فهي لا تخلو من الفوايد والآفات وفوايدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات
التي لا يقوى عليها الا ذوو البصاير في الدين من العلما الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه
في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة ولكن كل حظ عاجل والمال بعض اجزا الدنيا والجاه بعضها واتباع
شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها
كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الان في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوايل وللانسان من فقده صفة
الفقر ومن وجوده وصف الغنا وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما
مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع في ما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع اليأس والطمع شر الحالتين
وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود
هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة عشر فصلا ان شا الله وهي
بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوايد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخا ثم حكايات الاسخيا
ثم ذم البخل ثم حكايات البخلا ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظايف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم الدنيا وكراهة حبها

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر
فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله

كما تغلي وما كان يرى فقيل ما هم ۞ وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنيا ۞ وقال صلى الله عليه وسلم سياتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النسا والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام ۞ وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فانما اخذ حتفه وهو لا يشعر ۞ وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت ۞ وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله فقال صلى الله عليه قدم مالك فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه ۞ وقال صلى الله عليه وسلم اخلا ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو اهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله ۞ وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليهما السلام ما لك تمشي على الما ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سوا ۞ وكتب سلمان الى ابي الدردا يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجا بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور ۞ وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذى كلما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الان ما ورد في المال خاصة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملايكة ما قدم وقال الناس ما خلف ۞ وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا

الاثار

روي ان رجلا نال من ابي الدردا واراه سوا فقال اللهم من فعل بي سوا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله ۞ فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلا مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ۞ ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لم تنفعني ۞ وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطايها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطا عمر بعد عامي هذا فكانت اول نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به ۞ وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله تعالى ۞ وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته [illegible] من احبكما فهو عبدي حقا ۞ وقال سميط بن عجلان ان الدراهم

والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار ۞ وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه ۞ وقال العلا بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت فابغض الدرهم ۞ وذلك لان الدرهم والدينار هي الدنيا كلها اذ يتوصل بها الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره ... هذا التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بان تقاك تقوى المسلم

۞ وقال ايضا

لا يغرنك من المر قميص رقعه ... او ازار فوق عظم الساق منه رفعه
ولدى الدرهم فانظر حبه او ورعه

۞ ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المومنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان عنده ثلثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع ۞ وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ۞ ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم ۞ وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يوخذ منه كله ويسال عنه كله

بيان

مدح المال والجمع بينه وبين الذم ۞ اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جا في ثواب الصدقة والحج فهو ثنا على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال الله تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثنا على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وافاته وغوايله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا صفته فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصاير سعادة الاخرة التي هي النعيم الدايم والملك المقيم والفضل الى هذا داب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسايل في الدنيا وهي الفضايل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضايل البدنية كالصحة والسلامة والفضايل الخارجة عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما [illegible] لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر

الشريف بسعادتها والمخدوم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن خادم النفس بواسطة الحواس كالاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة بقاء النفس التي هي كمال العلم ومن عرف فائدة الشي وغايته ومقصوده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له من الغرض محمودا في حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها والة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شي من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله تعالى فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي وشرك جلي فالشرك الخفي لا يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل والشرك الجلي يوجب الخلود في النار ۝

بيان تفصيل آفات المال وفوائده ۝

اعلم ان مثل المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شره ويستدر منه خيره اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به في الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا للاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط ۝

النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهي ار[illegible] الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضايلها فيما تقدم واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنيا والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا تسمى صدقة بل الصدقة ما تسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوايد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخا ويلتحق بزمرة الاسخيا فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعرا وثلب السفها وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فايدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشرع واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شرا الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت متعوب اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران ۝

النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبنا المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السوال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقا والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة ومهما وجد حرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السرا اعظم من فتنة الضرا الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات

ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الردية لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه أصلاً ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا تخلو عن التعدي أيضاً إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل إن أخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وذلك يستدعي قلباً فارغاً وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الأموال وكسبها فإذن ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عداه سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير

بيان

ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس ٥ اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على أقله قدراً وأخسه نوعاً ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو إلى طول الأمل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ٥ وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحي إليه أتيناه فعلمنا مما أوحي إليه فجئت ذات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون إليه الثاني ولو كان له الثاني لأحب [illegible] الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ٥

وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ٥ وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ٥ وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال ٥ ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به ٥ وقال عليه السلام ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس ٥ ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة ٥ وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه ٥ وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ٥ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار ٥ وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن قنعاً تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ٥ ونهى صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً واجمع اليأس مما في أيدي الناس ٥ وقال عوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله فقلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئاً قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه ٥

الآثار

وقال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر واليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس استغنى عنهم ٥ وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل

العيش ساعات تمر وخطوب أيام تكر ٥ فاقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر

فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر ٥ وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ٥ وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ٥ وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ٥ وقال سميط بن عجلان إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار ٥ وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ٥ ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت

وحملت حبابها على غيرك فانا اليك محتاج ٥ وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي
الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له وما رزق ٥ وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه
الا رفع حوائجه فكتب اليه قد دفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت ٥ وقيل لبعض الحكما
اي شي اسر للعاقل وايما اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها على دفع الحزن الرضا
بمحتوم القضا ٥ وقال بعض الحكما وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على
الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط ٥ وقد قيل ارى ابا
فتى يمشي على يقينه ان الذي قسم الارزاق يرزقه ٥ فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه ٥
ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق في دهره شيئا يؤرقه ٥ وقال آخر ٥ حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي
وادبار واقبال ٥ ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي ٥ بمشرق الارض طورا ثم مغربها لا
يخطر الموت من حرص على بالي ٥ ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال ٥ وقال عمر رضي الله عنه
الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل جلباب لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت
رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم والله ما ادري ايحل ذلك ام لا ٥ كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة
على الكفاية التي تجب القناعة بها ٥ وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا
تفوته وتطلب انت ما قد كفيته فكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما
وزاهدا مرزوقا ٥ وقيل ارى ابن آدم لا يزال حريصا على الدنيا كانك لا تموت ٥ فهل لك غاية ان صرت يوما اليها
قلت حسبي قد رضيت ٥ وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله
ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكني اعلمك ثلاث خصال هن خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما
الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل فقال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما
صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم صارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت
من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الثنتين
فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا
فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت ٥ وهذا مثال لفرط طمع الادمي
فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون ٥ وقال ابن السماك ان الرجا حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجا من
قلبك يخرج القيد من رجلك ٥ وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما
رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزاين بني امية فاستحسنتهما وقد

اضفت اليهما ثالثا وانشدني ٥ اذا سد باب عنك من غير حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها ٥ فان قراب البطن يكفيك
ملؤه ويكفيك سوات الامور اجتنابها ٥ فلا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها ٥ وقال عبد الله بن
سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج ٥ فقال رجل للفضيل
فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشي يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان
يفوتها شي ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت
له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان
خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان ٥ وقال بعض الحكما من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقا
في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ٥ وقال
عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واومى بيده
الى رحا اضراسه ٥

بيان علاج الحرص والطمع والدوا الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم ان هذا الدوا مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة
والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر
خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام
ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر باذنى جهد ويمكن
معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال صلى الله عليه
ان الله يحب الرفق في الامر كله ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد ٥ وقال عليه السلام ثلاث منجيات خشية الله في
السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب ٥ وروي ان رجلا ابصر ابا الدردا يلتقط حبا من الارض
ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك ٥ وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح
جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة ٥ وفي الخبر التدبير نصف العيش ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن
بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا
ومخرجا ٥ والتؤدة في الانفاق من اهم الامور ٥ الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل
المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليس هو
السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان
الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشا ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل
في السوال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك [illegible] احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله عز وجل

لتوهم تعب في ثاني الحال ربما لا يكون فيه مثله قبل . ومن شوق البا غاب في جمع ملحوظ ما فاته فرق فالفقر نقد الفقر ٥ وقد دخل ابنا
خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه ليس عليه قشر ثم
يرزقه الله تعالى ٥ ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك
وقال صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له
من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا محالة مع
الإجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق العبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم أبى الله
أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ٥ وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي الله
في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ٥ وقال المفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذور الحاج وإذا صدروا
فبكى وقال لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش ٥ وقال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو
طلبته بقوة السماوات والأرض وشيئا منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع
الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر ٥ الثالث
أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة
لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا
يطلع عليه أحد وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على
متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك
يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن غناه
عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فأنت نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره ٥ الرابع
أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر
إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطلع على أحوالهم ويخير
عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر على
القليل والقناعة باليسير فإنه من تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وإن تزين
في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء ٥ الخامس
أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد
من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع

بما يكفيه التحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان
أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف
نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون
بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم ٥ قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي
أي في الدنيا ٥ وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر
إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه ٥ فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل
وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة
طمعه في انتظار الشفاء ٥

بيان فضيلة السخاء

اعلم أن المال إن كان مفقودا
فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف
والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنة ٥ وقال جابر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه
بهما ما استطعتم وفي رواية فأكرموه بهما ما صحبتموه ٥ وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جبل الله تعالى وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق ٥ وعن جابر قال قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة
وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان
يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله عز وجل فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبد خيرا
استعمله على قضاء حوائج الناس ٥ وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام ٥ وقال أبو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة
في النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار ٥ وقال أبو سعيد الخدري قال
النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه
من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي ٥ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فإن الله
آخذ بيده كلما عثر ٥ وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين
إلى ذروة البعير فإن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة ٥ وقال صلى الله عليه وسلم إن الله جواد يحب الجواد
ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها ٥ وقال أنس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا

مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن رضوان الله عليهم لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية
قال الحسن إن علينا دينا ولا بد من إتيانه فركب في أثره فلحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا
وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد ٥ وعن واقد بن محمد الواقدي
قال حدثني أبي أنه رفع قصة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك
خصلتان سخاء وحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يدك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة
ألف درهم فإن كنت أصبت فازدد في بسط يدك وإن كنت لم أصب فجنايتك على نفسك وأنت حدثتني وأنت على قضاء
الرشيد عن محمد بن إسحاق الزهري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء
العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة
المأمون إياي الحديث أحب إلي من الجائزة وهي مائة ألف ٥ وقد سأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا
حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله قليل
وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت
فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى
استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف فأحضر خمسين ألفا فقال فما فعل الخمسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها
فأحضرها فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل فقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع إليهما الحسن رداءه لكري الحمل
فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم ٥ واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس
وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى أن يكون كل واحد منا مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير
وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال
احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها
فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا ٥ وحكي
أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان أني عدوه فعال محاويجهم إلى أن رخصت
الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمته خمسمائة ألف ألف فلما تعذر
عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته ٥ وكان أبو طالب بن سكرة شيعيا
فقال له رجل أنت علي بن أبي طالب لما وهبتني حلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحق عليه لأعطينك ما طلبها وكان
ذلك أضعاف ما طلبه الرجل ٥ وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما
أعطيك ولكن [illegible]

بيس حتى دفع العشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس ٥ وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه
شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه فكتب
الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا عليها
مكتوب

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فما لي إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف
قلت فقاله فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأ
ما فيها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث
قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار ٥ وقال أبو الحسن
المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل
من شراب فقالت نعم فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا هل
من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما
فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون
بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم
ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه
ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له
منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا أمة الله تعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز
بأبي أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها
مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها
مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي
دينار وقال لها لو بدأت بي لأضعفتها فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار ٥ وخرج عبد الله بن عامر
بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك
وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا
بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال أنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك ٥ وحكي أن قوما من العرب جاؤوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة
فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم صاحب القبر وهو يقول هل لك أن تبادل
بعيرك بنجيبي وكان ذلك السخي الميت نجيب معروف به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه
فلما وقع بينهما العقد عمد إلى الجمل إلى بعيره فنحره [illegible] في النوم فانتبه [illegible] من نحر بعيره فقام الرجل من النوم

اعطاه فاتاه رجل فامر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من
لا يخشى الفاقة ٥ وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك
المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره ٥ وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني
العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب
واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نزل علي جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له
سخاء فيه ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ٥ وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ٥ وقال صلى الله عليه وسلم من كثرت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس
عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال ٥ وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شي لا تاكله النار قيل وما هو قال
المعروف ٥ وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء ٥ وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس هو اهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت اهله ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا
الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين ٥ وقال ابو سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى الارض الجدبة فيحييها
ويحيي به اهلها ٥ وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل
به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها ٥ وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله يحب اغاثة اللهفان ٥ وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة ٥ وروي ان الله تعالى اوحى
الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي ٥ وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن
عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة اهل
ذلك البيت ٥

الآثار

قال علي كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا
تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد
لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ٥ فليس ينقصها التبذير والسرف ٥ وان
تولت فاحرى ان تجود بها ٥ فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف ٥ وسال معاوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم فقال
اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب
عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل ٥
ورفع رجل الى الحسين بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب فقال

يسالني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته ٥ وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار
بمعروفه ٥ وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا ٥ وقال علي بن الحسين
رضي الله عنهما ليس باذل ماله في غير حقه بسخي انما السخي من بذل بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى الشكر له
اذا تيقنه بثواب الله تعالى ٥ وقيل للحسن البصري ما السخاء قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه
قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة ٥ وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة
كالمشاورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم
من الايمان واهل الايمان في الجنة ٥ وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ٥ ورأى
الاحنف بن قيس رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك ٥ وفي معناه
انت للمال اذا امسكته فاذا انفقته فالمال لك ٥ وسمي ابن عطاء الغزال واصلا لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى
امراة ضعيفة اعطاها شيئا ٥ وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضي الله عنهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء
فكتب اليه خير المال ما وقى العرض ٥ وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء فقال البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث ابي
خمسين الف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلواتي افابخل عليهم بالدنيا
وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود ٥ وقيل لبعضهم من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي
قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده ٥ وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي
عنده فيده عندي مثل يدي عنده ٥ وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري قال يا امير المؤمنين ان
الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا ٥ وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر رحمه الله فقال
ان الصنيعة لا تكون صنيعة ٥ حتى يصاب بها طريق المصنع ٥ فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها ٥ لله او لذوي القرابة
او دع ٥ فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين يبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا
وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا ٥

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف
درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما
استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت ٥ وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل
ان يضار عبيد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبروه
بالخبر فامر عبيد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد
فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه اموجود [illegible] فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم ٥ وقال

فنحره وقسم لحمه فطبخوا وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل
منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه
بعيري نجيبه في النوم فقال خذ هذا النجيب ثم قال هو ابي وقد اتاني في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان
وسماه ٥ وقدم رجلان من قريش من السفر فمرا برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال
يا هذا اعينانا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة آلاف درهم فذهب
لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل
الارض من كرمك فابكاني ٥ واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما
كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا ٥
وبعث هارون الرشيد الى مالك بن انس رحمه الله خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب
هارون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم الف دينار فاستحييت
ان اعطي مثله اقل من دخل يوم ٥ وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم الف دينار ٥ وروي ان امراة سالت
الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون ذلك فقال انها سالت على قدرها
ونعطيها على قدر النعمة علينا ٥ وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا ٥
وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها
وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد فكان اذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة
اكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا ٥ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال
فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني فقال عزمت عليك الا ما حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي
بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني
شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ٥ ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد جوادا فاذا لم
يجد شيئا كتب لمن يساله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت
اني سمعت مع الصباح مناديا ٥ يا من يعين على الفتى المعوان ٥ ثم قال ما حاجتك قال ديني قال كم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك دينك ومثله ٥
وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع
الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده ٥
وعن ابي اسحاق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست
من اهل هذا المسجد [illegible] ونعلين ٥

وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول
كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه وقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل
على جماعة فلم يفتح بشي فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة
كلفتهم دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي قال ثم قام واخرج دينارا فكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين
عليك الى ان يفتح الله بشي قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به قال فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه
فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا
قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس
وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى
ميتا ولا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره نصفين
فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا وتصدق بالباقي على الفقراء قال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء
اسخى ٥ وروي ان الشافعي رضي الله عنه لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال
ائتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رحمه الله سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه
وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا ٥ وقال ابو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما وردت مصر طلبت منزل ذلك
الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم
وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا ٥ وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابي
سليمان لشي بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي
زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر
اليه من قلتها ٥ وانشد الشافعي رضي الله عنه
يا لهف نفسي على مال افرقه ٥ على المقلين من اهل المروات ٥ ان اعتذاري الى من
جاء يسالني ٥ ما ليس عندي لمن احدى المصيبات ٥ وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع اعطه
اربعة دنانير واعتذر اليه عني ٥ وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار
فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة ونثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر
ونفض الثوب وليس عليه شي ٥ وعن ابي ثور قال اراد الشافعي رحمه الله الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا
من سماحته فقلت ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت
بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقفت اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه ٥
وانشد الشافعي رحمه الله
ارى نفسي تتوق الى امور ٥ يقصر دون [illegible] ٥ فنفسي لا تطاوعني لبخل ٥ ومالي لا يبلغني فعالي ٥

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المأمون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه
عاتبه المأمون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى ۝ وقام رجل الى سعيد بن
العاص فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تأكل مثلك فامر له بمائة الف
اخرى ۝ ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بقبول ما يصلحه
وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه
ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد ۝ كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد ۝ فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب
قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه
اعجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم نقلل ۝ فخذ القليل
وكن كانك لم تقل ونكون نحن كاننا لم نفعل ۝ ويروى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان
يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروءتك ۝ وقالت سعدى بنت عوف دخلت
على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي
فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان فقال اربعمائة الف ۝ وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه
الرحم ما سألني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان ثلاثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت
اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن ۝ وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف
منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله تعالى قد اهانني ۝ واتى رجل صديقا له فدق الباب فقال ما جاء بك فقال علي اربعمائة درهم
دين فوزنها واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى
مفاتحتي به ۝

باب في ذم البخل

۝ قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم
فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم ۝ وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب
ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان ۝ وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ۝ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل
المختال ۝ وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثدييهما الى تراقيهما فاما المنفق
فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة منها مكانها
حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها فلا تتسع [illegible] ولا تتسع ۝ وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن

البخل وسوء الخلق ۝ وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر ۝
وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم
والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا ۝ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع ۝ وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته
باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا
ينقصه ۝ وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله
صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا ۝
وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق منهم فقال انهم خيروني بين
ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل ۝ وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه
ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل
عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى
مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان
يسألوني ويأبى الله لي البخل ۝ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد
الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة
المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل
من مقته وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل
من الكفر والكفر في النار ۝ وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار
ولا يلج النار الا بخيل ۝ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس
الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا
سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى
من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء ۝ وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد
البخيل ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ۝ وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
البخل وسوء الخلق ۝ وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن [illegible] ولا جبانا ۝ وقال صلى الله عليه وسلم يقول احدكم

الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وجلاله وعظمته لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ۝ وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت
لي ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صف لي ذنبك فقال هو اعظم من ان اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل
ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال
فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال
بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني فكانما يستقبلني
بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام
ثم صليت الف الف عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان
البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون ۝

الآثار

۝ قال ابن عباس رضي الله عنه لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني
فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار
العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها وقال
تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا ۝ وقالت اخت ابن عبد العزيز اف للبخيل لو كان
البخل قميصا ما لبسته او طريقا ما سلكته ۝ وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر ۝ وقال محمد بن
المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم ۝ وقال عمر رضي الله عنه في خطبته
انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ۝ وقال عبد الله بن
عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده ۝
وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب ۝ وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال
للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم
مشفقا وقال الرومي من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا
ومن لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه ۝ وقال الضحاك انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة
في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى ۝ وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل
لمنفق خلفا ۝ وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى
السائل ملك الموت اذا اتاه ۝ وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصا
فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة ۝ وقال علي كرم الله وجهه ما استقصى كريم

قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض ۝ وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب ۝
وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك لبخيل ۝ ومدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذن ۝ وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ۝
وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا ۝ وقال ابن المعتز ابخل الناس
بماله اجودهم بعرضه ۝ ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك قال احب الناس
الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله
عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك ۝

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه واكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ
بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه
اتقيأ طباهجة ببيض اموت ولا اتقيأ طباهجة ببيض ۝ وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس
الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم وقرأ والتين والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال هو تحت
كسائك ۝ ودعا بعضهم اخاه ولم يطعمه شيئا الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود
وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال الصوت المقلي ۝ وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل
نسيب له كان يعرفه وقيل له صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها
قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوأة لك انت خاص به وثوبك مخرق قال انا والله ما اقدر على ابرة
اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يضمنون عنه ابرة ويسألونه
اعارتها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ۝ وقيل كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم
اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم
الرأس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا
او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل منه عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى
مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق ۝ وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من اهله ما لي عليك ان رجعت
بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق ۝ واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه
صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف ۝ وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل
ويقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فابى عليه الاعمش فدخل ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة
وملحا اذ سأل سائل فقال له رب المنزل [illegible]

خرجت إليك بالعصا فقال لنا داء الأعمش فقال اذهب وجعل يلاوذه فما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعو لي على
كبير ولا ولد فلا والله ما زاد في عليهما . **بيان الإيثار وفضله** . اعلم أن السخاء والبخل
كل واحد منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجات السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا
يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي
إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن
ولو وجدها مجانا لأكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظروا بين الرجلين
فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء وقد أثنى الله تعالى على الصحابة به فقال ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت
عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر
على أنفسنا . ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله فوضع
بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما
أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما
فقال وإنك لعلى خلق عظيم . وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب أرني بعض درجات محمد وأمته فقال يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك
منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماوات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من
أنوارها وقربها من الله عز وجل فقال يا رب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار يا موسى
لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى
ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتي الغلام بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام
بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به
هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي
هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء إن هذا لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات وأعتق الغلام ووهبه
منه . وقال عمر رضي الله عنه أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال إن أخي فلانا كان أحوج مني إليه فبعث به
إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول . وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه
فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة
فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله تعالى إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم

فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل
ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله
رؤوف بالعباد . وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة
لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل واحد منهم شيئا إيثارا
لصاحبه على نفسه . وروي أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته وأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة العدوي
انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فإذا أنا به فقلت أسقيك فأشار
أي نعم فإذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي أن انطلق به إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام
انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات . وقال عباس بن
دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه واستعار
ثوبا فمات فيه . وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب
الجهاد إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار
عشرين كلبا فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زال ينظر إليها وتلك الكلاب تأكل الميتة حتى أكلتها وبقي
ذلك العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى ذلك العظم فأكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف . وقد ذكرنا
جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد . **بيان حد السخاء**
والبخل وحقيقتهما . لعلك تقول عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلا وما من
إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون
ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد في نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فإن كان يصير بإمساك المال بخيلا
فإذن لا ينفك أحد من البخل وإذا كان الإمساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما
السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما عليه فليس
ببخيل وهذا غير كاف فإن من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز إلى الخباز لنقصان حبة أو نصف حبة فإنه يعد بخيلا بالاتفاق
وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها أو تمرة أكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان
بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر
فإنه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه
وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال
العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف على غير رؤية وقيل الجود عطاء

من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى
والعبد لله تعالى فيعطي العبد مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر
وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل
وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق
ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه
بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب
الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب
ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو
يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه
إليه فإن قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فأقول إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة
والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع [illegible] كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكن يشق
عليه فإنه بخيل بالطبع وإنما يتسخى بالتكلف أو الذي يتيمم الخبيث من ماله أو من وسطه فهذا كله بخل وأما واجب المروءة فهو ترك
المضايقة والاستقصاء في المحقرات فإن ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح
منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما يستقبح مع الأجانب ويستقبح مع الجار ما لا
يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة
من ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء
الكفن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق
أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامرأة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل
هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك
المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا تحسن
المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة
ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب
الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا للدرجات في الآخرة [illegible] إمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس بخلا عند عوام

الخلق وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند
العوام أيضا سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح
ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة
اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فإذا اتسعت
نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات
ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن
يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس
بجواد فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا
يتصور ذلك إلا من الله تعالى فأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في
الآخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء
مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه
البواعث وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو
جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء
عندكم قالوا العطاء والبذل والإيثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سخية بها أنفسنا غير
مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لأن الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله
فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرا فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن
تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون
من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح . وقالت بعض المتعبدات أتحسب أن السخاء
في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج . وقال المحاسبي رحمه الله السخاء في الدين أن تسخو بنفسك
تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير إكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا
ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يكون مولاك
هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك . **بيان علاج البخل** . اعلم أن
البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان
لو علم أنه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان
له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة

فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة ٥ السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ ولا ولد له ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة وهذا مرض القلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فإن الدنانير رسول مبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر وأن ولده إن كان تقيا صالحا فالله كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله على البخل من العذاب الأليم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق فلا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بأن يحصل ثواب بذله فهذه أدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فإذا تحركت الداعية فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه ٥ يحكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا يزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه في الماء فهو أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما أن الصبي عند الفطام عن الثدي يسلى باللعب بالعصافير وغيرها لا

ليخلى واللعب ولكن لينتقل عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فإن كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فذلك يبين أن الرياء أغلب عليه فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان بعضا حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الأضعف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فإنها تقتضي لا محالة أعمالا وإذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه وإذن علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فلا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل إليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منها تألم به بمصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالسرقة والهلاك ٥ حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال إن كسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا ٥ وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة لأولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله إذ تقطع طريقه على عباده وعدوة لنفسها فإنها تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس ولا تحصل الخزائن والحراس إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به إلا بقدر الحاجة ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأنه ما يمسكه لحاجته فلا يبخل به وما لا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة إذ لا يبخل أحد به لقناعة الناس

منه بمقدار الحاجة ٥ **بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله** ٥ اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف الأولى أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه ٥ الثانية أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه ٥ الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام مائلا إلى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء من جملة المحقين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد ٥ الرابعة أن يراعي جهة الخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرنا فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء ٥ الخامسة أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له وإذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي كرم الله وجهه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد ٥ فلتكن جميع حركاتك وسكناتك مقصورة على عبادة الله أو على ما يعين على العبادة فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وإزار وفراش وآنية لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ الإيمان في قلبه ورسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل ٥ هي دنيا كحية تنفث السم وإن كانت المجسة لانت ٥ وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال ٥ **بيان ذم الغنى ومدح الفقر** ٥ اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد

وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نعلي أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا أن عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآيسين بالحجج الداحضة عند الله تعالى فإنهم يتكالبون على الدنيا ويطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع
المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رءوفا ثم ومن زعمت
ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم وزعمت ان
الله تعالى لم يعلم ان الجمع فيه الفضل فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك
اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال
الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فلقد ود ابن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد
بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن
فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج
مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان
رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام
كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم انه لا باس بما ترك عبد الرحمن بن
عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون
هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم
يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر
وانت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك
عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج ۞ وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير
من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف فقالت صدق
الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء
المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد
الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا ۞ وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ۞ ايها المفتون فما احتجاجك بالمال
وعبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامة واهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وانفق منه
قصدا واعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في اثرهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى
في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في

الشهوات والزينة والمباهاة وحطام الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك
اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف
لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا
واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله تعالى باكثرها وجاد
بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار
الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء
راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر
ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا
في نعيمها وزهرتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته
من الله تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء
اصبح كئيبا حزينا واذا لم يصبح عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا
كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كان لي بمحمد صلى الله عليه
وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شيء غممت اذ لم يكن لي بال محمد صلى الله عليه وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم
سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء
فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا
فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند
الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء
نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر
وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها
ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع
المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله تعالى وهو عليه
غضبان فانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله تعالى حين اردت التكاثر نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك
من النقلة الى جوار الله عز وجل وانت تكره لقاء الله تعالى والله للقائك اكره وانت في غفلة وعساك تاسف

على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته قرب الى النار مسيرة سنة
وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح
باقبال الدنيا عليك [illegible] سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها
ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب
بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور الدنيا اضعاف
ما تعنى بامور اخرتك وعساك ترى ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من
ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة
في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بما يسخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة
اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله تعالى عليك فيها فكان
الفضيحة عند الله تعالى اهون عليك من الفضيحة في الناس وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف
تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث في الاقذار تحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك
عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان الموبقات عندهم
وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل الشبهات عندهم وليت
اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا من حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على
مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديق ما
فاته من الدنيا ونهمته ما زوي عنه منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله كم
بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالى وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله ۞
وبعد فانك تزعم انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك
كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا
من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك
كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت
والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت
ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل
البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان ادع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لي من ان اتصدق بالف دينار من شبهة لا ادري
ايحل لي ام [illegible] من الحلال للبذل في سبيل الله

ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسالة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني
اني اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله تعالى ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك
الله قال لاني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام
والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب
على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك اين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير
عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه فتطمع ان يكون قلبك اتقى
من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في امرك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك
اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال
اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل وقد جمع مالا من الحلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت
عليك من صلاة فاصليتها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في
حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل
ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب
كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه
قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته من اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع
مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لذة فلا يزال
يسال ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسالة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال اقام بالحقوق وادى الفرائض بحدودها حوسب
هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل
خاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا ورضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة
فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من
الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله تعالى ولم تسخط الله عز وجل في شيء من سرك وعلانيتك ويحك فان كنت
كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة
المصطفى لا حبس عليك للمسالة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل
صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فياكلون ويتمتعون
[illegible] وبلغنا ان بعض

من مجانبة الدنيا وطلب ربما جمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فيرفع لوا المصطفى سابقا الى الجنة للفقراء
فقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان المؤمنين في الجنة اذا نزل المجوع عندنا واذا استفرض للحج وضاق ليس
له كسوة الا ما يواريه ولا يقدر على ان يكتسب ما يعينه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي فمن جمع المال من بعد هذا البيان فاتك
مبطل فيما ادعيت كل الزهد والفضل لجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه والشح والرغبة والتكاثر والفخر والعلو والريا
والسمعة والتعظيم والمكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله تعالى واستحي من دعواك ايها
المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم
وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باسائتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع
المال اخا ابي اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك اورع الناس وازهدهم في المباح لهم
ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا

يصنع الذي فعله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى فلما احيى الله
عليه عمله حتى جمع بينهم ابوي الى جمجمة ذي القرنين فقال لو هذه الجمجمة كان تقصارك كما ترى فانظر ياذا القرنين ما انت صانع
فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان يكون
جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من المال والملك والدنيا
ولا اجد احدا يعاديني لما عندي من الحاجة وقلة الشي فانصرف ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على افات
العلو مما قدمناه من قبل ان شا الله تعالى ٥

كتاب ذم الجاه والريا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب
البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفا وخلص عن شوائب الريا والشرك وصفا فانه
المنفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنيا عن الشرك والصلاة على محمد وعلى اله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك
وسلم كثيرا ٥ اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الريا والشهوة الخفية التي هي اخفى من
دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلما فضلا عن عامة العباد والاتقيا وهو من
اخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى بها العلما والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم
مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات
عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم
فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة
وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق عز وجل وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله تعالى وحده وعلمت انهم اذا
عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثنا وبالغوا في التقريظ والاطرا
ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقايه ورغبوا في بركة دعايه وحرصوا على اتباع رايه
وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس
واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات
وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في
الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله تعالى وبعباداته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي
يعمى عن ادراكها

الشهوة ريا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعة واجود الاعمال وقد اثبت اسمه
في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله تعالى من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها
الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من روس الصديقين حب الرياسة واذا كان هذا من الافات التي هي اعظم شبكة الشياطين
وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه وينحصر الغرض منه في ترتيب الكتاب
على شطرين الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه
وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي
وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثنا وكراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم
والمدح فهي اثنا عشر فصلا بها يتبين معاني الريا فلنبين بعدها ٥ بيان ذم الشهرة
وانتشار الصيت ٥ اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره
الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف منه لطلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر
الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى
اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روي هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا
اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه ٥ وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر
ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار ٥ وقال ابن ادهم ما صدق الله تعالى من
احب الشهرة ٥ وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه ٥ وعن خالد بن معدان انه كان اذا
كثرت حلقته قام مخافة الشهرة ٥ وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام ٥ وراى طلحة قوما يمشون
معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار ٥ وقال سليمان بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه
بالدرة فقال انظر يا امير المومنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع ٥ وخرج ابن مسعود من منزله يوما
فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان ٥ وقال الحسن ان
خفق النعال حول الرجال قلما يلبث الحمقى ٥ وخرج الحسن يوما فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى
قلوب ح
هذا من قلب المومن ٥ وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف
وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل ٥ وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثيرة فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم من قلبي
اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى ٥ وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله
وهي اليوم في تشميره ٥ وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة
وقال رجل لبشر بن الحارث

اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك ٥ وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع ٥ وقال بشر ما اعرف
رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح ٥ وقال لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس ٥

بيان فضيلة الخمول

٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر
ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره منهم البرا بن مالك ٥ وقال ابن مسعود رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله
لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيا ٥ وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على
اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ ٥ وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامرا
لم يوذن لهم واذا خطبوا النسا لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على الناس يوم
القيامة لوسعهم ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم فساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما
لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تبارك وتعالى الجنة لاعطاه اياها ولو ساله الدنيا لم يعطها
اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره ٥ وروي ان عمر رضي الله عنه دخل
المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الريا شرك وان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم
اليسير ح
مصابيح الهدى ينجون من كل غبرا مظلمة ٥ وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح ملازم لمسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيناهم في دعايهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما وبسط يديه وقال
يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاه حتى تغشت السما بالغيم وامطروا حتى صاح
اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم وسكن وتبع الرجل صاحبه الذي
عرف منزله ثم بكر اليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال وما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله انت انت وتسالني ان
اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله تعالى فيما امرني ونهاني فسالت الله سبحانه فاعطاني ٥ وقال
ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السما وتخفون
في اهل الارض ٥ وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مومن خفيف الحاذ ذو حظ
من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فصبر على ذلك قال ثم نقر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه ٥ وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى
الله تعالى الغربا قيل ومن الغربا قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم عليهما السلام ٥ وقال الفضيل بلغني
ان الله تعالى يقول

عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك ٥ وقال الثوري وجدت قلبي
يصلح بمكة والمدينة مع قوم غربا اصحاب قوت وعنا ٥ وقال ابن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة بت في مسجد
في بعض قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد ٥ وقال الفضيل ان قدرت ان لا تعرف
فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى ٥
فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه
والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبيا والخلفا الراشدين
وايمة العلما فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة واما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف
من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفا دون الاقويا وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى
فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا
به فينجيهم ويثاب عليهم ٥

بيان ذم الجاه

٥ قال الله تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا
وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الاية اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار الاية
وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها ٥ وقال صلى الله عليه وسلم
حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الما البقل ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ما ذيبان ضاريان ارسلا في
زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم ٥ وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه
انما هلاك الناس بحب الثنا واتباع الهوى ٥

بيان معنى الجاه وحقيقته

٥ اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها
وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضا الشهوات
وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في
اغراضه وماربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من
المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال
انقاد له وتسخر بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل
يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن من قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده
فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب
الطلب صاحب الجاه

اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متابى بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعة وطوعا فيغني ان يكون له الاحرار عبيدا
بالطبع والطوع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلب طالب الجاه وملكه فهو فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن
معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له
قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته تكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه
وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة
فانه لا يبخل بنفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخره له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك
المنازعة والتوقير والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام
الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن
خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شي مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم
محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه ٥

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة ٥

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال
محبوبا هو بعينه يقتضي ان يكون احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانها
اذ لا تصلح لمطعم ومنكح وملبس وانما هي والحصا بمثابة ولكنها محبوبة لانها وسيلة الى المحاب وذريعة الى
قضاء الشهوات وكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب كما ان معنى ملك الذهب والفضة يفيد قدرة على التوصل الى جميع
الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال وملك
القلوب ترجح على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد
الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن
اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة الكمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد
ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك
الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض للتوى والتلف بان يسرق او يغصب او تطمع فيه
الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض
لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا تقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن
فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن
وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الامر وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق
به من اوصاف الكمال

من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افضت الالسنة لا محالة
بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك
اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس
له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء
بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال
في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في
المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم
كالمحتاج الى الملبس والمطعم والمسكن او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل به الى دفع العقوبة عن نفسه
الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء
هذا هو موجب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد
واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه
لا يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به
غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل في الطبع لانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة
فنقول هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما
واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة
في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف فان الشفيق بسوء الظن مولع وان كان مكفيا
في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه
وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك
فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص
من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم
ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن
تقدير سبب يزعجه من الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن
احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف واما السبب
الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني ... قال الروح من امر ربي ومعنى كونه

وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم
بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف
على ما هي عليها ولذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى
والثالث من حيث بقاء العلم ابد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير ولذلك مهما كان
علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانتقال كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما
المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه
في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا له وتصورت ان يتغير
المعتقد منه ما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات
العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر
ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات
فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني
هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية
ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله
وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السما
والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا
للنفس بعد الموت فيكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان
يصير سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه
اصل السراج لا مطمع له في ذلك النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة الا في معرفة الله عز وجل واما ما عدا ذلك من المعارف
فمنها ما لا فائدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى
كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة
التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية
النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في

معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها
من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله سبحانه هذا حكم
كمال العلم الذي ذكرناه وان لم يكن له تعلق باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال
حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته
وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما ذكرناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوحيد والتوكل وفي مواضع شتى
من ربع المنجيات وكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة
بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك
فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به للمطعم
والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي
تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر
الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما
طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم
فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم
الشهوة ولا يستهويهم الغضب ... من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر
بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة
وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة
وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذن الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم
الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية والقدرة وللعبد
طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان
الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان ينقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل يبقى كمالا فيه ووسيلة الى
القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه
والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم
الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة
الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال
والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السما الآية وقوله تعالى

ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة
ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات
شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب
من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى التوحد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد
بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى
كان ذلك نقصا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود
سواه فان ما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة
في الرتبة وذلك نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق
ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغنا
عنها وكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذن معنى الربوبية
التفرد بالوجود وهو الكمال فكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالوجود والكمال ولذلك قال بعض مشايخ
الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان
العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي قال الله تعالى فيها قل الروح من امر ربي
ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى
اخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال
من ذاته وانما الكمال بعد ان سلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك
منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف
ذاته يحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك
تردده كيف تشا فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشيا الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة
الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك
وملكوت السماوات ونفوس الملائكة والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة
العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثير والتغيير
مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذن انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما
لا يقدر على التصرف فيه كذات الله تعالى والملائكة [illegible] فاحب الانسان ان يستولي على السماوات [illegible] بالاحاطة والاطلاع

على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه ولذلك احب ان يعرف
الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السماوات والارض وعجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع
استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن عجز عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وكيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او غيرها وهو مستشعر
في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص العجز وملتذ بكمال العلم ان علمه
واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي بالقدرة على التصرف فيها
وهي قسمان اجساد وارواح اما الاجساد فالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشا من
الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع
فلذلك يحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد
اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانه ربما لم يعتقد ذلك
كمالا حتى يصير محبوبا ويقوم منه مثله منها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة ٥ القسم الثالث نفوس الادميين
وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته
وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال
فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني الذي هو من جملة معاني
الانسان وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة
واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال
والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان
لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان الحديث فاذن مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة
وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون
العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضا الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط
الشهوات بل يحب الانسان من العلم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن
الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات
الربوبية وكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها ٥

بيان

الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له ٥ قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن
الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الى قوله هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي

بيان

ما المحمود من حب الجاه وما المذموم منهما. مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحياة وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذي يبتاع به الطعام وكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له من الجلالة في قلب سلطانه ما يدفع عنه الشر ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه باعيانهما محبوبا له بل ينزل ذلك منزلة الانسان وحبه ان يكون في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء وكلما يراد للتوصل الى محبوب به فالمقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها دون الاول فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت طلبه الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام فيما اخبر عنه الرب تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن

جملة المحظورات ان يحسن الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذه الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز ان يملك مال الغير بتلبيس في عوض او غيره فلا يجوز ان يملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال.

بيان

السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضه للذم ونفرته منه. اعلم ان لحب المدح والتلذذ به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل والنفس تهتز وتلذ والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم او كمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة العلم والفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح. السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم. السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس. السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بمقدار تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن

التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفات بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض.

بيان

علاج حب الجاه. اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال صلى الله عليه وسلم انه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل فكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن حين كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت وقد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك كتب الجواب بقوله فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة ولا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود

ومقصود بالايذاء وخائف على جاهه على الدوام ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له فالاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج ذا البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم

الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا الثوب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه ونسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم بالاعتذار وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى الكذب والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد انه محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع فيهم فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا اصبح الناس عنده كالاراذل وجالس

فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم ام لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين منه في اقصى المشرق والمغرب اولا كثرة الكلام لانه لا يراهم ولا يطمع فيما في ايديهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس ومن استغنى عنهم لم يشتغل قلبه بهم ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو عن ذلة او قلة او علة وينظر في احوال

السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة ۞ بيان وجه العلاج
لحب المدح وكراهية الذم ۞ اعلم ان اكثر الناس انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها
موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة
الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح وطريقك فيه
ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة
تستحق بها المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق بها المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح
بالنبات الذي ينبت على الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبي اشد
الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ۞ فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح
المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها بل سبب وجودها هو الله تعالى فهو المستحق للمدح والحمد
تبارك وتعالى فلا يجب ان يفرح به وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير
معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله عز وجل زلفى ولكن خطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل
عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة
فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله تعالى عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود
من فضل الله تعالى لا من المادح والمدح تابع له فلا ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت
بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي
في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم
يفرح به فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار
صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان كذب
فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا
يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله تعالى
وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله تعالى فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة
التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح
وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض
السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه ۞ وقال اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان
يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل ۞ وفي خبر ان صح فهو قاصم للظهر وروي ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وهذا امر عظيم ۞ وقال صلى الله عليه وسلم
مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم الا لا تمادحوا واذا رايتم
المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضي الله عنهم على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من
السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المؤمنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم امرك ان
تزكيني ۞ وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا ۞ وقال بعضهم لما مدح اللهم
ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته ۞ وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق
فكان اشتغال قلبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم المدح من الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم بالحقيقة هو
المبعد من الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح
غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال
والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الناس وذمهم وسقط عن قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه ۞
بيان علاج كراهية الذم ۞ قد سبق ان العلة في كراهية الذم هو ضد العلة في حب
المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح
والشفقة واما ان يكون صادقا وقصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي ان تذمه
وتغضب عليه وتحقد عليه بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيها
فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه
فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا
عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه
فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث
بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه لذلك لخفت ان تجز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث
بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما
يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه فاما قصد العدو والتعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك ارادها
الله تعالى لك والا ظلمت من يوجه اليه فهو زينة لك عند الله تعالى فلم تغضب عليه بقول انتفعت به وتضرر هو ۞ الحالة الثالثة
ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك
العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله تعالى من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك
بذكر ما انت بريء منه الثاني ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت منه بريء وطهرك عن

ذنوب انت ملوث بها وكل من عابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما لك تفرح بقطع الظهر
وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما الثالث فهو ان المسكين جنى على
دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله تعالى عليه
فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور بسببه فلا
ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ۞ وانما يهون عليك كراهية المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر
ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب
من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا تنال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان تطمع طالب
المال والجاه وتحب المدح وتبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا ۞ بيان
الاختلاف في احوال الناس في المدح والذم ۞ اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح
بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية
درجات المعصية في هذا الباب ۞ الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته
ويفرح بالمدح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما
قبله كمال ۞ الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا
قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند
تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في
قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له
اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما
خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح
الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون
الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله تعالى بمذمتك والمادح قد اطاع الله تعالى بمدحك فكيف تسوي بينهما وانما
استثقالك الذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما
ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد
في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا
العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الذين يغضبون لله تعالى على هواه فيزيده بذلك بعدا

من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوته عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم
قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا الآية ۞ الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره
المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصم للظهر مضر له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه
ومهد اليه حسناته فقال صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان يكره ان يذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم
لظهور امثالنا لو صح اذ روي انه قال صلى الله عليه وسلم ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله
الا من فقال صلى الله عليه وسلم من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة ۞ وهذا شديد جدا وغاية امثالنا
الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية
بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها لانها لا بد ان تتسارع الى اكرام المادح
وقضاء حاجته ونتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه
في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان فان وجد
فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات
في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت ويتوصل الى ذلك بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة
المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا
يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال
لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا
مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان
جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له
وتارة يكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم به ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص
ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب
وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس
عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره
الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيسها الخبيثة فيبغضها بغض
الانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص كان عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف
على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا
سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه

الحفظة الواجبة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكن له شغل شاغل فيه ولا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبة
كبيرة وهذه لعمري تلك الحجابة ولا يقطع شيئا منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل ۞ الشطر الثاني من الكتاب
في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء
الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في
كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق
وبيان ما يجب على المريد أن يلزم قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشر فصول ۞

بيان

ذم الرياء ۞ اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله تعالى ممقوت وقد شهد لذلك القرآن قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراءون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء
وقال تعالى في حق المخلصين انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الآيات فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى
وجه الله تعالى والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يطلب
الاجر والحمد بعباداته واعماله وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال صلى الله عليه وسلم
ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس ۞ وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ
لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وكذلك
فلان شجاع وفلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم ۞ وقال ابن عمر رضي الله عنهما
قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به ۞ وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول لملائكته
ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما
الشرك الاصغر يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا
الى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ۞ وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب
الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم واد في جهنم أعد للقراء المرائين ۞ وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ۞ وقال عيسى عليه السلام
اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله
واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق ۞ وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله تعالى عملا فيه
مثقال ذرة من رياء ۞ وقال عمر رضي الله عنه لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر
صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الرياء الشرك ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية
وهو ايضا يرجع الى خفايا الرياء ودقائقه ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل

تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان عمل السر يزيد على عمل الجهر سبعين ضعفا ۞ وقال صلى الله عليه وسلم
ان المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له ۞ وقال
شداد بن اوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما
ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون باعمالهم ۞ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الارض
مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد
فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله تعالى الماء فاطفأ النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة
فقالوا نسأل الله تعالى فقالوا يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك فقال الله تعالى لم اخلق شيئا هو اشد من ابن آدم حين يتصدق
بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا الحديث الطويل رواه ابن المبارك عن رجل قال قلت لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي يا
معاذ قلت لبيك يا رسول الله بابي انت وامي فقال صلى الله عليه وسلم اني محدثك ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته
ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان خلق السموات والارض فجعل
لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور
الشمس حتى اذا بلغت به سماء الدنيا ذكرته واكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة
امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره
حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله
هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل
العبد يبتهج نورا من صدقة وصلاة وصيام قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء
الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه
العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا
ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا
ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه

بلاء بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من
صوم وصلاة ونفقة واجتهاد لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد
به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام وحج
وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل
فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول الله تعالى لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على
نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها
عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد
بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها
عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء
خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيامة
في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هن يا معاذ قلت ما هن بابي انت وامي يا رسول الله قال كلاب
في النار تنشط اللحم والعظم قلت فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال الراوي فما رأيت
اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث ۞

الآثار

يروى ان عمر رضي الله عنه رأى
رجلا يطأطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلب ۞ ورأى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده
فقال انت انت لو كان هذا في بيتك ۞ وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس
ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم ۞ وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله تعالى ومحمدة
الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث
وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله
عملا فاخلصه ۞ وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله تعالى ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له
وضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل ادعها لله تعالى ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي
فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم اذن ۞ وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته
ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة
ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا

وقال الفضيل كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون ويكتبون ۞ وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد
على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها ۞ وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول
الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه ۞ وقال قتادة اذا راءى
العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي ۞ وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن
وان محمد بن واسع من قراء الرحمن ۞ وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي ۞ وقال محمد بن المبارك الصوري
اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان سمت النهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين ۞ وقال ابو سليمان
التوقي على العمل اشد من العمل ۞ وقال ابن المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل وكيف ذلك قال يحب ان يذكر
انه مجاور بمكة ۞ وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله تعالى من اراد ان يشتهر ۞

بيان

حقيقة الرياء وما يراءى به ۞ اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب
الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص
بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هم
الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى
به كثير وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء
الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراءون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من
الرياء بالطاعات ۞ الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن
على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك يرائي بتشعث
الشعر ليدل على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور
فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين
وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي
اضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة
وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراءاة اهل الدين
بالبدن فاما اهل الدنيا فيراءون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء
وتناسبها ۞ الثاني الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدوء في
الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف في الباطن
ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به انه انتهى الى الحذر عن غبار الطريق ولينصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك

العلامة ومنه العمامة فوق الطيلسان ليرى أنه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم والمراءون بالزي على طبقات منهم من يطلب
المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وخرقها
ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد
ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والتجار
ولو لبسوا الثياب الفاخرة ازدرتهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل
الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها
ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثياب الأغنياء ولونه وهيئته وشكله مثل ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا
لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان
الرقيق الأبيض والقصب المعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغب في زي
أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى ما دونه أو ما هو مثله خوفا من المذمة وإن كان مباحا
وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب والخيول وأنواع التوسع في المسكن والملبس وأثاث البيت وفره الخيول
والثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا
للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة ◦ الثالث الرياء بالقول ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار
والآثار لأجل الاستعمال في المحاورة لإظهار غزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة
الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث
ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو
غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر
وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب والإعراب على
أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب ◦ الرابع الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام وتطويل
الركوع والسجود وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو
والحج والصدقة وبإطعام الطعام وبالإخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى أن
المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فإذا اطلع عليه واحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى
العجلة وقلة الوقار فإن غاب ذلك الشخص عاد إلى عجلته فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون مجدد الخشوع
له بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من أهل العبادة والصلحاء ومنهم من إذا سمع بهذا استحيا من أن يخالف مشيته

في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيتكلف تحسين المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه تخلص به عن الرياء
وقد تضاعف فيه رياؤه فإنه صار في خلوته أيضا مرائيا فإنه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء
منه وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا
بذلك على الجاه والحشمة ◦ الخامس المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف أن يستزير عالما
من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو ملكا من الملوك أو
عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد
منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا
ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراءون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب
العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل إلى قلة جبل مدة مديدة
وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش عليه ولم يقنع
بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه عن أموالهم ولكنه
يحب مجرد الجاه فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر
الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت
في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة
ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام الدنيا وكسب المال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام
وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فإن قلت فالرياء حرام
أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات
فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يكتسب المال بتلبيسات
وأسباب محظورة فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج الإنسان إليه محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم
به من الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال إني حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع
وكما أن كثرة المال تلهي وتطغي وتنسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثرة الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال
وكما أنا لا نقول إن تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا إن تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على
مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك
معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاه
أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم إلى طلب

الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءاة وهو
ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم من قول وفعل والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يخرج إلى الناس أو على الصحابة ينظر في جب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت
أو تفعل ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن أعينهم لم يرغبوا في
اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون
السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم
واسترواحا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا إذ للإنسان أن يحذر من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس
بالإخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنسوا به فإذن المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحا وقد تكون طاعة وقد
تكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب ولذلك نقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لا في معرض العبادة والصدقة
ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي
فيها حالتان إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يبطل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد
العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه من الأخبار
والآثار والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم أنه مخلص مطيع لله تعالى
وأنه من أهل الدين وليس هو كذلك والتلبيس أيضا في أمر الدنيا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل إلى الناس أنه متبرع
عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله تعالى وهو أنه مهما قصد
بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله عز وجل ولذلك قال قتادة إذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا إليه كيف
يستهزئ بي استغفر الله ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وإنما وقوفه
لأجل ملاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانه فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إليه بالخدمة بل قصد بذلك عبدا
من عبيده فأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله عز وجل مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك
إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله تعالى وأنه أولى بالتقرب إليه من الله تعالى إذ آثره على ملك الملوك
فجعله مقصود عبادته فأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشرك الأصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي في بيان درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ
أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله تعالى لكان فيه كفاية وإن لم يقصد التقرب
إلى الله تعالى فقد قصد غير الله تعالى ولعمري لو عظم غير الله تعالى بالسجود لكفر كفرا جليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي

لأن المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع وكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه وفي بعض الكتب
يا عبدي أحسنت في المعاصي وظني أجعلني أهون الناظرين إليك ومعناه في الطاعة إذا كانت لغير الله تعالى مثله ومهما
زال قصد تعظيم الله تعالى بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه إن قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده
بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله تعالى كان ذلك شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه
الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من نفعه أو ضره ورزقه وأجله ومصالح حاله وماله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك
يعدل بوجهه عن الله تعالى إليهم وأقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أولى
مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن
ولده شيئا بل يقول الأنبياء عليهم السلام فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يرتقبه بطمعه الكاذب
في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن يشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله تعالى من حيث النقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما
إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما
نقلناه في الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت أنه لا أجر له فيها أصلا ◦

بيان

درجات الرياء ◦ اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة
المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء الركن الأول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما
أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون
الدرجات أربعة الأولى وهي أغلظها مع الناس فهذا جرد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا
من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداه فهذا من الدرجة العليا من الرياء ◦ الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا
ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان الرياء يحمله على العمل
فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم ◦ الثالثة أن يكون قصد
الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو
كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون
له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص ◦ الرابعة أن يكون
اطلاع الناس مرجحا أو مقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم فالذي نظنه والعلم
عند الله تعالى أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما
قوله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح ◦ الركن الثاني
المراءى به وهي الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول

وهي على ثلث درجات الدرجة الاولى الريا باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الريا وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر
كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى
كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الاية اي في دلالتهم في قولهم في ضمايرهم وقوله تعالى ومن الناس من
يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيه كثيرة وكان النفاق يكثر في
ابتدا الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتدا لغرض وذلك فيما قل فيما بيننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار
الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى الاباحية او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهو من
المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الريا ريا واحوال هولاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين
كفر الباطن ونفاق الظاهر ٥ الثانية الريا باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله تعالى
ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان
في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من
الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لم يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس او
يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله تعالى يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره عز وجل لم
يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من
مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر
صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد ٥ الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرايض ولكن يرائي
بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب
ثم يبعثه الريا على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت والتهجد بالليل وصيام يوم عرفة
وعاشورا والاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة من ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد
على اداء الفرايض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله رجح حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق مثله في
الذي اتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عند الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها
وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي انواع الريا باصول الدين والعبادات ٥ القسم الثاني الريا باوصاف العبادات
لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا
يطول القراءة فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك
فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله تعالى عليه في الخلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن الصلاة ومن جلس بين يديه

انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقربا للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة فهذا حال
المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الردية او الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره
اخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصايم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا لاكمال عبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا
من الريا المحظور لان فيه تقديم المخلوقين على الخالق ولكنه دون الريا باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة
لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا السنتهم بالذم
والغيبة فقال انما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان عندك وتلبيس وليس كذلك فان
ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك في غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك
اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف
ولا يبالي به اذا كان الملك على الخلوة فاذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك
ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية
ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت لكانت صلاتي عند الله تعالى ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم
فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا خير من ان اترك الصلاة فيفوت الثواب ويحصل المذمة فهذا فيه ادنى
نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة
بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق ٥ الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان فيه ولا في تركه ولكن فعله في حكم التكملة
والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى
وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار
الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه ٥ الثالثة ان يرائي
بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه
وكل ذلك مما يعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما يرائي به
وبعضه اشد من بعض والكل مذموم ٥ الركن الثالث المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة وانه يرائي لادراك مال
او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن
من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف
بالامانة فيولى القضا والاوقاف او الوصايا او اموال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما
يقدر عليه منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل كلها او بعضها او يتوصل
بها الى استتباع الحجيج يتوصل بها الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة

للخشوع وكلام الحكمة والحكم على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى غير الله تعالى اما الى امراة او غلام لاجل
الفجور وكاجل التزويج بالمراة وقد يحضرون من الناس مجالس العلم والتذكير والوعظ وحلق القران يظهرون الرغبة في
سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة
من امراة وغلام وهاولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا الطاعة ربه وسلما الى معصيته واتخذوها
هذه الاشيا توصلا الى اغراضهم واتخذوها الة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هولاء وان كانوا دونهم من هو مقترف
جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها
فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه
بالخشوع واظهار التقوى ٥ الرتبة الثانية ان يكون غرضه نيل مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي
يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد امراة بعينها لينكحها او امراة
شريفة على الجملة او الذي يرغب في التزويج ببنت عالم زاهد عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فيه في تزويج ابنته فهذا ريا محظور
لانه طلب بطاعة الله سبحانه متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا في نفسه مباح ٥ الرتبة الثالثة
ان لا يقصد نيل حظ ولا ادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادة خيفة ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد في الخاصة والزهاد
ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من
اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس
الصعدا واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله تعالى يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما
يخاف ان لا ينظر اليه بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم
خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او في يوم عاشورا
او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يقال انه ما صام فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صايم [illegible]
بين جلسين فانه يرى انه صايم وانه مخلص ايضا ليس بمراي وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر
لعبادته ثم انه ان افطر اظهر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت
تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر ريا ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان
يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه فافطرت
اليوم بعد ساعة ويقول هات الماء او يقول اني ضعيف القلب قليل الصبر على الجوع ومت بوم امس فلا اقدر على الصوم فهذا وما
يجري مجراه من علامات الريا فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الريا في الباطن اما المخلص فلا يبالي كيف ينظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة
وقد علم ذلك منه ولا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف الذي علم الله تعالى فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله تعالى قنع بعلم الله سبحانه

به ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتدا غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وهذه مكيدة وغرور وسياتي شرح
ذلك وشروطه فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهي من اشد المهلكات
وان من شدته ان فيه شوايب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلما فضلا عن العباد الجهلة بافات
النفس وغوايل القلب ٥

بيان الريا الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل ٥

اعلم ان الريا جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو الذي لا يحمل على العمل
بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان
نشط وخف عليه وعلم انه لولا رجا الثواب لكان لا يصلي لمجرد ريا الضيفان واخفى من ذلك ما لا يوثر في العمل ولا بالتسهيل
والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يوثر في الدعا الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى
علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن
اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على ريا خفي منه يترشح
السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الريا مستكنا في القلب استكنان
النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك
بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذا للعرق الخفي من الريا حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان
يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقا الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق
تعريضا وتصريحا ولكن بالشمايل كالذي يظهر عليه النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق واثار
الدموع وغلبة النعاس الدال على طول السهر والتهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته
ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبداوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضا
حوايجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسع له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا
في نفسه كانه يتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير
الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي
من الريا اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال
ان الله تعالى يقول للقرا يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدوون بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوايج وفي الحديث الاخر
لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم ٥ وقال ابن المبارك عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال
والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم
ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم بمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيا احب ان يرخص عليه

لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فاحب ان يذكره فقصده في موكبه فلما رأى السايح السهل والجبل قد امتلأ بالناس قال
ما هذا قالوا الملك قد اظلك يسلم عليك فقال لبعض اصحابه ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر الاخضر فجعل يحشو شدقه
ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا هو قال كيف انت قال كالناس فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه
فقال السايح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فتحققوا شكرا لم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك
في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص
اعمالهم فيجازيهم الله في القيامة على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا اشد ضرورتهم وحاجتهم
وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون
بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع
انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا
حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذلك يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزود له من التقوى
فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه
لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع غابوا او اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان
مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون على رزقه واجله
وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا تقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل
شوب محبطا للاعمال ومفسدا للاجر بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور
مذموم كله او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فالمحمود
اربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله سبحانه ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم
واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله تعالى به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية
ثم انه يبالي يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر
الله تعالى له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه
عند الله تعالى مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله تعالى الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله في
الآخرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول
في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل والثالث ان يظن رغبة المطلعين في الاقتداء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال
المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب

تحقيق دقيق

السرور بالعبادة

للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله تعالى في مدحهم وحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى
الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده ويذمه ويهزأ به وينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن
ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو
ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره
وموارده فهذا مكروه ۞ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا
يحبط ۞ فنقول اذا عقد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد الفراغ من العمل او قبل
الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن
الرياء فما يطرأ عليه بعده فنرجو ان ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره
ولكن اتفق ظهوره باظهار الله عز وجل ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من
غير عقد رياء ولكن ظهرت له رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه محبط فقد
روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم
قال ذلك لانه اظهر وقيل هو اشارة الى كراهية صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان
يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله عز وجل بعد
الفراغ منه ما لم يعقد عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان كان قد يبطل الصلاة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الرياء قبل
الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء قبل الفراغ فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا
يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت
له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة
فاتمها مخافة من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل
كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على
الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة بل كل جزء منه مفرد بما يطرأ عليه يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج
من قبيل الصلاة واما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلاته ففرح بحضورهم
واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على
الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة

مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان
يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث
المحاسبي الى الاحباط في امر اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة والجاه قال
قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص
وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب
على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال الحسن انهما سروران فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية ۞ وروي ان رجلا قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم
تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطر وهو يريد الله سبحانه ولم يقل اذا عقد الرياء
بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله
بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به للاقتداء به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب
حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان السرور بالمحمدة اجر وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون
للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يرفعه الى صالح
ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا
ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل
لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على
ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب
منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلاة ولا يبعد
ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله تعالى والخالص الذي لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا
الشوب والعلم عند الله تعالى فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ
بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ واما بعد الفراغ ۞ القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان تم عليه
حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه فقالت
فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة
لان التحريم عقد والرياء في قلبه خاطر لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم
العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمته كما لو ابتدأه بالاخلاص وختمه بالرياء لكان يفسد عليه وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة
عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقال ان الصلاة بالركوع والسجود لا تكون الا لله تعالى ولو سجد لغير الله سبحانه كان

كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين
الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان
لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ضعيف ايضا
لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه
مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل
واذا رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة
عن اجابة باعث الدين فها هنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة
ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد
عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب
بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق الخلل الى
النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمه حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان
ولا يمكن ان يقال ان صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا
اجتماع الناس خلفه او خلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب بتطوعه
فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل
واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان
كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل
النظر وهو محتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث
مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة
في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ومسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلاة واما
اذا كان الرياء في المبادرة دون اصل الصلاة كمن بادر الصلاة في اول الوقت لحضور جماعة او خلا اخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدي
صلاة لاجل الرياء فهذا مما نقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث
تعين الوقت فهذا ابعد من القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور
باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى ان يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان
الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها
بل حملهم الحرص على تصفية القلب بطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والله اعلم

باب دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

قد عرفت فيما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق، فلا شفاء إلا في شرب الأدوية المرة البشعة، وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم، إذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم، فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في قلبه، وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه، فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات، فلا ينفك أحد من الخلق عن الحاجة إلى هذه المجاهدة، ولكنها تشق أولا وتخف آخرا، وفي علاجه مقامان: أحدهما قطع عروقه وأصوله التي منها انشعابه، والثاني دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول في قطع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي حب لذة الحمد والفرار من ألم المذمة والطمع فيما في أيدي الناس، ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى الأشعري أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية، ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب، والرجل يقاتل ليرى مكانه، وهذا هو طلب لذة الجاه والمنزلة في القلوب، والرجل يقاتل للذكر، وهذا هو الحمد باللسان، فقال صلى الله عليه وسلم: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى. وقال ابن مسعود: إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم، فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك، والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه: يقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا. وقال صلى الله عليه وسلم: من غزا لا يبغي إلا عقالا فله ما نوى، فهذا إشارة إلى الطمع. وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فيتصدق معهم بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال، ولكن إذا أيس من الحمد كره الذم، وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد، وقد يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم، ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل، ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو جاهل، كل ذلك حذرا من الذم، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلى الرياء، وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة، ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء، وليس يخفى أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال أو في المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سما أعرض عنه، فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة، ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى وما يتعرض له من العقاب والمقت والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله تعالى عرض الدنيا، راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله تعالى وتحببت إليهم بالتبغض من الله تعالى وتزينت لهم بالشين من الله تعالى وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله سبحانه، أما كان أحد أهون عليك من الله تعالى.

فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته فلو كان ينال به علو المرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيين والصديقين فقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإن رضا الناس غاية لا تدرك، وكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق، ورضا بعضهم في سخط بعض، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله تعالى عليه وأسخطهم عليه، ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله عز وجل لأجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته يوم القيامة. وأما الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله تعالى، فمن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله تعالى برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ، فإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته. وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة، ولا يبغضه إلى الله تعالى إن كان محمودا عند الله تعالى، ولا يزيده مقتا إن كان ممقوتا عند الله تعالى، فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله تعالى بقلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه، وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله تعالى، ولو أخلص لله تعالى لكشف الله سبحانه لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بحمده والثناء عليه، مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم، كما قال شاعر من بني تميم: إن مدحي زين وإن ذمي شين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت، ذاك الله الذي لا إله إلا هو سبحانه وتعالى، إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه، فأي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار، وأي شر لك في ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين، فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات، واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه، وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله تعالى ووحشته من الخلق واحتقاره للدنيا واستعظامه للآخرة، وسقط محل الخلق من قلبه، وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص، فهذا وما قدمناه في الشطر الأول هي الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء. وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عباداته، ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله تعالى به. روي أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال: أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه، لا تجالسنا بعد هذا، فلم يرخص في هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها، فلا دواء للرياء مثل الإخفاء، وذلك يشق في بداية المجاهدة، وإذا صبر عليه مدة

بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد، ولكن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فمن العبد المجاهدة ومن الله تعالى الهداية، ومن العبد قرع الباب ومن الله العظيم بكرمه الفتح، والله لا يضيع أجر المحسنين، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما.

المقام الثاني في دفع العارض منه في أثناء العبادة، وذلك لا بد من تعلمه أيضا، فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدحهم وذمهم، فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء، ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية، فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء، وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج، فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم، ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم، ثم يتلوه قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه، فالأول معرفة، والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة، والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد، وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال: ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالك، فأي فائدة في علم غيره، فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله تعالى في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة، إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله تعالى وعقابه الأليم، والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء، والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما، فإذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور: المعرفة والكراهة والإباء، وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليها، وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره، فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته، إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم، وهو كالذي يتوعد نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على الحلم عند جريان سبب الغضب، ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه، فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتطفئ نور المعرفة مثل مرارة الغضب، وإليه أشار جابر بقوله: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت، فأنسيناها يوم حنين حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا، وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون، إذ تنسي معرفة ضرر الداخل في عقود الإيمان، ومهما انمحت المعرفة لم تظهر الكراهة، فإن الكراهة ثمرة المعرفة، وقد يتذكر فيعلم أن الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله تعالى ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله، ولا يقدر على ترك اللذة الحالية ويسوف بالتوبة أو يتشاغل عن الفكر في ذلك لكثرة الشهوة، فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه إليه إلا الرياء وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه آكد إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله تعالى، ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة، وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى

قوة الشهوة، وهذا أيضا لا ينتفع بكراهته، إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل، فإذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاثة وهي المعرفة والكراهة والإباء، فالإباء ثمرة الكراهة، والكراهة ثمرة المعرفة، وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم، وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله تعالى وقلة التدبر في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة، وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره، وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات، فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب، لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم. فإن قلت: فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك لا يخلو عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله إليه وغير مجيب إليه فهل يكون في زمرة المرائين؟ فاعلم أن الله تعالى لم يكلف العباد إلا ما يطيقون، وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزع إليها، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلفه، ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا إليه وقالوا: تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم به، فقال صلى الله عليه وسلم: أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، فقال صلى الله عليه وسلم: ذلك صريح الإيمان. ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له، ولا يمكن أن يقال: أراد بصريح الإيمان الوسوسة، فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة، والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى، فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فلأن يندفع ضرر الأصغر أولى، وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة. وقال أبو حازم: ما كان في نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه، فإذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالإباء والكراهة، والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان، والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس، والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل، إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهو أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب، لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى، فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله تعالى، والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب: الأولى أن يرد على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه، وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق، والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك. الرتبة الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته. الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لأن ذلك وقفة وإن قلت، بل يكون قد قرر في ضميره كراهية الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا

بالمخاصمة ه الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان يحضره عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان
زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله تعالى وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان
ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع ه يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلاناً يذكرك فقال والله لأغيظن
من أمره قيل ومن أمره قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ه ومهما عرف الشيطان من عبد
هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد حسناته ه وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من
الإثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه ه وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا
رآك مداوماً على الخير ملك وقلاك ه وضرب الحارث المحاسبي لهذه الأربعة مثلاً أحسن منه فقال مثالهم كأربعة
قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا
الحق فقام إلى واحد فمنعه وصرفه عنه ودعاه إلى مجلس ضلال فلما أن عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه لينتقض ضلاله
وهو يظن أن ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فوقع
بالضال ولم يشتغل بالمجادلة والقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر ما توقف به ومر بهما الثالث فلم يلتفت إليهما ولم يشتغل
بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك
التأني في المشي فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يعود خيفة من أن يزداد
فائدة باستعجاله فإن قلت فالشيطان إذا كان لا يؤمن من نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره ليحترز منه انتظاراً للورود
أم يجب التوكل على الله تعالى ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه فاعلم أن الناس فيه على ثلاثة
أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله تعالى فاشتغلوا عنه
واعتزلهم الشيطان وأيس منهم كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحاً كالخمر
والخنزير عندهم وارتحلوا منها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلم يحتاجوا إلى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام إلى
أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه الذين قل يقينهم ونقص توكلهم فمن أيقن بأن لا شريك لله تعالى في تدبيره فلا يحذر غيره وهو
يعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس إليه أمر ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه أن يحذر غيره
فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء استغنوا
عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا وهو وسيلة الشيطان فيكون غروراً إذ الأنبياء لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته
فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله سبحانه وأسمائه وفي تحسين البدع
والضلال وغيره ولا ينجو الحذر من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان
في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمر إلا بخير

فمن ظن أن اشتغاله بحب الله تعالى أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء فهو مغرور فلم يأمنوا من ذلك ومن
كيد الشيطان على أنه لم يسلم منه آدم وحواء عليهما السلام في الجنة التي هي دار الأمن بعد أن قال الله تعالى لهما إن هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى مع أنه لم ينههما إلا عن شجرة واحدة وأطلق لهما
ما وراء ذلك مما أرادا فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في
دار الابتلاء وهي منبع المحن والفتن ومعدن اللذات والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام كما أخبر الله تعالى عنه هذا من عمل الشيطان
الآية ولذلك حذر الله تعالى منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة والقرآن كله تحذير
وتخويف منه فكيف يؤمن منه ولأجل الحذر منه أمر الله تعالى لأنه لا ينافي الحب لله تعالى الاشتغال بحب الله تعالى فإن من الحب
لله تعالى امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وقال تعالى وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فإذا لزمك بأمر الله تعالى الحذر من العدو الكافر فبأن يلزمك الحذر من العدو الذي يراك
ولا تراه أولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك وأشار إلى الشيطان
كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر إلا القتل وهو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعذاب الأليم فليس
من الاشتغال بالله تعالى الإعراض عما حذر الله تعالى منه وبهذا بطل مذهب الفرقة الثانية أيضاً فظنهم أن ذلك قادح في التوكل فإن أخذ
الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف
الله تعالى به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالكلية وقوله
تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت
هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن المضل والهادي هو الله تعالى ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل
وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون كلام العباد الذين لم يغزر علمهم يظنون أن ما
يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله تعالى يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه
في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فينبغي أن لا يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فإنا إن غفلنا
عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان وهو مراده
وللجأ إلى الحذر فيجمع بين الأمرين فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وإن تجردنا لذكره أهملنا ذكر الله تعالى فالجمع أولى
وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى فلا يخفى غلطه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان
كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى
وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بإدامة ذكره وأما الفرقة الثالثة
فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله تعالى والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله عز وجل

وقد أمر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه من إبليس وغيره فالحق أن يلازم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته
اعتقاداً وتصديقاً ويترك الحذر فيما منه ويشتغل بذكر الله تعالى ولا يخطر بباله أمر الشيطان فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته
ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله تعالى لا يمنع من التيقظ عند نزغ الشيطان بل الرجل
ينام وهو خائف على أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل
أوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله عز وجل كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو
الذي يقوى على دفع العدو وإذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات عنه الهوى وأحيا له نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة
الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله تعالى
ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤوا بنور الذكر حتى اطرحوا خواطر العدو ومثال القلب مثال حوض يراد تطهيره من
الماء القذر ليتفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكر الله تعالى وذكر الشيطان قد
نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جارياً إليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف أبداً من الماء القذر والبصير الذي جعل
لمجرى الماء القذر سداً وملأه بالماء الصافي فإذا جاء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب ه

بيان

الرخصة في قصد إظهار الطاعات ه اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة
الإخلاص والنجاة من الرياء وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون
أن السر أحرز العملين ولكن في الإظهار أيضاً فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال إن تبدوا الصدقات فنعما هي
وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والإظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل القسم الأول إظهار نفس العمل
كالصدقة في الملأ لترغيب الناس في مثله كما روي عن الأنصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والحج والغزو
وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب نعم الغازي إذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضاً لهم
على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليس من الإعلان بل هو تحريض
مجرد وكذلك الرجل يرفع صوته في صلاة الليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدوا به وكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة
فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة
فإن إظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام وإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف
الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة أفضل من السر ويدل على ذلك أن الله تعالى
أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله صلى
الله عليه وسلم له أجرها وأجر من عمل بها وقد روي أن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفاً ويضاعف عمل العلانية

فيه فائدة مهما انفك القلب عن شوائب الرياء تم الإخلاص على وجه واحد في الحالين فما يقتدى به لا محالة وإنما الخوف من ظهور الرياء
ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره به وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان إحداهما أن
يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظناً ورب رجل يقتدي به أهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدي
به أهل محلته وإنما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق
وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة وإنما يصح الإظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء
به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعذر الاقتداء وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه
مقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإن
الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا
وهلك والغرق في الدنيا ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة قدم العباد والعلماء فإنهم يتشبهون
بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فيحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له
أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال طبعه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل
فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فإنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره
فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خداع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد
وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء وفي
الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء ه القسم الثاني أن يتحدث بما فعله بعد
الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة
ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوي عظيمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو
من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك
عند من يرجو الاقتداء والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير
والترغيب في الخير خير وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت
نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ه وقال عمر رضي الله عنه ما
أبالي أصبحت على عسر أو على يسر لأني لا أدري أيهما خير لي ه وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها ه وقال عثمان
رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ه وقال شداد بن أوس
ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها إلا هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغداء ه وقال أبو سفيان
لأهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فإني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت ه وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله تعالى لي بقضاء قط

فينبغي ان يكون فضلا لغيره وما اصبح الا على هوى الا في مواقع قدر الله تعالى فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراياة
اذا صدرت ممن يرائي بها وهي غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به وكذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها
فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس رياء فيه
خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان
في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن في البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك
الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله تعالى
ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان

الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له ٥ اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية
كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليكم بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه ٥ وقال ابو مسلم الخولاني
ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن
ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع
ذلك بل المحظورات بستر ذلك يرى الناس انه ورع وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي ولعل الصادق
الذي لا يرائي له ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه الاول ان يفرح بستر الله عز وجل عليه
فاذا افتضح اغتم بهتك الله تعالى ستره وخاف ان يهتك الله تعالى ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه
في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان ٥ الثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم
من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله تعالى بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله تعالى وهذا
ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله تعالى لظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه ٥ الثالث ان
يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة
وبهذه العلة ينبغي ان يكره المدح الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة
في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان ٥ الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى الطبع فان الذم مؤلم
للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاصيا وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته
الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي
عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم عاجزون وقل اكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب
تألم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقص في الدين فكيف لا يغتم به
الهم بالورع كما يستحب ان يحب بالرضى ولا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله تعالى فيكون قد طلب اللذة بطاعة الله تعالى ثوابا من غيره

فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد اما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر عذرا
من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر
على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب عن الطاعة في الحال واما كراهية
الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في
الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله تعالى وذمه له اكثر ٥ الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته
ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع ٥ السادس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا
عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على
ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه ٥ السابع مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث
في اول الصبى مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا ياتي الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي
بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به
اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحيي وان سبب تجمله في العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق
ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان
الرجل يطلب من صديقه قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء
ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما
يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي
حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هيجان
الحياء ٥ الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض
بثماني عشرة ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسمح النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيجه الحياء
الى الاخلاص ٥ والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته بل انه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء
وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب
فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في
المشي فيعود الى الهدوء او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح فالحياء
من الوعظ وامامة الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من ان تنكر
عليه لاجلال الله تعالى واجلال الشيب المسلم وهو الحياء حسن واحسن منه ان تستحيي من الله تعالى فلا تضيع الامر بالمعروف

والتقوى يؤثر الحياء من الله تعالى على الحياء من الناس والتحفظ لا يتعدى عليه فهذه الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبيح والذنوب ٥ الثامن ان يخاف
من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة تشطر الجاه في اظهار الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة
وبمن يقتدى به فبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس
في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك
باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما
يحبني الله تعالى عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد
يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله تعالى لك فانه تعالى اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان
تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله سبحانه عاجل غير ثواب الله والمباح
ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحب ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك
الاموال والحكم فيهما واحد ٥

بيان

ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات ٥ اعلم ان من
الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره
وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة الشدائد ومجاهدات وانما تصير لذيذة من حيث
انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والرياء هو لذيذ وهو ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء
والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من
اللذة ٥ القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلاة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احدها
ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة
الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك ولا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل
عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عز وجل عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثاني ان ينبعث
لاجل الله تعالى ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل
الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهية الرياء والاباء عن القبول الثالث ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي
ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا
لم تجبه واشتغلت به يدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص
فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم مولاه اليه حنطة فيها زوان
وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو
ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله تعالى به فهذا من مكايد

الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادات وترك العمل خوفا
من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك
العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان
على العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت
العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة
الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك وكيف يتخلص منه بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في
الآخرة ولا نفع في الدنيا فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا
تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله تعالى اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك
ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك
الشيطان انت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهية الرياء وخوفك منه وحيائك من الله تعالى فان لم تجد في قلبك له كراهية
ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بد ان يبقى معه
اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة
وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة ٥ وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم ٥ وقال الحسن
كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم ياتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة
وقد ورد فيه آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن هذا الكلام في معرض الوعظ
اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل
والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون
انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى
ترك القراءة عند دخوله واستئنافه القراءة بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم
على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك مما خاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه
وشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر من رفع خشبة من الطريق فيكون تركه للمحافظة على عبادات اكثر منها لا بمجرد خوف
الرياء واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك
يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه
فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق
بالناس ولا تعظم فيه [illegible] ثم كلام الحسن في ترك البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية لحال الضعفاء

الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وأما ذكره لجوبها الناس من آفة الشهرة وزجرا عن الجاه القسم الثاني ما يتعلق
بالخلق ويعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إنفاق المال أما الخلافة والإمارة
فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والإخلاص قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين
عاما فأعظم بعبادة يوازي يوما منها عبادة ستين سنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الإمام المقسط وقال
أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل منهم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني
مجلسا يوم القيامة إمام عادل رواه الخدري فالخلافة والإمارة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها
ويهربون عنها من تقلدها وذلك لما فيها من عظم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ
الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا وإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح
في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانه وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شر من فسق
ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال صلى الله عليه
ما من والي عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر رضي الله عنه ولاية
فقال يا أمير المؤمنين أشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن أن رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال خر لي فقال اجلس وكذلك حديث
عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإن
أوتيتها بمسألة وكلت إليها وقال أبو بكر لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين
وأنت قد وليت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله تعالى يعني لعنة الله ولعل القليل
البصيرة يرى ما ورد من فضل الإمارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي
أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله تعالى
لومة لائم وهم الذين سقط الخلق من أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا النفس وملكوها وقمعوا
الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولو زهقت فيها أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه
الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها أن تتغير
إذا ذاقت لذة الولاية وأن تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الأمر وتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية
فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه إلا قويا في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح
أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا
أظهرت التردد والامتناع من قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع
لا تسمح نفسه بالعزل وتميل إلى المداهنة وإهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا [illegible] إلا أن يعزل

قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم إنا لا نولي أمرنا من سألنا فإذا فهمت اختلاف حكم الضعيف والقوي عرفت أن نهي أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده
لها ليس متناقضا وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناهما فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ والإمارة
محبوبة بالطبع والثواب على القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم
القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال صلى الله عليه وسلم من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن
يتركها الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها في عينه وزن وليتقلدها الأقوياء الذين لا تأخذهم لومة لائم ومهما كان السلاطين
ظلمة ولم يقدر القاضي إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق
لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا
له في إهمال الحقوق أصلا بل ينبغي أن يعلم أنه إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضي لله عز وجل
وإن كان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك
الأسفل من النار وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الأسانيد العالية وجميع ما يتسع بسببه الجاه
ويعظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات بل أشد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا
إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي [illegible] قمطرة من كتب الحديث وقال
إني أشتهي أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وقبول الناس له ولا يخلو من كلامهم وزعقاتهم
وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فإذا غلب ذلك على طبعه مال قلبه إلى كل كلام مزخرف عند العوام وإن كان باطلا ونفر عن كل
كلام حق يستثقله العوام وإن كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم
ولا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه بها من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه بذلك من حيث
إنه يعرف به طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة
فليشاركني في نفعها إخواني المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه
والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على
نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه فإن قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول
قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الإمارة وتوعد عليها حتى قال صلى الله عليه وسلم إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة
يوم القيامة وندامة إلا من أخذها بحقها وقال صلى الله عليه وسلم نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم أن
السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطلت الدنيا والدين جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش
فلم نهى عنها مع ذلك الضعفاء ولم ضرب عمر أبي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول صلى الله عليه وسلم فيه أبي سيد المسلمين

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه القرآن ويقول صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ عليك وإنما منع من أن يتبعوه وقال
عمر ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع فعمر كان يرى العلة في ذلك وعمر رضي الله عنه كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمنع منه واستأذن
رجل عمر رضي الله عنه أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فلم يأذن له فقال أتمنعني من نصح المسلمين فقال أخشى أن تنتفخ
حتى تبلغ الثريا وذلك إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والخلافة والقضاء والإمارة مما يحتاج الناس إليه
في دينهم ودنياهم كالوعظ والتدريس والفتوى يحتاج إليهم أيضا وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينها فأما قول
القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء
الرئاسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرئاسة من الخلق في العلوم لا يتركها تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل
والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرئاسة لأفلتوا من الحبس والقيد وطلبوها وقد وعد الله تعالى أن يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم فلا تشتغل قلبك بأمر الناس فإن الله تعالى لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إني أقول مع هذا إذا كان
في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عن الحرق إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرئاسة
فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخيله إلى العوام أنه إنما يريد الله
بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل به وجاهد نفسك فإن قال لست أقدر على نفسي فنقول اشتغل
وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع عندنا
أحب من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين
بأقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فأما الذي أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار
من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار فما ليس فيه تعظيم للدين ولا تخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على
المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان إنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر
يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر
من فتن العلم وغوائله ولهذا قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون
فيا سوءة ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لا تكونوا كالمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة
من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم
بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون
الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق
ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد

الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتكبكم على وجوهكم ثم تكبكم في النار ثم تأخذ
خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوءاتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم
أخرجه الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا
ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فإن قلت فهذه الآفات الظاهرة
ولكن قد ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك
رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه إلى غير
ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالطه الرياء في الصلاة لا تترك العمل
ولكن أتم الصلاة وجاهد نفسك فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة ولا نقول لأحد من عباد الله
عز وجل اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له أيضا
اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فأما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم وكذلك
نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها وأما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة
لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث الأولى
الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصوم والصلاة والحج والغزو وقد
تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها
مع إتمام العمل لله تعالى بأدنى قوة ○ الثالثة وهو متوسط بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية
والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلوات فالصلوات ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي
ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب
العلم علم أنها بالولايات أشبه وأن الحذر منها في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهو جمع المال وأخذه وتفرقته
على المستحقين فإن في الإنفاق وإظهار السخاء استجلاب الثناء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات أيضا
فيها كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما تعرفون
من قلة السلامة في الدنيا وإن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى وقال أبو الدرداء ما يسرني أني أقمت على درج مسجد دمشق أصبت
كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات النوافل وقال
قوم الجلوس في دوام ذكر الله تعالى أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن ذكر الله تعالى وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا
لتبر بها تركك لها أبر وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله تعالى وذكر الله أكبر وأفضل وهذا لمن سلم من الآفات

فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف أنه أفضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهي منشأ الآفات
والأحب أن يعمل ويدفع الآفة فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم
دون ما يميل إليه الطبع وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما يستلذ الخير ويميل
إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب
لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل
ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل
ترك الكسب والإنفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل بكل حال
من إمساكه فإن قلت فبأي علامة يعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم أن لذلك علامات
إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا وأغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو
أن يتمنى لنفسه مثل علمه والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يحب
اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها قال سعيد بن أبي مروان
كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد
على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى
نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها إليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن
فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع كلامه فقلت في نفسي لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن
هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه أو ينقص منه يتقرب إليه أو يحتشم لأجله لا والله بل تكلم كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم
به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه في الكلام وهو غير مكترث به ورفع الحجاج يده ووضعها على منكب الحسن ثم قال
صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مجالس
الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس وأمثالها لمعرفتنا بفضلها ثم افتر الحجاج فتكلم حتى
عجب الحسن ومن حضر من بلاغته ثم نهض وبالجملة فجاء رجل إلى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل
شيخ كبير وأني أغزى فأكلف فرسا وبغلا وفسطاطا وأن لي ثلثمائة درهم من العطاء وعلي سبع بنات من العيال وشكا من حاله حتى
رق له الحسن وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله
دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فإذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا
فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل كان جالسا من أهل الشام فسعى بالحسن إلى الحجاج وحكى له
كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن إلا أن

رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه ضاحكا إنما كان يتبسم فأقبل حتى جلس في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون
بالأمانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى
بنا إلى شرارة من نار إني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزا عدو الله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبا لك
تحرض علينا الناس أما إنا على ذلك لا نتهم نصيحتك فأقصر عليك قال فدفعه الله تعالى عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير
إذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات
وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون ۝

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح ۝

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو
بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي
مع أنه كان لا يعتاد الصلاة وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم
ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل
مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الأشغال ويغلبه التمكن
من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والأشغال في بعض المواضع
فينبعث النشاط وقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع
بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في مكان غريب اندفعت هذه الشواغل التي
تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدتهم وقد أقبلوا على الله تعالى وأعرضوا عن الدنيا فإنه ينظر إليهم
فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله عز وجل فيتحرك داعية الدين لا للرياء وربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو
سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وينضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح
به في بعض الأوقات فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة
ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الصوم للدين فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع
تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوي الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس
وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فإنك تكون مرائيا إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على
صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لا سيما إذا
كانوا يظنون به أنه ممن يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته عندهم وعند ذلك يقول
الشيطان صل فإنك مخلص ولست تصلي لأجلهم بل لله سبحانه وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال

العوائق لا لاطلاع الناس عليك وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده
ولا ركعة واحدة لأنه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم
فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه
هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فإن سخت به فليصل فإن باعثه الحق وإن كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن أعينهم
فليترك فإن باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون
ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون سببه تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال الغفلة بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك
بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع في النفس إلى حب الحمد فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده
من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا
من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء
وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه
أن يعرض على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسي القلب فينبغي
أن يترك التباكي قال لقمان لابنه لا تري الناس أنك تخشى الله تعالى ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والغشي والأنين عند
القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة يكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة يكون لمشاهدة حزن غيره
وقساوة نفسه وقلبه فيتكلف الأنين والحزن ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن
فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط
الله تعالى وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد
الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله ويدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفع الصوت أو
حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد أن استرسلت لخشية الله عز وجل ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر
فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي أن يقال إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه
مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة إنما
هي برق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليري دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع
أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره يري أنه يضعف عن القيام ويتمايل
في المشي ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت فعلاجها أن
يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وأن الله تعالى مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روي
أن ذا النون قام وزعق فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال الباطن

وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار
والاستعاذة بالله عز وجل من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون عن خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر
ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة فراقب قلبك في كل ما خطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله تعالى فامضه واحذر مع ذلك
أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا لخوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك
خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع في الإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله تعالى عليك ومقته لك
وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب إذ قالوا يا أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه
ويجزى بسريرته وتقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وأنت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم
إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما أخلو لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع
عليه مني أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك بأسوإ عملي تقربا إلى الناس بحسناتي وفرارا منهم إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك
أعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال أحد الثلاثة لأيوب يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند
طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم ۝ فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر أن للرياء سبعين
بابا وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى إن بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو أخفى من
دبيب النمل إلا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس
وتفتيش عن خدعها ۝

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه ۝

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله تعالى إلا من لا يخاف
إلا الله تعالى ولا يرجو غيره عز وجل فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم
قلبه كراهية ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من الخطر والتعرض لمقت الله وليراقب قلبه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي
لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الإفشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء لو عرفه الخلق منك لسجدوا
لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بإخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الأمر ينبغي أن
يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظيم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها أبد الآباد وعظم غضب الله تعالى ومقته على من طلب
بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره محبوط عند الله تعالى ومحبط للعمل العظيم فيقول كيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق
وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن ييأس عنه ويقول إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخلطون
فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الإخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقي لأن المتقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضه
كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به والمخلط
إلى الإخلاص أحوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فإن نقص فرضه قيل انظروا

مستغصه ويكون في الدنيا كالملوك من الملوك الذين قد امكنتهم الشهوات وساعدتهم اللذات

بلغوا لو امعنوا في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد نفسه في شهوته عاش وكان ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطبا وجاوز الصيادلة

وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة

اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه تفكر في توالي الالام عليه واداء ذلك الى الموت المفرق

بينه وبين ملكه الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دوا تفكر فيما يستفيده منه من الشفا الذي هو سبب التمتع بملكه

ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات وكذلك المومن المريد لملك

الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن

والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله تعالى فيهلك ورجا ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه

بعاقبة امره وبما اعد الله تعالى له من النعيم في رضوان الله عز وجل ابدا ثم علم ان الله سبحانه رحيم كريم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته

عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شا لاغناهم عن التعب والنصب ولكن ليبلوهم ليعرف ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل العبد

التعب في بدايته اقبل الله تعالى عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعبا وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة

المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته ويوصل معونته اليه فان الكريم لا يضيع

سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا ويقول تعالى وجل وعلا لقد طال شوق

الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب

ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته

كتاب ذم الكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي

وعجز نفر فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها
وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد
سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد تمنى وبغى ونسي المبدا والمنتهى ه وروي عن ثابت انه قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم
كبر فلان فقال اليس بعده الموت ه وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلم لما حضرته الوفاة
دعا ابنيه وقال اني امركما باثنين وانهاكما عن اثنين انهاكما عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السماوات والارض وما فيهن لو
وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السماوات والارض كانتا حلقة فوضعت
لا اله الا الله عليها لقصمتها وامركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ه وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن علمه الله
كتابه ثم لم يمت جبارا ه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون ه
وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الآخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون
المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال صلى الله عليه وسلم المتكبرون ه وقال صلى الله عليه
يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم
نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار ه وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم
القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى ه وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن
ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن
يسكنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم ه وقال صلى الله عليه وسلم اني اعوذ بك من
نفخة الكبرياء ه وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلث دخل الجنة الكبر والدين والغلول ه

الآثار

قال ابو بكر رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير ه وقال وهب لما خلق الله تعالى جنة عدن نظر
اليها فقال انت حرام على كل متكبر ه وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم
يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ه وقال الحسن
العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السماوات ه وقيل في تفسير قوله تعالى وفي انفسكم هو سبيل الغائط
والبول ه وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك او كثر ه
وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر ه وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان مصاليه
وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله تعالى والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله تعالى ه

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينظر الله تعالى الى رجل يجر ازاره من الخيلاء بطرا ه وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برده اذ اعجبته نفسه خسف الله به الارض

فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ه وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة ه وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر
فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله تعالى
الى من جر ازاره خيلاء ه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل ابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت
ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة ه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس
والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال ه وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في
مشيته لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ه

الآثار

عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر
عليه ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن
نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة
غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله تعالى نعمة
وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ه ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله
كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله تعالى الى العباد صلاح قلوبهم ه وروي ان
عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في
بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر اليه يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ه ورأى محمد بن واسع ولده يمشي يختال
فدعاه وقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ه ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال
ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثا ه ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله
هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين
ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك ه وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ه واذ ذكرنا
ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع ه

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله تعالى ه وقال صلى الله عليه وسلم
ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم
ارفعه ه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل
والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ه وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاق وجد حلاوة العسل

فقال ما هذا فقيل يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال صلى الله عليه وسلم اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله ه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في
بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم وكان
رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها ه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين امرين
عبدا نبيا وملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل عليه السلم فرفعت رأسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا نبيا
واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري
وكف نفسه عن الشهوات من اجلي ه وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى ه وقال عيسى عليه السلم
طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة ه
وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله تعالى عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه
مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله تعالى ه وقال صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله تعالى الا من يحب الصمت وهو اول العبادة
والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ه وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه
الله تعالى الى السماء السابعة ه وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ه وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى
الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال
صلى الله عليه وسلم ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم التواضع واذا رأيتم
المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار ه

الآثار

قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله تعالى رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله عز وجل واذا تكبر وعدا طوره وهصه الى
الارض وقال اخسأ اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير ه وقال جرير بن عبد الله
انتهيت مرة الى شجرة فيها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان
الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير
اتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا ه وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة
التواضع ه وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد ه وقال الفضيل وقد
سئل عن التواضع فقال هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته ه وقال ابن المبارك
راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل ه وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او
ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة ه وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها

بالاستكانة اتمها عليك ه وقال كعب ما انعم الله تعالى على عبد من نعمة من نعم الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا
ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا
من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه ه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة
عن قوة ه ودخل ابن السماك على الرشيد فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال
يا امير المؤمنين ان امرا آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه
كتب في ديوان الله من خالص الله تعالى فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده ه وكان سليمان بن داود عليه السلم اذا اصبح
تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين ه وقال بعضهم كما تكرهون ان يراك
الاغنياء في ثياب الدون فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة ه وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن
اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما الا رأيت له عليك فضلا ه وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت
الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله عز وجل فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه ه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل
اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلم فخصه منهم بالكلام ه وقال يونس بن عبيد وقد انصرف
من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ه وقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله تعالى اوضع ما يكون عند نفسه
واوضع ما يكون عند الله تعالى ارفع ما يكون عند نفسه ه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر ه وقال مالك بن
دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما
بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا ه وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا ه وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة
وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال
فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل ه وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان دابه
وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي اباد الله شاهدك او تجعل لنفسك مكانا ه وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل
اليهود فقال الحسن من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب ه وعن ابي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا ابا الحسن
عظني فقال لي ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل
وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه ه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى
يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه ه وقال ابو سليمان
لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه ه وقال عروة بن الزبير التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة
يحسد عليها صاحبها الا التواضع ه وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم ه وقال يحيى بن
معاذ التكبر [illegible] التواضع ه وقال [illegible] لم احسن في الاغنياء الحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

وفي الفقر إن افتقر ○ ويقال لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا
لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل ○ وقال أبو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع
والنصيحة والقناعة وإذا أراد الله به خيراً لطف به فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار
الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله تعالى ○
وعن الجنيد أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم
أرذلهم ما تكلمت عليكم ○ وقال أيضاً التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها أو يرفعها ○ قال عمرو بن شيبة كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكباً
بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل
حافياً حاسراً طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي ما لك تنظر إلي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة
فقال أنا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس ○ وقال المغيرة
كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول إن زماناً صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء ○ وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت
الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس ○ وكان بشر الحافي
يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ○ ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد
المعرفة فأين المعرفة ○ وتفاخرت رجال من قريش عند سلمان فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم
آتي الميزان فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم ○ وقال أبو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين
والشرف في التواضع ○ **بيان** حقيقة الكبر وآفته ○ اعلم أن الكبر ينقسم إلى
ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فهي
ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر
فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فإن الكبر يستدعي متكبراً
عليه ومتكبراً به وبه ينفصل الكبر عن العجب بل لو لم يخلق إلا إنسان واحد تصور أن يكون معجباً ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون
مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبراً ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً فإنه قد يستعظم
نفسه ولكن يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى
غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل فيه
خلق الكبر لا أن هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون
إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركنة إلى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

أعوذ بك من نفخة الكبرياء ○ ولذلك قال عمر رضي الله عنه أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح ○ وكأن
الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات
وتسمى أيضاً عزة وتعظماً ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك
العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالاً في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبراً فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى
غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم ماثلاً بين يديه إن
اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلاً للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فإن كان
دون ذلك فيأنف من مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل وينتظر أن يبدأه بالسلام ويستبعد أن قصر في
قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد
عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى
الحمير استجهالاً لهم واستحقاراً والأعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى ولا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة
فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام
الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وإنما صار حجاباً عن الجنة
لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر
على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد
وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر
على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من اغتياب الناس و
ازدرائهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود
إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه فمن هذا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الذميمة متلازمة
والبعض منها داع إلى البعض لا محالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات
التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم إلى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال تعالى
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر أن أشد أهل النار عذاباً أشدهم عتياً على الله تعالى فقال تعالى
ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً وقال تعالى والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال تعالى
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع عن قلوبهم فهم القرآن وفي بعض التفاسير سأحجب
قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت على

السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلوب المتواضعين ولا تعمر في قلوب المتكبرين ألا ترى أن من شمخ برأسه إلى السقف شجه ومن
طأطأ أظله وأكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق
في حد الكبر والكشف عن حقيقته فقال صلى الله عليه وسلم من سفه الحق وغمص الناس ○ **بيان**
المتكبر عليه وأقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه ○ اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر الخلق وقد خلق
الإنسان ظلوماً جهولاً فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فإذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام الأول التكبر على الله تعالى
وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء
وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف
أن يكون عبداً لله ولذلك قال تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال الله تعالى لن يستنكف المسيح أن
يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن الآية ○ القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الخلق
وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع
المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما أخبر الله تعالى عنهم بقولهم أنؤمن لبشرين مثلنا إن أنتم إلا بشر
مثلنا ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وقالوا لولا أنزل
عليه ملك أو جاء معه الملائكة وقال الله تعالى فيما أخبر عن فرعون أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو
وجنوده في الأرض بغير الحق فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسله جميعاً قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك حتى
أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد إذ صرت عبداً تعبد فاستنكف عن عبودية الله تعالى وعن اتباع موسى عليه السلام
وأخبر الله تعالى عن قريش فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وأبو مسعود
الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله إلينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة
ربك نحن قسمنا وقال تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا استحقاراً لهم واستبعاداً لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس عندك
وعندك هؤلاء أشاروا إلى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا الآية ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم
يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار قيل يعني عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد رضي الله عنهم
ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقاً ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن
الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وهذا الكبر قريب من
التكبر على الله تعالى وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله تعالى والتواضع لرسوله ○ القسم الثالث

التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم
ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا
بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة
لا تليق إلا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تعرضه
للخزي والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي
فمن نازعني فيهما قصمته أي إنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي وإذا كان الكبر على عباده لا يليق
إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر
به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله تعالى وله العظمة
والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله تعالى فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق
بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى
مخالفة الله تعالى في أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في
مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف
الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فكل من يناظر للغلبة والإفحام لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد
شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة
بالإثم وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال
تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبراً وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثماً إذا قيل له
اتق الله قال عليك بنفسك قال صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه إلا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده فإذن تكبره
على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله تعالى وإنما ضرب إبليس مثلاً لهذا وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به فإنه قال أنا خير
منه وهذا الكبر بالنسب لأنه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدأه
الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات التي
تتعلق الكبر وهي على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس
فقال يا رسول الله إني امرؤ قد حبب إلي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي
حديث آخر من سفه الحق وقوله صلى الله عليه وسلم وغمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه وهذه الآفة
الأولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار

او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين
الله تعالى والرسل ○ **بيان ما به التكبر** ○ اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا
يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو
النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم
نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده
ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا على صنيعه بل
الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره
في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا
فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله تعالى اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه
ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه
وخطر الخاتمة وحجة الله تعالى على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا
وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا
قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين
احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله عز وجل
والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك
كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا
ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع
غالبا ○ السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الخلق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع
المجاهدات ولم يرض نفسه في مجاهدة نفسه وعبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من نفسه منزلا
خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار
بعروقها فيحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فيحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد
المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبرا واذا
كان الرجل خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما
يتكبر به ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ

القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه العباس يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال
صلى الله عليه وسلم اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم
ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فابى ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من
صلاة ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت
في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق
ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة
من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر
الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن
على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا معدوم او عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك
بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بان نقتحم الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر
ما كانوا عليه فليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما تقتضيه كرمه وفضله
الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما
الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في
المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة
على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل
يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكر الله غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف
ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه
لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة ان شاء الله بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم يتقربون الى الله تعالى
بالدنو منه وهو يتمقت الى الله تعالى بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما احراهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله تعالى
الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم ان ينقله الله تعالى الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع
بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال
الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه استصغارا لنفسه يقول ذلك في سره
وقال العابد في نفسه استكبارا هذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك
الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي رواية اخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك

ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله تعالى وخوفا منه فقد اطاع بقلبه فهو اطوع لله تعالى
من العالم المتكبر والعابد المعجب ولذلك روي ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله
لا يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من
صاحب المطرف الخز لان صاحب الصوف يرى له الفضل ويرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو انه
لو استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله تعالى ولو آذى مسلما آخر لم
يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله تعالى وقد ينتهي الحمق والغباوة
ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله تعالى ما اراد به الا شفاء غليله
والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله تعالى ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم
ومنهم من ضربهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا والآخرة ثم الجاهل
المغرور يظن انه اكرم على الله تعالى من انبيائه عليهم السلام وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه عليهم السلام ولعله في مقت الله تعالى باعجابه
وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت
تهب الريح او صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو
الرحمة لجميعهم لولا كوني معهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك
ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة الشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله تعالى فقد
احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد من الله تعالى حكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن
من مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا
يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك اليوم فقال صلى الله عليه وسلم اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله تعالى حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم
فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من
عصمه الله تعالى لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا
من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية
الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر
خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس
يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى
يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم من كان اوسعهم خلقا واكرمهم بشرا وتبسما

وانبساطا قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر
ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله تعالى يرضى ذلك ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن
وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه
الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول
في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ
كذا ولا انام بالليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني
فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض وغير ذلك يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام
وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع كلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في
العبادة خوفا ان يقال لغيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله تعالى واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على
الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته
فهو ان يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار حتى يحصل علوما يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل
وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتقدم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها
حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان
يرى انه اعظم منه فهذا كله من اخلاق الكبر وآثاره التي تثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري
من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن
خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا
قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل
الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه علما وعملا وقد يتكبر بعضهم فيرى
ان الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت
ومن ابوك فانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وغير ذلك وهو عرق في النفس لا ينفك عنه نسيب وان
كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي
عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع
ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه
انه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بالجمر قدم من تكبر

عليه اذ عرف ان العز لا يتم به الا الاول. وروي ان رجلين تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بابائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان. والجعلان التي تدوف بآنافها القذر. الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثر بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشأه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت. الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك ولانا انفق في اليوم ما تأكل في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقير وكل ذلك لجهله بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك الآية فكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة الآية ومن ذلك تكبر قارون اذ قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون. السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف. السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة قدرته وصنعته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وبكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له. اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سيأتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي يتعلق بالمتكبر فهو العجب

والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه كادره الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه لا يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه ليكون باعثه على التكبر عليه الرياء ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو وان سموا متكبرين فلاجل التشبه بافعال الكبر.

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيها اثر التواضع والتكبر. اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه وهو امالته متكبرا كانه مثل ما تقول العامة تدعقلها اي يحتج بانه متكبر ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا واقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام. وقال انس لم يكن شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك. ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه. وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة من لباس ومشي وغيره بل ربما يعرف بلونه

ومشي قوم خلف الحسن فمنعهم وقال ما يبقي هذا من قلب العبد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما خلع الثوب الجديد في الصلاة وابدله بالخليع لاجل هذين المعنيين. ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. وروي ان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يعني ابراهيم بن ادهم يا ابا اسحاق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه. ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه. وقال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف فيكم رجلا شرا مني. وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت. ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر. دخل رجل عليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم جنبه. وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته. ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه. روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر عبد الله وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله. وكان ابو عبيدة الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام. وقال ثابت بن ابي مالك رأيت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان على المدينة فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك. وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله. وقال رأيت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل. ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان. فقال هارون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس. وقال زيد بن وهب رأيت عمر رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم. وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع عليه فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب. وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب. وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين. ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان يشترى له قبل ان يستخلف الحلة بالف دينار قبل الخلافة فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا تواقة ذواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها

حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله تعالى وهو الجنة ورؤيته عز وجل. وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله تعالى ان يدخر له عبقري الجنة. فان قلت فقد قال عيسى بن مريم عليهما السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال من الثياب هل هو من الكبر فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجديد ليس من ضرورته ان يكون من الكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ويكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده. وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح. وقال عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك ولينوا قلوبكم بالخشية. ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل في الورع والزهد وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان يقتدى به ومنه ينبغي ان يتعلم قال ابو سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية فعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع عشاء لغداء ولا غداء لعشاء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس

شبعه وغيرهم عفيف متواضع في غير ذلة جواد في غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يتجشأ قط من شبع
ولم يمد يده إلى طمع قال أبو سلمة دخلت إلى عائشة رضي الله عنها فحدثتها بكل هذا عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ حرفا ولقد قصر إذ لم
يخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث إلى أحد شكوى وكانت الفاقة أحب إليه من اليسار والغنى وإن كان
ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها
من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا
بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من
أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك
جمعة حتى قبضه الله تعالى ۞ فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به
ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو فما أشد جهله فلقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم خلق الله تعالى
منصبا في الدين والدنيا فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في
غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام ۞ وقال أبو الدرداء اعلم أن لله تعالى عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم
أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله تعالى مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صلاة ولا صوم
ولا حسن حلية ولكن بحسن الورع وصدق النية وسلامة القلب لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبر في غير
وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل قلب إبراهيم
الخليل عليه السلام خليل الرحمن لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا
يحقرونه ولا يتطاولون على من تحتهم ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم
البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح
العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله تعالى واشتياقا إليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا إن حزب
الله هم المفلحون قال الراوي قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من هذه الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها
إلا بغضك الدنيا فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك
وإذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل إن الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن أبي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله سبحانه وتعالى وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

۞ اعلم أن الكبر من المهلكات
ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته

مقامان أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر
الإنسان على غيره ۞ المقام الأول في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف
ربه ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فلذلك علم أنه
لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله تعالى أما معرفته ربه وعظمته
ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في إثارة
التواضع والمذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقال
الله تعالى قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره فقد
أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الإنسان إلى ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان
فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان
كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من أذل الأشياء ثم من أقذرها إذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم
جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف
والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يعلم
فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته
قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله تعالى
هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه كذلك خلقه أولا ثم امتن
عليه فقال تعالى ثم السبيل يسره وهذه إشارة إلى ما يسره له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال تعالى من نطفة أمشاج
نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا الآية ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جمادا ميتا وأسمعه بعد
أن كان أصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات
بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره
وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من
نطفة فإذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فانظر إلى نعمة الله تعالى عليه كيف نقله من تلك الذلة
والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد
العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر وكان في ذاته لا شيء وأي شيء أخس من لا
شيء وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله تعالى شيئا وإنما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه
خسته فيعرف به نفسه وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به ولذلك

امتن عليه فقال تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته أولا فقال تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله
فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الأشياء وأضعف الضعفاء ثم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود
باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات
المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضي أم سخط فيجوع كرها ويعطش
كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد
أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه
ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية
وهي تنفعه وتحييه لا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب
جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقي وإن اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه وغيره فأي شيء أذل منه لو
عرف نفسه وأنى يليق التكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليتأمل وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى ثم
أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا
كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب جيفة منتنة قذرة كما كان
في الأول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا ويأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه
فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر أجزائه فيصير روثا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل
إنسان ويهرب منه لشدة الإنتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان
موجودا وصار كأن لم يغن بالأمس حصيدا كما كان في أول أمره مدة مديدة وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول
البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض
مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر إليها
المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال قد كان وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر
بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود
قد نسيت ذلك وأحصاه الله تعالى فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول
هذا الخطاب قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
إلا أحصاها فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم إذا شاء أنشره فما لمن هذا حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما
لتمنى أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وإن كان عند الله تعالى مستحقا للنار

فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه
الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه
التي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتد له
فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الكريم بفضله أرأيت من جنى على بعض الملوك ما استحق به ضرب ألف سوط فحبس في
السجن وهو منتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أيعفى عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أفترى أنه يتكبر
على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا
وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لأصل الكبر وأما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق
بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه كان يأكل على
الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوما لبست أشار به إلى
العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل
الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان
العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم
ابن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر إلا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل إيمانه فلما كان السجود
عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فإن
الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال
فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة
بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت ۞ المقام الثاني فيما يعرض من التكبر
بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه والمال أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي
فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة الأول النسب فمن يعتريه
الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكمال غيره فالمتكبر بالنسب إن كان
خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت
إنما أنت دودة خلقت من بولي أفترى أن الدودة التي من بول الإنسان أشرف من الدودة التي من بول الفرس هيهات إنهما متساويان
والشرف للإنسان لا للدودة ولذلك قيل: لئن فخرت بآباء ذوي شرف ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ۞ الثاني أن يعرف نسبه
الحقيقي فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال تعالى الذي أحسن
كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله من التراب المهين الذي يداس بالأقدام

اولا ثم حمى طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر باخس الاشياء اليه نسبا اذ ينال بالاذل من التراب وبالانتن من الحمأة وبالاقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فليقل افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بها ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذن اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة ذلك فبينا هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم [illegible] ان الذي ذكر له يتعاطى الصنايع الخسيسة وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير في نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب ويتعاطى عمل الطين كاللبانين والجصاصين وغير ذلك لكان يعلم به خسة نفسه لمماسته اعضاء ابيه التراب والطين فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه من مثلها هو في نفسه وغيره ٥ السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهايم ومهما نظر الى باطنه راى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار في جميع اجزايه الرجيع في امعايه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغايط كل يوم دفعة او دفعتين بيده ويتردد الى الخلاء كل يوم ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال كماله وجماله وخرج من اول امره وخلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من صلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ راه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته فهذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتنظف بالغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدري او قرحة او سبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب دا الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها ٥ السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي وعلاجه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب

شيا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه لاهلكته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان لا يكون اقوى من حمار او بقرة او جمل او فيل واي افتخار في صفة يسبقك فيها البهايم ٥ السبب الرابع الغنا وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهودي واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشي من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شي ومن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف انه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وبدنه واعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان تفرح بهما ولكن التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره ٥ السبب الخامس الكبر بالعلم وهو اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر اذا زل العالم زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضايل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله تعالى عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر

بالخير ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا واراد به علماء اليهود وقال تعالى في بلعم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الآية قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض اي سكن حبه اليها فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره وهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدايه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من الكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا اوكل وكل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال الكبر بالكلية وراى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرضاه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا ولا بد من ان يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع احواله واعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دايم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوايف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسر قلبه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعايه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الريا والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة ٥ الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله تعالى بغيضا وقد احب الله تعالى منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل الكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او يتصور ذلك فلهذا زال الكبر عن الانبيا اذ علموا ان من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله تعالى ان يتواضعوا انفسهم حتى يعظم عند الله تعالى محلهم وهذا ايضا مما يبعث على التواضع لا محالة فان قيل فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر والمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخفى عليه ان خطر المبتدع والفاسق اكثر فاعلم ان ذلك يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من كبر عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله تعالى من اهل النار

وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله تعالى الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب منطوية على العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضايل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال ان هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي وان نظر الى كافر او مبتدع قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق كل واحد ان يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوف عاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جناية وتوعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات الى غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قيل كيف ابغض المبتدع في الله تعالى وابغض الفاسق في الله تعالى وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق وان يمتزج غضبك لله تعالى في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس الى جنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه وتكبر باطنا في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله تعالى وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من يغضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت كيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله تعالى من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ويعرفك ذلك مثال لنعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله تعالى ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وربما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولا تجري من ولده ما يكرهه مولاه فيضربه ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة

الغضب التكبر وعدم التواضع ولذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان مقامه عند الله في الاخرة اعظم لما سبق
له من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فيجب بحكم الامر بمجانبته وزجره عما يكرهه مع
التواضع ثم يجوز ان يكون عنده اذنب منك في الاخرة وهكذا ينبغي ان يكون بعض العلماء الاكياس فيضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور
فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى او اعتقد
البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر. السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد
وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم
قال الله سبحانه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل
من اصحابي الى غير ذلك كما ورد في فضل العلم فان قيل هذا العالم العامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات
يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت
الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان الامر كذلك محتملا فلم يجز ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي للعالم ان
يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العابد
عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يكون بحيث يكون حاله عند الله تعالى اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان
هو عند الله عظيما وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد
كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال
وهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين ومكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور
فلعله اقل منه ذنبا واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر له من الذنوب الا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا
ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان تتوهم اكثر من ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا يقدر على احصائها حتى يعلم الاكثر
نعم يمكن ان يعلم ان ذنوبه اشد كما لو رآه يشرب الشرب والزنا ومع ذلك فلا يستيقن ذنوب القلب من الكبر والحسد والرياء والغل
واعتقاد الباطل في الوسوسة في صفات الله تعالى وفي الخطأ فيها كل ذلك اشد فلعل الله تعالى يطلع في باطنك من خفايا الذنوب
ما صرت به عند الله تعالى ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله تعالى واخلاصه وخوفه وتعظيمه ما
انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسه بدرجات فهذا ممكن والامكان للعبد فيما عليك في
ان يكون محتملا عندك ان تكون مشفقا على نفسك لا تفكر فيما هو ممكن لغيرك بل ما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب
غيرك لا يخفف شيئا عن عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر على غيرك فوق غيرك وقد قال وهب
ابن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا
ذكره وهي ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع

للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا
من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري فيهم خير له ولعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله تعالى ويتوب عليه ويختم له
بالحسنى والسعادة واشرف الاعمال في ظاهري افلك سر الي ولا ثق فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الافات فاحبطتها ثم قال فحينئذ
كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان
يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في
النوم ائت فلانا الاسكاف فاسأله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق
ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لعبادة الله تعالى فاتي في النوم ثانيا فقيل له ائت الاسكاف
واسأله ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فسأله فقال ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي
يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعة وقلوبهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن
الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدوام بالاشفاق فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشيته مشفقون
فمتى زال الاشفاق والحذر بما سبق به القضاء في الازل وهو ينكشف عند خاتمة الاجل غلب عليه الامن من مكر الله وذلك يوجب
الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد
باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن
القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة
عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال
المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان
كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر عليه شيء من الحق على لسان صاحبه
فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله
فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فالا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد
والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما
نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها فينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متواليات صار ذلك له طبعا
وسقط ثقل الحق عن نفسه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة
ويثقل عليه في الملأ فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع من الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله
في ذاته وعند الله تعالى لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملأ ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه

الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان. الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال
في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدر تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط
عنه ثقله وكذلك يزايله الكبر وهاهنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال
فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل
فيكون قد تكبر وتكبر ايضا باظهار التواضع بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس الى جنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي
يخرج خبث الكبر من الباطن. الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمضي الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك
عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته
بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر. الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة
اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان مع الاخلاء
لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا
بطب الاجساد وقد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم وروي ان
عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر
ذلك فلم اقنع لها بما اعطت من العزم على ترك الانفة حتى جربتها هل صادقة ام كاذبة. وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد بريء من الكبر.
الامتحان الخامس ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس من ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد بريء من الكبر وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد احل بالارض
والبس الصوف واعقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني. وقيل لابي موسى الاشعري رضي الله عنه
وكان اذ ذاك امير الكوفة ان اقواما يتخلفون عن الصلاة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس. فهذه مواضع تجتمع فيها
الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة
فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع
في غير مذلة وفي غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو
متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي كان يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه
فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل فهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله تعالى العدل وهو ان
يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذه الامثلة لامثاله ومن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام له في داره اذا قصده
او في غير المسجد والبشر والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته بالكلام وغيره وامثاله وان لا يرى نفسه خيرا منه

بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في التواضع ان يتواضع للاقران
ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان
كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك
وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان
يذل نفسه بل يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط
الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس
من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية الكبر ونهاية التخسس والتذلل مذمومان
واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة
ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع.

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب
وتفصيل علاجه.

بيان ذم العجب وآفته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى
وسنة رسوله قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك في معرض الانكار وقال الله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله فاتاهم الله ردا على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى
العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه. وقال صلى الله عليه وسلم لابي ثعلبة حيث ذكر اخر هذه الامة فقال صلى الله عليه وسلم اذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك. وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما
جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمير والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد
وظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط
فلهذا جمع بينهما وقال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا
تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب. وقد وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه حتى جرح فذكر ذلك عمر رضي الله عنه فقال
ما زال يعرف في طلحة نبو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل عنه ما اظهر ذلك الا
احتمل منه لما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت من طلحة فقال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص
الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم. وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا. وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب. وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا
ذكر الله تعالى والدار الاخرة لمواظبته على العبادة واطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبك

ما رأيته فإن إبليس عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه ٥ وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل
مسيئاً قالت إذا ظن أنه محسن ٥ وقال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام
العمل هو العجب فظهر من هذا أن العجب مذموم جداً ٥

بيان آفة العجب ٥

اعلم
أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه ويتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي
لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه
أنه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها شيئاً فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن أنها
تغفر له وأما العبادات والأعمال فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها
ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية من الشوائب قل
ما تنفع وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله تعالى وعذابه ويظن أنه
عند الله تعالى بمكان وأن له عند الله تعالى منة وحقاً بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثني
على نفسه ويحمدها ويزكيها وإن أعجب برأيه وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي
الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل
ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول
العقائد فيهلك به ولو أنه اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك
يوصله إلى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد
استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه ٥ نسأل الله تعالى حسن التوفيق لطاعته

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما ٥

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان إحداهما أن
يكون خائفاً على زواله ومشفقاً على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفاً من زواله لكن يكون فرحاً به من حيث
أنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضاً ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو أن يكون غير خائف عليه بل
يكون فرحاً به مطمئناً إليه ويكون فرحه به من حيث أنه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث أنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه من حيث أنه
صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث أنه كمال ونعمة منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله تعالى مهما شاء سلبه
زال العجب بذلك عن نفسه فإذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على
نفسه أن له عند الله تعالى حقاً وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده
ما يجري على الفساق سمي هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله تعالى دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون
معجباً فإن استخدمه أو اقترح عليه واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه ٥ وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا

تدل بعملك وفي الخبر أن صلاة المدل لا تصعد فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك والإدلال
وراء العجب فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا
مع توقع جزاء فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلاً بعمله فإنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد
دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه

بيان علاج العجب على الجملة ٥

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض وعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت
اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل
تحت اختياره ولا يراها من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعلم الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث أنه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث
أنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث أنه فيه وهو محله ومجرى يجري فيه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث
هو منه وبإختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها تم عمله أنها من أين كانت
له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله تعالى وكرمه
وفضله إذ أفاض عليه ما لا يستحقه وآثره على غيره لا بسابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم فخلع من جملتهم على واحد
منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه
بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب من نفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا
بسبب فلولا أنه يعطي بي من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الإيثار والخلعة لما آثرني به فيقال وتلك الصفة هي أيضاً من خلعة
الملك وعطيته التي خصك بها عن غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كان من عطية الملك أيضاً لم يكن لك أن تعجب بها بل
كان كما لو أعطاك فرساً فلم تعجب به فأعطاك غلاماً فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاماً لأني صاحب فرس وأما غيري فلا فرس له
فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معاً أو يعطي أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن
تعجب لجوده وفضله لا بنفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا
يتصور في حق الملك الجبار المتفرد باختراع الجميع المتفرد بإيجاد الموصوف والصفة فإنك إن أعجبت بعبادتك وقلت رزقني العبادة
لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو عز وجل فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق
من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسبابها فإذن
لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لأن كل ذلك من فضل الله تعالى وإنما هو محل لفيضان
فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضاً موجود من فضله فإن قلت لا يمكنني أن أجهل أعمالي وأني أنا عملتها فإني أنتظر عليها ثواباً ولولا أنها عملي
لما انتظرت الثواب فإن كانت الأعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن أين الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف
لا أعجب به فالجواب من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة أما الصريح فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك

جميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي
انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبصار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك
العقل والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفي شيئاً من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبداً باختراعها
من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة
ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علماً بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خيل
إليك أنك أوجدت عملك وقد غلطت وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله تعالى سيأتي تقريره في كتاب الشكر
فإنه أليق به فارجع إليه ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين
قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فإن كان
العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل
إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة أرأيت لو أن خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن
فلو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار منها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تسلط بيدك إليه
وتقبضها فتأخذه فقط فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد وأخذتها أكان إعجابك بإعطاء الخازن
المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذه فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد لأخذ المال قريبة إنما الشأن كله
في تسليم المفاتيح وكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف
حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله تعالى
ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب من إليه الأمر كله وبجوده وفضله وكرمه في إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط
دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخلاء السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات
وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك
ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك وفضلك وأبعد العاصي وأشقاه فتعول إلى العقوبة ولم يسلط عليك
داعية لا تجد سبيلاً إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت عاقلاً فحقك أن تعجب منه لا من نفسك وسيأتي في كتاب التوحيد
والتوكل ما تستبين به لك أنه لا فاعل إلا الله تعالى ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله تعالى عقلاً وأفقره ممن أفاض عليه
المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلماً ولا يدري
المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعاً لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني
عنهما فهلا جمعتهما لي أو رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار علي كرم الله وجهه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال إن عقل الرجل محسوب
عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالاً من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضاً عن عقلك

وفقرك لامتنع عنه فإذن ذلك يدل على أن نعمة الله تعالى عليه أكبر فلم يتعجب منه والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة
فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل هذا القبح بها ولا تدري المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت
بين الجمال والقبح مع الغنى لآثرت الجمال فإذن نعمة الله تعالى عليها أكبر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجهال
كقول من أعطاه الملك فرساً فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني
ما أعطيتك الفرس أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال
ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والإدلال
ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك لما
قال داود عليه السلام يا رب ما من ليلة إلا وإنسان من آل داود قائم ولا من يوم إلا وإنسان من آل داود صائم وفي رواية ما من ساعة
من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلي أو يصوم أو يذكرك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا
بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك ٥ قال ابن عباس إنما أصاب داود عليه السلام ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله إذ أضاف
إلى آل داود بإدلاله حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنباً أورثه الحزن والندم ٥ وقال داود عليه السلام يا رب إن بني إسرائيل يسألونك
بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وأنا إن ابتليتني صبرت وأدل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى أما إني لم
أخبرهم بأي شيء أبتليهم ولا في أي شهر ولا في أي يوم وأنا مخبرك في سنتك وشهرك ويومك الذي أبتليك فيه في امرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك
لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم عن قلة
وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى
ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي أمر إلا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف
صوت يا أيوب أنى لك ذلك أي من أين لك ذلك قال فأخذ رماداً فوضعه على رأسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه وأضاف ذلك
إلى الله عز وجل ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس
ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا
تراباً وتبناً وطيراً مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فإذن هذا هو العلاج القامع
لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا
نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالي أن يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي أن يعود
ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقي معه عجب بحال ٥

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه ٥

اعلم أن العجب بالأسباب التي يتكبر بها كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي
يزين له بجهله فما به العجب ثمانية أقسام الأول أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته

من حيث لا يشعرون ... فكل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له تعرف الدليل وشروطه
وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يستقل به إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز
الوجود جداً فنسأل الله عز وجل العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال

كتاب ذم الغرور

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور
ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم
الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور أما بعد فمفتاح السعادة التيقظ
والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور
البصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة
فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء

حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لها امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال فيما اخبر الله تعالى عنه انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله سبحانه وما عند الله خير وقوله تعالى والآخرة خير وابقى وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله تعالى ابعثك الله رسولا فكان يقول صلى الله عليه وسلم نعم فيصدقه وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس وليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار المقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة خوفا من الم المرض في المستقبل ترك ذلك في الحال ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من الف جزء من الآخرة فانه يترك واحدا ليأخذ الفا بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى ان لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذن قد غلط في قوله النقد

خير من النسيئة وهذا غرور منشاؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خيرا من نسيئة هي مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده وتعبه في القنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك دأب العقلاء بالاتفاق وغيره وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت وكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلائل وهو منتهى العمر وقريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال المريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند آخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بقرائن الاحوال انه اكثر منه عددا او اغزر منه فضلا واعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها وكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله تعالى واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي والسوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون معرفته كمعرفتك وانت خلف فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة فهو انه كشف له حقيقة الاشياء كما هي فشاهدها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبر عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف له عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله تعالى الامر الذي يقابل النهي لان ذلك كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به من خلق الله تعالى فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان

عالم الامر وعالم الخلق ولله تعالى الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته من الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب عز وجل وانه امر رباني يحن الى جوار الرب الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء ولنرجع الى الغرض المقصود فالمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة ما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله تعالى مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه لو كان لله تعالى من معاد فنحن احق به من غيرنا كما اخبر الله تعالى عنهم وكقول الرجل المجادل وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي الآية وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف واشترى بستانا بالف وخدما بالف وتزوج امرأة على الف وفي ذلك كله يعظه اخوه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض لي فقلت اني آخذه في الآخرة فقال لي اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك مالا وولدا فاقضيكم منه فانزل الله تعالى افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الآيات وقال تعالى ولئن اذقناه

رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله تعالى وسبب هذا الغرور قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الاهانة ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده كريم محبوب لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انه كرامة من الله تعالى واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال سبحانه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله فقال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين الآية فما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه

تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال سبحانه ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال والله خير الماكرين وقال تعالى إنهم يكيدون
كيدا وأكيد كيدا الآية وكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإمهال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد إياه بل ينبغي أن يخاف أن يكون
ذلك مكرا منه مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره واستدراجه أولى فإذن من أمن مكر الله
فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعمة الدنيا على أنه كريم عند المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى
فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور ۞ المثال الثالث غرور
العصاة من المؤمنين بالله تعالى بقولهم إن الله كريم وإنا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم
رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنا
موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجاء بعضهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم
ومخالفتهم سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله تعالى من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى
كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب
إنسانا أحب أولاده وأن الله تعالى قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب
ولده في السفينة فقال إن ابني من أهلي فقال تعالى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح وأن إبراهيم صلوات الله عليه استغفر لأبيه
فلم ينفعه وأن نبينا صلى الله عليه وسلم استأذن في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار
فجلس يبكي على قبر أمه صلى الله عليه وسلم لرقته لها بسبب القرابة وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما أن الله لا يبغض
الأب المطيع ببغض الولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه الأب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأ
وشك أن يسري البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه
ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من
أخيه وأمه وأبيه إلا على سبيل الشفاعة كما سنذكره في كتاب الكبر والعجب فإن قلت فأين الغلط في قول العصاة والفجار إن الله تعالى كريم وإنا نرجو
مغفرته ورحمته فما هذا إلا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود
الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله سبحانه غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به
الجهال وقد شرح الله سبحانه الرجاء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعني أن الرجاء بهم
أليق وهذا لأنه ذكر ثواب الآخرة أجرا وجزاء على الأعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى إنما توفون أجوركم يوم القيامة
أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد في الأجر فكسر
الأواني وأفسدها جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن الشارط كريم أفلا يعده العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو

الرجاء وهذا الجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها
من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة وإني لخائف ما لاقى اليوم فقال له رجل إنا نرجو الله سبحانه
فقال له الرجل هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن من يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو
جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما
أنه إذا نكح ووطئ وأنزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله تعالى في الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن
يتم بحث المخافة والرجاء فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا
يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات
الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس وما عدا هؤلاء من
الناس فهم المغرورون بالله سبحانه وتعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين فعند ذلك يقولون كما أخبر
الله سبحانه ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا أي علمنا أنه كما لا يولد ولد إلا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحرث وبث
بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب ولا أجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وأن ليس للإنسان إلا ما
سعى وأن سعيه سوف يرى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ألم يسمعكم سنة الله في عباده وأنه توفى كل نفس ما كسبت
وأن كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله سبحانه بعد أن سمعتم وعقلتم لو كنا سمعنا من رسلنا وعلمائنا الناصحين وعقلنا عن
الله سبحانه أوامره ونواهيه فقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير فإن قلت
فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم أنه محمود في موضعين أحدهما في حق العاصي المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال الشيطان
وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر أن الله تعالى كريم يقبل التوبة عن عباده وأن
التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور
الرحيم وأنيبوا إلى ربكم أمرهم بالإنابة وهي الرجوع وقال تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وإن
توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان لا
تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو إدراك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وجعل يرجو
تأخير الإمام الصلاة لأجله أو لغيره أو لسبب آخر لا يعرفه فهو مغرور والثاني أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على
الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى
قد أفلح المؤمنون إلى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الأول يقمع القنوط المانع من التوبة
والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل رجاء بعث حثا على التوبة وعلى التشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء
أوجب فتورا في العبادة أو ركونا إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان

ما لك وإيذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهذا هو الغرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل
الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ومع أنه كريم خلد الكفار
في النار أبدا مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأمراض والبلايا على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذه
سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو
تمن وغرور ورجاء أكثر الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أن الغرور سيغلب على آخر هذه الأمة وقد كان في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما
آتوا وقلوبهم وجلة يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله عز وجل يواظبون بالغوص في التقوى والحذر من الشبهات
والشهوات ويبكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهماكهم
في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنا واثقون بكرم الله عز وجل وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا
من كرم الله تعالى وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ما كان بكاء
أولئك وخوفهم وحزنهم فقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن كتابيه
يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله طمعا لا خوف معه إن أحسن أحدهم
قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه ومثله أخبر الله تعالى عن اليهود
والنصارى إذ قال سبحانه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حلالا كان أو حراما وقد
قال الله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم
خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس الآن يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكأنهم يقرؤون
شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والأوامر ونواهيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة
الغرور بالله تعالى ۞ **بيان** الفرق بين الرجاء والغرور ۞ ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات
ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية
الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما يتصدق به هو من
مال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة
من الحلال أو الحرام وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة
وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي
يستغفر الله سبحانه بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله تعالى طول النهار من غير حصر وعد ويكون
نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون

ويعاقبه الله تعالى عليها العقاب على كل كلمة بقوله سبحانه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهو أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات
ولا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام ما يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور
ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى
عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازن بها تسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن حاسب
نفسه واحتاط خوفا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة
لمن تفكر فيها فقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال
من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى الله تعالى أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه مع هذا البيان وما أجدر من يقدر
على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر بأمثاله اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الهوى

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف من الأصناف ۞ الصنف الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم أحكموا العلوم الشرعية
والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم
عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله تعالى مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم
على الله فإنهم لمغرورون فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته المسمى
بالعادة علم المعرفة وأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة
إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمن به مرض وعلة لا يزيلها إلا دواء مركب
من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء
وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية الخلط والعجن
فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها
أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة
لم يغنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم
الاحتماء وجميع شروطه فإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر
غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها
وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال الله تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها
وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم
يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضائل العلم وينسى ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب
وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم

يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يلقى العالم في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى وقال
صلى الله عليه وسلم شر الناس العلماء السوء وقول أبي الدرداء ويل للذي لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات أي أن العلم حجة عليه إذ يقال
له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه
فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أنه لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم
يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فمثله ما ذكرناه وإن نظر بعين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة
العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم أشد عند الله تعالى من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله تعالى
عليه غاية الغرور وأما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل ويضيع أمر الله تعالى وحدوده
فغروره أشد ومثاله من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف
ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه
من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فقدم على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه
متوسلا إليه بمعرفته له ونسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما
عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه
الشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور
أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفني كما تخاف الأسد الضاري نعم من يعرف من
الأسد لونه وشكله واسمه ثم لا يخافه فكأنه ما عرف الأسد ومن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر
في قدرة من لو أهلك مثله ألافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليهم رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى إنما
يخشى الله من عباده العلماء وقيل معناه العلماء بالله تعالى على الحقيقة وفي الزبور رأس الحكمة خشية الله تعالى وقال ابن مسعود كفى بخشية الله تعالى
علما وكفى بالاغترار بالله تعالى جهلا واستفتي الحسن عن مسألة فأجاب فقيل إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم
ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال أيضا الفقيه الذي لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله تعالى فإن قبلت منه حمد الله تعالى وإن ردت حمد
الله تعالى فإذن الفقيه من فقه عن الله تعالى أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
فإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغترين وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم
يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والرياسة وإرادة السوء للأقران والشركاء وطلب الشهرة
في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز منها ولا يلتفت إلى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء
الشرك الخفي وإلى قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وإلى قوله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب وإلى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل إلى غير ذلك من الأخبار

التي أوردناها في جميع ربع المهلكات من الأخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم إن الله
لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الأعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الأصل إذ لا ينجو إلا
من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه
وضع السراج على ظهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر
داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع من الحشيش
بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤوسه وأطرافه ولا يزال يقوى أصله وينبت لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب ومن
لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء
فالطلاء يزيل ما على ظاهره والدواء يقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء لأنه مر ويتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب
دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة أخرى علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم
يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله تعالى من أن يبتليهم بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله
من أن يبتليهم ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وإنما هذا طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وإرغام أنف المخالفين المبتدعين فإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجلس لشمتت أعداء الدين وفرحوا به وكان
ذلي ذلا على الإسلام ونسي المغرور أن عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به ونسي أن النبي صلى الله عليه وسلم
بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسي ما روي عن الصحابة عليهم السلام من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة
حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الشام فقال إنا قوم أعزنا الله تعالى بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا
المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والإبريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين
وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب
للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يمتحن أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسته
وزوحم فيه هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله تعالى أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل
ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من خبث باطنه وهكذا قد يرائي بأعماله وبعلومه وإذا خطر له
خاطر الرياء قال هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله عز وجل ولا
يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان
كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا
ويقول إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فإنما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه
والله تعالى مطلع على ضميره أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار لحبس مع

ذلك في السجن وقيد بالسلاسل لأخذ في هذا السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى المعصية التي بها تطهر رياسته من تدريس أو وعظ أو
غيره ولذلك يدخل على السلطان ويتردد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان
هيهات إنما ذلك عند الطمع في مالهم فأما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من
باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو
قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من مالهم وإذا خطر له أنه
حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله تعالى أفلا يحل لك أن تأخذ قدر
حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور أحدها أنه مال لا مالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء
وأولادهم وورثتهم أحياء ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب أن يقسم بين
العشرة ويرد إلى كل واحد عشره وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد
دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها
وأقبلوا على الله تعالى فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين إذ الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والإقبال على
الله تعالى ولعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي
فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار المتأخرة خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه
بالقليل على الكثير وفرقة أخرى أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا أخلاق
النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها
الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه
فلم يفطنوا لها وأهملوها وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه إلا أنه لم يفتش
عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبتت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت
التراب فأهملها وهو يظن أنه قد قلعها فإذا بها في غفلته قد قويت ونبتت وأفسدت أصل الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل
جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف
فيها وهو يرى أن باعثه الحرص على إظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف
وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح والزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره
في الأغراض واجتماع الناس على تلمذته والاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه
والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخصلة من بين سائر الأقران والأشكال
والجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من إطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين بل

عن الإدلال بالتميز واعتداد الله بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمره من الإمارة والغنى والانقياد وتوفير حشمته
لو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويخلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر لكل
حيلة لنفسه وربما احتاج أن يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق
قدره وفضله وورعه وإن كان الذي على الحق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لمزيته في الفضل والورع وإنما ذلك
لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن
قبولهم لإخلاصه وصدقه وقيامه بحق الله تعالى وإلا ما يثني على لسانهم من مناقبه وخطوته ويرى ذلك مكرما في الدين ولم يتفقد مع نفسه تصحيح
النية فيه وعساه لو وعظ وقيل له إن ذلك على الثواب في إيثار الخمول والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والإخفاء لذة القبول
وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان عند عصيان آدم عليه السلام من أسعد بعلمه امتنع فيهلك فتح في حبالي وعساه
يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع عند الله تعالى شفيعا به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه
اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله تعالى عالم بأنه المصنف لا من
ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه إما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالطعن على من هو أعظم منه
علما ولعله كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه وأعظم منه فيعزيه إلى قائله وما يستحسنه
فلعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالسارق يغير الثوب المسروق كيلا يعرف أنه
مسروق ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها
وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس ولعله غافل كما روي أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه
قل له قد ملأت الأرض نفاقا وإني لا أقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد منهم بنفسه السلامة
عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أم غيره
فيفرح إن كان أتباعه أكثر ولن يعلم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة تغايروا وتحاسدوا ولعل
من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان
أنفع له في دينه لآفة من الآفات التي كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل
واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على إظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله سبحانه
لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه أو ذكرت بين يديه فرح بذلك وإن أثني عليه ربما ساءه ذلك وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه
كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع عليه في ذلك فهذا وأمثاله من خفايا العيوب التي لا يفطن لها إلا
الأكابر ولا ينجو منها إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه

وبينوه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال
وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة
بخفايا العيوب مع الاهمال فهذا غرور الذين حصلوا العلم المهم ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا
يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى
في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه
وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والنظر عن الحرام
والرجل عن المشي الى السلاطين وكذى سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد وسائر المهلكات فهولاء مغرورون
من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وانما مثالهم مثال المريض فيما اذا تعلم نسخة الدوا
والاشتغال بتكراره وتعليمه لا ينفعها الا مع العمل بل مثالهم مثال من به علة البواسير او البرسام وهو مشرف على الهلاك يحتاج الى
تعلم الدوا واستعماله فاشتغل بتعلم دوا الاستحاضة وبتكرار ذلك ليله مع نهاره مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول
ربما يقع علة الاستحاضة لامراه وتسالني عنها وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات
والحسد والكبر والريا وسائر المهلكات الباطنة وربما تخطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك
ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض لا يحتاج اليه
في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان
وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين هذا لو
كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله معرض عن فرض عينه في جوارحه
وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله تعالى وسنة
رسوله وربما طعن في المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك
جلاله وعظمته فهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه امنا من الله تعالى مغترا به متكلا على انه لا بد وان
يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلم الذي هو اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما
سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله تعالى ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف
ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار
غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق
الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد و
الله سبحانه واذا مات ملوثا بتلك الصفات المذمومة فهو محجوب عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على

علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه من الحج في شيء
وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومنهم من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم
ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع
التسبيبات المؤذية فهولاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم مباهاة الاقران فكل
علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه
ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهولاء قد جمعوا
ما جمعه الذين من قبلهم من علم الفتاوى لكن زادوا اذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا فان جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها
السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما واما حيل الجدل
من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب وانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هولاء اشد واقبح من غرور
من قبلهم ۵ وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا
من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا
يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله سبحانه وبصفاته منهم وانه لا
ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة
هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا
وانما اوتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم شروط الادلة ومناهجها فرات الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة
فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث
وان من صدق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل ولا بمقرب عند الله عز وجل
فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارهم في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم
حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وهو يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى وافضل ولكنها
لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول
وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم
عرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة
وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالة هجروه واعرضوا عنه
وابغضوه في الله تعالى ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في
[illegible] وانما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل ثم خرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب
وقال صلى الله عليه وسلم الهذا بعثتم اهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله تعالى بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم فاعملوا وما نهيتم
عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله تعالى بالحجاج والجدال ثم انهم راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا
بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقتدر على محوها
من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل
الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم وان نجونا وهلك الكل لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل ولم يضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لي اضيع العمر ولا اصرفه الى ما ينفعني
في يوم فقري وفاقتي ولا اخوض فيما لا امن على نفسي الخطا في تفاصيله ثم ارى ان المبتدع لا يترك بدعته بجدالي بل يزيده التعصب والخصومة
تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو لم انه عن الجدل والخصومة فكيف
وقد نهيت عنه فكيف ادعو الى ترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي وانظر في صفاتها والى ما يبغضه الله تعالى ويحبه لانتهي عما يبغضه
واتمسك بما يحبه ۵ وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر
ونظايره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم
منفكون عنها عند الله تعالى الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هولاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب
ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب
النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله تعالى لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله تعالى وكيفية قطع المنازل في
طريق الله تعالى فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو امن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى
انه من الراضين بقضاء الله تعالى وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى
انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى
الى دقائق الريا ويصف الزهد في الدنيا وهو اشد الناس حرصا على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعا الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف
بالله تعالى وهو منه امن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق الردي
وهو عليه اشد منهم حرصا ولو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر
من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله تعالى اليه فهولاء اعظم
الناس غرورا وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك
ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون

وهو ليس بخائف ثم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة امكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو ان يدعي مثلا حب الله عز وجل فما
الذي تركه من محاب الدنيا لاجله وقد يدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي
الانس بالله تعالى فمتى طاب له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه مستوحشا
اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله سبحانه غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطا عنهم في الاخرة
يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه
وانما وقع الغرور لهولاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله
وقدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى علمه وما نفع الناس بكلامهم
فيها الا لاتصافهم بها وذهب عنهم ان القبول للكلام والكلام بالمعرفة وجريان اللسان والمعرفة فضل العلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم
يفارقوا المسلمين في الاتصاف بصفة الخوف والحب بل في المعرفة على الوصف بل ربما زاد منهم من نقص خوفه وظهر الى الخلق ميله وصافى
قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض فيصف دواه بفصاحته ويصف الصحة والشفا وغيره من المرضى لا يقدر على
وصف الصحة والشفا والطب بطبيعة عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح لا بالجهل وكذلك الخوف والحب والتوكل والزهد
وسائر هذه الصفات غير الانسان بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ
الذين لا عيب لهم في كلامهم بل منهاجهم وعظهم منهاج وعظ القران والاخبار ووعظ الحسن واشباهه ۵ وفرقة اخرى منهم عدلوا
عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على الندور في بعض الاطراف من البلاد ان كان ولسنا
نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات
النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر في مجالسهم
الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين الانس ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم
فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هولاء فانهم يصدون عن سبيل الله تعالى ويجرون الخلق الى الغرور بالله سبحانه بلفظ
الرجا فيزيدهم جراة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فيشهد من قرنه الى قدمه بشدة
الحرص على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى كونه مغرورا ۵ وفرقة اخرى منهم قنعوا
بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل
ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلسا وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية بحفظ
كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام
ولكنه يظن ان حفظه كلام اهل الدين يكفيه وغرور هولاء اظهر من غرور من قبلهم ۵ وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم

في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ
ليقول انا اروي عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون
العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون
بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين عليهم وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون
بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم لا يقومون ايضا
بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن فيه فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد
التفهم فالاول السماع ثم الحفظ ثم الفهم ثم العمل ثم النشر وهؤلاء قد اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في المجلس عند
الشيخ والحديث يقرأ والشيخ نائم والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى لان يسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل
ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف او غير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل
ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية
عن الحفظ والحفظ عن السماع فاذا عجزت عن سماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك
عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ فتروي كما سمعت حتى لا تغير منه حرفا ولو
غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه وحفظ الطريقين احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما تجري على سمعك في
مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك
فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك ويكون كتابك مذكرا لما سمعته
فتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة كذلك
وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه
بل شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها بالمقابلة فمن اين تعلم انك سمعت ذلك قال
الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط
السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب
سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع
الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ والصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم
ولا يحفظ وان استجرأ جاهل وقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت
وهذا يسمع الصوت فما ذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني حضرت في صباي
مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز

اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع الصبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يؤخذ هذا وهل
للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها
من لا يدري ما سمعه فهذا من افحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه في الصبا على
هذا الوجه مع الغفلة الا ان المحدثين لهم في ذلك جاه وقبول فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم
ويقل ايضا الاحاديث التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واقتنعوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يكون ما يقرع سمعه
دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء اصول الفقه وما ذكرناه
مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء عمرهم
في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله عز وجل
ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي ان بعض الشيوخ حضر مجلس السماع فكان اول الحديث روي قول النبي صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس
الذين يحذرون الغرور ☙ وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم
وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق
النحو وفي صناعة الشعر وفي غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم
لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي
زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع في لغة
الترك والهند وانما فارقهم لاجل ورود الشرع فيكفي من علم اللغة معرفة علم الغريب في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب
واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ان اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور
بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف
وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يحفظ فيه السكنجبين
فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها او
تجردوا لها واعرضوا عما هو اهم منها لاحتياج في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر
للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما
فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون
الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه
وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع

وسائر العلوم خادمة له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في
المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه
ليس من علوم الشرع فكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر
اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصد الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج
عليه فقد اغتر به ☙ وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا
الحيل في دفع الحقوق واساءوا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور
فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة فمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت
عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وهذا خطأ بل الزوج قد يسيء العشرة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص
فتبرئ الزوج لتتخلص فهو ابراء لا عن طيبة نفس قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد ما
لا تطيب به النفس فان الانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة حتى اذا رددت
بينهما من ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض
فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد
القيامة للقضاء لم يكن هذا مجديا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان الا بطيبة نفس منه فلو طلب من
انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس ان لا يعطيه فاعطاه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف
ملامة الناس وخاف الم تسليم المال وتردد بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ
معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم بذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب
بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك
بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء شر لسانه او شر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال
يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال العبد غفر له يا رب كيف فامر بندائه في صخرة بيت المقدس
فناداه يا داود بن حسان فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال يا داود اني الذي في امري فهب لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف
وقد ذكر الى ذلك فقال جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت
اليك ذنبا فقال ما وهبته لك قال اولا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شان المرأة فانقطع الجواب فقال يا داود اما
الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود بالنوح والبكاء من الرأس حتى وعد الله تعالى انه
يستوهبه منه في القيامة فهذا تنبيه على ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا تكون
الا بالرضا او الهبة وغيره الا اذا خلي الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر بالحيلة الى الحركة بالحيلة والالزام

ومن ذلك هبة الرجل ماله الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان اراد به ان
مطالبة الساعي والسلطان قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال
او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة
البخل فان البخل مهلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وانما صار شحه مطاعا بما
فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله تعالى يطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على
المال انه استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر
الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاموال والفضول والشهوات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور
بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوكهم طريق الله تعالى وكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما
عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذكرنا اصناف غرور الفقهاء في امثال هذا لملأنا منه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس
دون الاستيعاب فان ذلك يطول ☙ الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة
ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا
عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى
خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات
القريبة بعيده وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضي الله عنه
بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء من يخرج الى الاسراف
في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها عن وقتها فهو مغرور لما فاته من
فضيلة اول الوقت وان لم تفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له عنه
مندوحة الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله تعالى بطرق شتى ولا يقدر على صد العابد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله تعالى
بمثل ذلك وفرقة غلبت عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعها الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج
الصلاة عن وقتها وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صفة التكبير لشدة
الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم
في تصحيح النية في اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم ☙ وفرقة اخرى تغلب عليها الوسوسة
في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج
الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من
اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثاله من يؤدي الرسالة ويأتي

مخارج الحروف ويكررها ويعيدها ويعود مرة بعد أخرى وهمه في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أجدره بأن تقام عليه السياسة
ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل. وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذاً وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسانهم
يجري به وقلبهم يتردد في أودية الأماني إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر
بمواضع الاعتبار منه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن
الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به
ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة
ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته إنما تراد كيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به
والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع
كلامه وإنما هي لذته في صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه
أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة منهم اغتروا بالصوم فربما صاموا الدهر
وصاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الإفطار وألسنتهم
من الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية
الغرور. وفرقة اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون
ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى
يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء
فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه بالرياء ثانياً فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل
الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه وهو مغرور. وفرقة أخرى أخذت في
طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز
وإذا باشر منكراً ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه
الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله تعالى ولو جاء غيره فأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة
وقال لم أخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد ولو تقدم
غيره وإن كان أورع منه وأعلم منه ثقل عليه. وفرقة أخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا
ظاهرهم وباطنهم وقلوبهم معلقة ببلادهم مائلة إلى قول الناس إن فلاناً مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة فإذا سمع
أن ذلك قبيح ترك صريح التحدث وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه جاوره ويمد عين الطمع إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع منه شيئاً شح عليه
وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة

والكبر لحب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضاً مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات
إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتاب إحياء علوم الدين فيعرف
مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما
الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب. وفرقة أخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون
ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو
بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال
كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يعرف الدنيا ولم يدرك منتهى لذتها الرياسة
وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقاً وحسوداً ومتكبراً ومرائياً ومتصفاً بجميع خبائث الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة
ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار
ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه
خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفاً من ذم الناس فهو
راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك ربما لا يخلو عن توقير
الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك
خدعة وغرور من الشيطان. وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ويختم
القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات
ولا يدري أن ذلك مهلك وإن علم فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير
مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق
واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته
وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له إنك من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبائه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده
ذلك غروراً وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضياً عند الله تعالى ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه.
وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل
ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل
ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان أحدهما
يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغروراً ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى
فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل

وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم بها على ما قام بها غيره وتقديم الأهم من فروض
الأعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب أن تقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل من أبر فقال صلى الله عليه وسلم أمك قال ثم من قال صلى الله عليه وسلم أباك ثم أدناك فأدناك فينبغي أن يبتدئ في الصلة
بالأقرب فالأقرب فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأتقى والأورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو
مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت
الجمعة والجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه نجاسة فيغلظ
القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور والحذر من الأذى لهما أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل
المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في
طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملته الشغل في الطاعات والمعاصي
الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح المتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما لا يحتاج إليه غيره في جوارحه فمعرفة ما
يحتاج هذا إليه في طبه أولى بها إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع
نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه. الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة فرقة منهم
متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم
وألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات
مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث وغير ذلك من الشمائل والهيئات فلما
تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير
الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من
الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون
في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم
ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الأبطال والشجعان تثبت أسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطراً من أقطار المملكة
فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعاً ووضعت على رأسها مغفراً وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً وتعودت إيراد تلك
الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات
والسكنات ثم توجهت إلى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد
عن المغفر والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف مقدار عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع
فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها جئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليه

خذوها فألقوها إلى قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا
على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء
بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بداً من التزين بزيهم فتركت الخز والإبريسم وطلبت المرقعات
النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو أرفع قيمة من الخز والإبريسم وظن مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون
الثوب وكونه مرقعاً ونسي أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ وإنما لبسوا المرقع إذ كانت ثيابهم
مرقعة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون جديداً فأما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما
اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون
أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلاً عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشرهم أكثر إذ ربما يتعدى
إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسهم فيطول
اللسان في أهل التصوف الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم. وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة
الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ
إلا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين
وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى إن الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة
فيتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار فيستحقر بذلك جميع العباد
والعلماء فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله تعالى محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى
الحق وأنه من المقربين وهو عند الله تعالى من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علماً ولم يهذب
خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه. وفرقة منهم وقعت في الإباحة وطووا
بساط الأحكام ورفعوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله عز وجل مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به من لم
يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل بأدبهما
بحيث تنقاد لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى
وواصلة إلى معرفة الله تعالى وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الإلهية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا
بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم
عن طريق الله عز وجل لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء إذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة
حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى ولا يحصى

وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن
في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء اصنافهم يطول ٥ وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلب الحلال
واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات
وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات
هي بدعة او كفر فيدعي حب الله تعالى قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله تعالى من ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى
وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو ترك بعض ذلك لاجل الله تعالى لكان ولو خلا لما تركه بامر الله وليس يدري ان كل ذلك
يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة
لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل الا المخاطرة بالنفع وترك الزاد بل كانوا
ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب
من الاسباب واثق به وما من مقام من مقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع
المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادته ٥ وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص
واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه
واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى باعمال دون
طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور ٥ وفرقة اخرى
منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك
شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان
غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون ليكثر اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم
وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق
وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من
ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله تعالى ويطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة ٥ وفرقة اخرى
منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب
النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقائق
الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات
مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريقه فذلك لا يغنيه
عن الحج ٥ وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدوا بسلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة وكلما تشمموا من

مبادي المعرفة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها
عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه
وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رآها قبل ذلك وكان
مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك ٥ وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفتح عليهم من الانوار
في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى
حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله سبحانه فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك
الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال الله تعالى اخبارا
عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها
ليست آلهة وهي كثيرة وليس واحدا والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا يغره الكوكب
الذي لا يغر السواد والركن ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول
الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه
واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه في اول
ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب
الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال
قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب
وقد يعثر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله تعالى وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر
القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا
عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال
القلب بعد اشراق نور الله سبحانه عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه
الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية
ولم يصل الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن
انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج ٥ رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر ٥ فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر ٥ تلك تجليات اشياء فاجئني اذا ما ليس بصرف الراح ٥ خفت فكادت تستطير بما حوت وكادت الجسوم
تخف بالارواح ٥ وبهذه العين نظرت النصارى الى عيسى عليه السلام فرأوا اشراق نور الله تعالى قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى
كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليد لياخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى

لا تحصى في مجلدات ولا يستقصى الا بعد شرح علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك
لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث
يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهي اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يخيله مذهبه المختصر
وخياله القاصر بجدله المزخرف ويصدق ايضا بالحكم التي اخبر عنها اولياء الله عز وجل ومن عظم غروره ربما اصر بما يسمع الآن
كما يكذب بما سمعه من قبل ٥ الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء
المساجد والمدارس والربط والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت
اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها
من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله تعالى في كسبها وفي انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها
فاذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها على ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز
فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها على الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة
على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم
على ذلك لبقاء اسميهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد
منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب ولولا
انه يريد به وجه الناس لا وجه الله تعالى لما افتقر الى ذلك ٥ وفرقة اخرى ربما اكتسبت المال الحلال وانفقته على المساجد
وهي ايضا مغرورة بها من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم كان
اهم من الصرف الى المساجد وتزيينها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد
وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب
وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم به ووبال ذلك كله يرجع عليه ومع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك
وسيلة الى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع لله سبحانه وممتثل لامره وقد شوش قلوب
عباد الله عز وجل بما زخرفه من المسجد وبما شوقهم به من زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال
ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله سبحانه قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما
على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله تعالى وهو لا يريد الصلاة فكتب على المكان صديقا فبهذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد
بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد الحرام او بزخرف البناء متقربا الى الله تعالى وقال الحواريون لعيسى عليه السلام انظر
الى هذا المسجد ما احسنه فقال عليه السلام امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله تعالى من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب
اهله ان الله تعالى لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر

الله تعالى الارض وبها تخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم
فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة
اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا ٥ وفرقة ينفقون الاموال في الصدقات على
الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة من الفقراء ومن عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون الفقير
لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود
في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين الرمال
والقفار وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه ٥ وقال ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت
للنفقة قال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك تزهدا او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله تعالى قال ابتغاء مرضاة الله تعالى قال
فان اصبت مرضاة الله تعالى وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله عز وجل افعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة
انفس مديون يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخال
السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها
كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر في طلب الحج فقال ان المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس
ان تقضي به وطرا فاظهرت اعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين ٥ وفرقة اخرى من ارباب الدنيا
يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام
الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل
بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به
الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في
حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه
للدنيا ومنعها للفقراء ٥ وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الرديء
الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم به ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم
فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك
مفسدات للنية ومحبط للعمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره فهذا وامثاله
من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور ٥ وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب
الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم اجرا على
مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ وهم مغرورون لان فضل ذلك لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه

والرغبة محموده لانها تبعث على العمل وان ضعفت عن العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يعيش بما
يبتهج من الوعظ من فضل حضور المجلس ونيل البكا وربما ظهر رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق
بيديه ويقول يا سليم سلم او نعوذ بالله سبحانه او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض يحضر مجالس
الاطبا فيسمع ما يجري لمطابع يحضر عنده من تصفيف الاطعمة اللذيذة وكمن وذلك لا يغني من مرضه وجوعه شيا وكذلك
وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله سبحانه شيا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغيرا ظاهرا تغير افعالك حتى تقبل على الله سبحانه
وتعرض عن الدنيا اما قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته
من مداخل الغرور امر لا يخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا
هذه الافات فاقول الانسان اذا كربت همته في شي اظهره الاثر واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صحت منه الهوى انشد
الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير في جو السما مع
بعده منه فانه يستنزله وكذلك اذا اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار فانه يستخرجه واذا اراد ان يستخرج
الذهب والفضة من تحت الجبال فانه يستخرجه واذا اراد ان يقنص الوحوش المطلقة في الصحاري والبراري فانه يقنصها
واذا اراد ان يستسخر السباع والفيلة واعظم الحيوانات فانه يستسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها
فانه ياخذها ويستخرج الدرياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان
يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فانه يستخرج ذلك بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط
الحيل واعداد الالات سخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمك
الى غير ذلك من دقايق حيل الادمي كل ذلك لانه من امر دنياه وهو معين له على دنياه فلو اهمه امر دينه واخرته فليس عليه الا
شغل واحد وهو تقويم قلبه فيعجز عن تقويم قلبه ويجادل عنه ويقول هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال وهذا
شي لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب
الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان كثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد
من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لابد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية
والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان دقايق الاشيا والفطنة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفا
العقل وذكا الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة
فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا
ان الرجلين يستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله تعالى
لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدردا انه قال يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر

٢

ويتصدق ويغزو في سبيل الله تعالى ويعود المريض ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما يعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيامة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقله فان
الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدردا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا بلغه عن رجل شدة عبادته يسال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوا وان قالوا غير ذلك قال صلى الله عليه
لن يبلغ وذكر له صلى الله عليه وسلم شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا
ثمرة غريزة العقل وهو نعمة من الله تعالى في اهل الفطرة فان فاتت لحمقه وبلادة فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني بها ان يعرف
اربعة امور يعرف نفسه بالعبودية والذل وكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وان الملايم له طبعا
هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ويستعين على هذا بما ذكرناه في كتاب
المحبة وفي كتاب شرح عجايب القلب وكتاب الفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف كتاب
الله تعالى ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم
المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فليستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له انه لا نسبة
للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب الله عز وجل وبمعرفة الاخرة
شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره وما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الاخرة شدة الرغبة فيها واذا غلب
هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضا الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك
طريق الاخرة وصحت نيته وان دفع عنه كل غرور منشاؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا الجاه او المال والى الاخرة وهي نية
اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله تعالى وبنفسه الصادرة عن كمال العقل
فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بما يقربه من الله تعالى وما يبعده عنه
والعلم بافات الطريق وعقباتها وغوايلها وجميع ذلك قد اودعناه كتب احيا علوم الدين فيعرف من ربع العبادات اسرار المعايش
وما هو منضبط اليه فيلحظه بادب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات علم جميع العقبات المانعة في طريق
الله سبحانه فان المانع من الله تعالى الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات
المحمودة التي لا بد ان يوضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا علم جميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور
واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى به الارادة ويصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة
التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم
ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات

القلوب الذي لو زاد الله تعالى كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان
يغتنم ذلك وامثاله ان يري الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بير ويغطي راس البير حجر كبير يعجزون عن الرقي بسببه فرق قلبه
لاخوانه فجا ليرفع الحجر من راس البير فشق عليه فجا من اعانه على ذلك حتى يسر عليه او كفاه ذلك فعاد بنفسه فصعد اخوانه
بالبير فعظم فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البير وقد كان غرض الناصح خلاص اخوانه من النار فاذا ظهر من اعانه
او كفاه ذلك فلم يشق عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم اكان يشق ذلك عليه ان كان غرضه امرهم وهو يحب هداهم
فاذا اهتدوا بغيره فلم يشق عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كباير القلوب وفواحش الجوارح واهلكه
نعوذ بالله تعالى من زيغ القلوب بحب الجاه ومن اعوجاج النفس بعد الاستوا فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح المسلمين
فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود ان يجد من يعينه او يكفيه من يعينها ويغنون انفسهم وانقطع بالكلية
طمعه عن ثنايهم واموالهم واستوى عنده مدحهم وذمهم فلا يبالي بذمهم اذا كان الله تعالى يحمده ولا يفرح بحمدهم اذا لم يقرنه الا حمد الله
عز وجل وينظر اليهم كما ينظر الى السادات والبهايم اما الى السادات من حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه بحمد الله تعالى
لجهله بالخاتمة واما الى البهايم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهايم فلا يتزين لها ولا يتصنع
بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذيب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت
الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم فيكون كالشمع يضي لغيره ويشتعل في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ
الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب
الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك العلم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله
عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك
النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر وما ترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده
ليسوقهم بها الى جهنم ونصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلذلك لا تزال السنة الوعاظ
مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم
وساير المعاصي لقول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس
فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص كثيرة ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان
الله تعالى ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وانما يخشى الطالب ان ينشط بقول لا يتعاظ فاما ان يخرس السنة الوعاظ وينزل عنهم
باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد بهذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح وصح
وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبايل الاغترار فاعلم انه بقي
عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني بذكايك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الكبرا والاوليا

واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا همه واحد وهو الله تعالى
والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقايه وقد عجز الشيطان عن اغوايه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه وما يدعى من
جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على الخلق والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعا الى الله تعالى فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في
امرهم سكارى في دينهم صما عميا استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم
ولو كان عنده حقيقة المعرفة كان يبعد بهم وبين لهم حالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومونة ولزوم غرامة
وكان مثله كرجل كان به دا عظيم لا يطاق وقد كان لذلك يسهر ليله لا ياكل ولا يشرب ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دوا
عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرا وصح وطاب نومه بالليل بعد سهره وهدا بالنهار شدة القلق
وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها
وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السما انينهم فتذكر ان دواهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفايهم باسهل امكن وفي اوجز زمان
بقدر فاخذته الرحمة والراقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم وكذلك العبد المخلص بعدما اهتدى الى الطريق
وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داوهم وقرب هلاكهم وشفاوهم سهل عليه دواوهم فانبعث
من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضهم الشيطان على ذلك رجا ان يجد مجال الفتنة وكما اشتغل به وجد الشيطان
مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعا خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع
والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهية فاقبل الناس عليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه
توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدايهم معيدا بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابايهم وامهاتهم
واقاربهم فاثروه باموالهم وانفسهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين
فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك
الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصته وامتد اليه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة والامارة
انشان الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطا ورد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان
فخيل اليه ان ذلك غضب لله تعالى لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين وانقطعوا عن طريق الله تعالى فوقعوا في الغرور فيما اخرجه ذلك الى
الوقيعة فيمن رد عليه فوقع بالغيبة في المحظور بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن طريق الحق وقبوله والتكبر
عليه بعد ان كان يحذره من طوارق الخطرات ولذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه
فيسقط فتركه اتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعدا ويزيد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما
تفعل ذلك كيلا تعيروا بهم عن طريق الله سبحانه فيتركوا الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هي خدع من النفس خشية
فوات الرياسة ولذلك لا تخرج نفسه من اطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت

وما قدرت عليك فما اصبرك واعظم عفا الله تعالى الحال اذ قال له ابليس وكيف تكون من الفطن الحجج مداخل غروره الي لصفيه وصدقه فتعجب بنفسه في فراره من الغرور وكونه يمكن لعجابه بنفسه غاية الغرور وهو الذنب الاكبر والعجب اعظم من ذلك دنب ولذلك قال الشيطان ابن آدم اذا ظنت انك بعلمك سلمت مني فبجهلك قد وقعت في حبالي فان قلت ولو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوي على دفع الشيطان الا بتوفيق الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجز عن اول القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لا يقوي عليه بنفسه بل بالله سبحانه فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول لكان عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره حتى ظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله تعالى فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله سبحانه فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله تعالى خائفا على نفسه ان يكون قد سد عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا وريا وسوء خلق والتفات الي غيره وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل نظر الله تعالى غير آمن من مكر الله سبحانه ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وقد بقيت له نفس فقال افلت مني فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله تعالى ابدا فنسال الله الكريم حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها

آخر كتاب الغرور وهو آخر الربع الثالث

والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله

الطاهرين وصحبه اجمعين

كتاب التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج رجاءنا بالخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه الاكرمين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله تعالى زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الي ستار العيوب وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء

للمقربين ولابيك آدم صلى الله عليه وعلى سائر النبيين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الآدمي واجترم فهي شنشنة نعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الي الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الي الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الي الملك او الي آدم او الي الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الي آدم بملازمة حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الي الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا تخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان والي الآن اختيارك اهون النارين والمبادرة الي اخف الشرين قبل ان تطوى بساط الاختيار ويساق الي دار الاضطرار اما الي الجنة او الي النار واذ كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صفة ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص في جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الي صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط التوبة في دوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام الناس في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين وبه يتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله تعالى

الركن الاول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تاسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الي فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الي آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات

بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات اعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراي محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في القلب لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الي المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا عرفت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القائد في خطوة واما بصير يهدى الي اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الي ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله تعالى او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه باذنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الي نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الي التوبة ما هي ثم الي الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الي سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا ام لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الي سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله تعالى وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله عز وجل الا اتباع الشهوات

والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله تعالى الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله تعالى المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الي القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الي المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الي النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله تعالى وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الي الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الي الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى الخالي عن الشوائب ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال التائب حبيب الله وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الي مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه اذا اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن انه قال لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عز وجل عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناها العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله تعالى فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الي تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى

أن العلم خلقه العبد وجدته في نفسه فإن ذلك محال بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر من خلق الله تعالى وفعله
والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فإن قلت أليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم
وذلك لا يناقض قولنا إن الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضا من خلق الله تعالى والعبد مضطر في الاختيار الذي له فإن الله تعالى إذا
خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة
وخلق الخواطر المتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ثم
خلق العلم بأنه لا مانع فعند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول فانجزام الإرادة بعد تردد الخواطر
المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه فإذا حصل انجزام الإرادة خلق
الله تعالى إياها بحركة اليد الصحيحة إلى الطعام لا محالة إذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل
الحركة فتكون الحركة خلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة وهما من خلق الله تعالى وانجزام الإرادة
يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض
ترتبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله تعالى حركة اليد بكتابة منظومة ما لم
يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة
وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في المآل ولا يخلق العلم أيضا إلا
بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي أبدا يستتبع الإرادة الجازمة والإرادة والقدرة
أبدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض
فلذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق الحياة إلا
بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا أن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا أن العلم يتولد من
الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لا أن العلم يولد الإرادة ولكن
لا يقبل الإرادة إلا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود إلا ممكن وللإمكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال فمهما وجد
شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد
ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة
وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه
العبارة إنا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الأزلي بقوله تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وأما العباد فإنهم
مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة
وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة فإذا ظهرت من باطن الملكوت

هذه الأمور لا تجري على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير يتوهم أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت
وقالوا يا رجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت إذ رميت ولكن الله
رمى وما قتلتم إذ قتلتموهم ولكن الله قتلهم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل إنه اختراع
صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من
وجه وأن القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه الأمر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوة
نافذة إلى عالم الغيب وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز
الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب
انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن لا خالق إلا الله تعالى ولا مبدع سواه فإن قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر
والاختراع والكسب بأنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إيصال ذلك إلى
الأفهام بمثال فاعلم أن جماعة من العميان سمعوا أنه قد حمل إلى البلد حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا
سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع
يد بعض العميان على رجله ووقعت يد بعضهم على نابه ووقعت يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم
بقية العميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لمس الرجل إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه
ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الأسطوانة
أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة وصدق أحدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود
ولا مثل أسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة
الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر
بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإذا كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها
وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك
وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة أفعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة
بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور والمتفصي
عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق
بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب
إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني

حين يزني وهو مؤمن وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله تعالى ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله
فإن ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وإنما أراد به نفي الإيمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى وموجبا للمقت كما إذا قال الطبيب هذا
سم فلا تتناوله فإذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد
به غير مصدق لقوله إنه سم مهلك فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو
نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الإنسان
موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص
الشارب مقلوم الأظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول
مخالبها وأظلافها وهذا مثال مطابق فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح
والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة
والباطنة إلا أصل الروح وكما أن من هذه حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الأعضاء التي
تمدها وتقويها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح
العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل إيمان لم يثبت في النفس أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه
لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقي بماء الطاعات على توالي الأيام
والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت
شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع
أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن أسباب ثبات الأشجار
سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتك أم حمار
فهذا أمر يظهر عند الخاتمة وإنما انقطع نياط العارفين خوفا من دواهي الموت
ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في
الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وأن الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض
خاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة
للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن تغير مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك
المعاصي فإن كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور
فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإن كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله
وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية فمتناول
سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام له مهلة وهو العمر فإن المخوف من

هذا السم فوات الآخرة التي هي الباقية وفيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم أضعاف عمر الدنيا
دون عشر عشير مدته إذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه اختيار
الأطباء ولا ينجع بعده الاحتماء فلا ينفع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الإيمان فتقول المراد بالآية الكافر إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون بابا وأن الزاني لا يزني
وهو مؤمن فالمحجوب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التي
هي فروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل فلا بقاء للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الفرع والأصل
إلا في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه
يستدعي وجود الفرع فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الأصل والفرع
فلا يستغني أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها
خير من وجودها فإنها إن لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل
الفاجر كما أوردناه من الأخبار في كتاب العلم

بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال الله تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون
لعلكم تفلحون فعمم الخطاب ونور البصيرة أيضا مرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب إلى الشيطان ولا يتصور
ذلك إلا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان
إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقاربة الأربعين وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين
والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة وإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان
فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة وإذا كانت الشهوات تكمل في
الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وإلف لا محالة لمقتضيات الشهوات
بالعادة وغلب ذلك عليه ويتعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله تعالى وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئا فشيئا على
التدريج فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز اللعين موعوده حيث قال لأحتنكن ذريته إلا قليلا وإن كمل العقل
وقوي كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات ولا معنى للتوبة
إلا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان إلى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على
عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات
ضروريا في حق كل إنسان نبيا كان أو غبيا فلا تظنن أن هذه الضرورة اختصت بآدم صلوات الله عليه فلا تحسبا هنا لها [illegible]

وحدها تستحثه نفس كل غابية هيهات بل هو حكم أزلي مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الإلهية التي لا
مطمع في تبديلها فإذن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فإن بلغ مسلما تبعا لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه
فعليه التوبة عن غفلته بتفهيم معنى الإسلام فإنه لا يغني عنه إسلام أبويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته
وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله تعالى في المنع والإطلاق والانكفاف والاسترسال
وهو أشق أبواب التوبة وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص
لا يتصور أن يستغني عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد أصلا وأما بيان وجوبها
على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه إذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا
الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فإن خلا
عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور
في العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق
إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي من هذا النقص وإنما يتفاوتون في المقادير فأما الأصل فلا
بد منه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة ولذلك أكرمه الله تعالى
بأن قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فإن قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الهم
والخواطر نقص وأن الكمال في الخلو عنه وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله تعالى نقص وأنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال
وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال
والتوبة عن هذه الأمور ليست واجبة إذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم
أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى
وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة فإن تراكمت ظلمة الشهوات
صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فإذا تراكم
الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل التصقيل
بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب
كما لا يكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من
الآثار وكما يرتفع من القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة
وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها فإذن لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات
عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل أولا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة فأما التصقيل

الأول ففيه يطول الشغل إذ ليس شغل الصقيل في إزالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل أصل المرآة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلا
وكل ذلك يرجع إلى التوبة فأما قولك إن هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم أن الواجب له معنيان أحدهما ما يدخل في
فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق
تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى
بل شغل الحياكة والحراثة مستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار
والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما
ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي لمن يريدها فإنه لا يتوصل إليها إلا بها فأما من
رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال العين والأذن واليد والرجل
شرط في وجود الإنسان يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا تاما منتفعا بإنسانيته متوصلا بها إلى درجات العلا في الدنيا
فأما من قنع بأصل الحياة ورضي بأن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل
الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السعادات
التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيه سعي الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل وعليه
كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى صلوات الله عليه إلى أن توسد
حجرا في منامه فجاء إليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا
فلم لا تضع رأسك على الأرض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم أفترى
أن عيسى صلوات الله عليه لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبا في فتوى العامة أفترى أن نبينا صلى الله عليه وسلم لما
شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى أعاد الشراك الخلق لم يعلم
أن ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فإذ علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لرؤيته أثر ذلك في قلبه
أثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به أفترى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب اللبن وعرف أنه من غير وجهه
أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كادت تخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به
ولا يجب في فتوى الفقه إخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره
عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف
خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله وإياك مرة واحدة أن تغرك الحياة الدنيا وإياك ألف مرة أن
يغرك بالله الغرور فهذه أسرار من استنشق مبادي روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في كل نفس من أنفاسه
ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق أبو سليمان الداراني رحمه الله حيث قال لو لم يبك العاقل

فيما بقي من عمره إلا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله تعالى لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره
بمثل ما مضى من جهله وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة إذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وإن ضاعت
منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فإنها
صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد فأي جوهر أنفس من هذا فإذا ضيعته في الغفلة فقد
خسرت خسرانا مبينا وإن صرفتها إلى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك
ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الغفلة يحول
بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد غفل
الناس عن التدارك قال بعض العارفين إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وإنك لا
تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة
ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما
يشتهون وإليه الإشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت أخرني يوما
أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات
فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه ويتردد أنفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة
الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال فإذا زهقت نفسه فإن كانت سبقت له من
الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على
الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت
قال إني تبت الآن وقوله إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها
ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة
تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين
عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني أن يعاجله المرض أو الموت
فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف فما هلك من هلك إلا بالتسويف
فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الأجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من
أتى الله بقلب سليم فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في
الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر قال بعض العارفين إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام أحدهما

إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف
تحفظ الأمانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى
تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف
بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ه **بيان** أن التوبة إذا استجمعت
شرائطها فهي مقبولة لا محالة ه اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون
بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى
ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل فكل مولود يولد على الفطرة
وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور
الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع
نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب
المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون
والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره
ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فإنما عليك التزكية والتطهير فأما القبول
فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد أفلح المؤمنون وقوله قد أفلح من زكاها
ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا
يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وأن بين النور والظلمة
تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يعرف من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن
حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعني به قلبه إذ بقلبه يعرف غيره
قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا
يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون
على قلعه فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على
القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب
وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع أصل التوبة
وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله تعالى بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي
البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب

والسند لا يوثق به فقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب إلى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال أيضا إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى أن حبشيا قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دامت فيه الروح فقال الله عز وجل وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دامت فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والأخبار في هذا لا تحصى

وأما الآثار

فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى فإنه كان للأوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله عز وجل بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب إن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب ويروى أن نبيا من أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله عز وجل إليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منك قال فيغفر له قال ويروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان فقال له إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال إني لأرجو أن يكون المسلم أحسن حالا عند الله تعالى ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام وقال عبد الله بن سلام لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى ذلك قال إذا تاب علي وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف مني من أن أحرم المغفرة أي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى

شخصا أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك وقال ذو النون المصري إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وإنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله تعالى ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة لا محالة فإن قلت أفتقول ما قالته المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله تعالى فأقول لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله تعالى إلا ما يريده القائل بقوله إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع الماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة فإن قلت فما من تائب إلا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فأقول شكه في القبول لشكه في وجود شرائط الصحة فإن للتوبة أركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها إن شاء الله

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب إذا واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكاليف من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد

اعلم أن للإنسان أخلاقا وأوصافا على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب ولكن تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لأن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الأخلاط في المعجون منه أثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد

أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات. الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال. الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات. الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم إذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع إلى الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح. قسمة ثانية اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركا فالعفو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك وأما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد أي لا بد وأن يطالب بها حتى يعفى عنها. قسمة ثالثة اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله تعالى فهي كبيرة وهذا ضعيف إذ قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وقال تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن إلا الكبائر وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن أربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعد الله تعالى عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب

الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى هاهنا فهو كبيرة وقال أبو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله تعالى والإصرار على معصيته والقنوط من رحمته والأمن من مكره وأربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهي عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما وإن يسباه فيضربهما وإن جوعا فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فإنه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية على الأموال ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل فأما فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلم بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أهي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ولا مطمع في تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه والمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة صغيرة بالإضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيرا إلى ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالإضافة إلى منصوصات القرآن أيضا تتفاوت درجاتها فهذه الإطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى إن تجتنبوا كبائر

ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن إلا الكبائر فإن هذا إثبات
حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر
وإلى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إني أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها فإذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ
ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث
علم أنه لم يقصد به العدد والحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعده الشرع وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل
كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما
أعيانها فنعرف بالظن والتقريب ونعرف أيضا أكبر الكبائر فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع
وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك
إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ورسله وكتبه وإليه الإشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
أي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وأن يعرف نفسه وربه فهذا هو
المقصود الأقصى ببعثة الرسل ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار
حفظ الدنيا أيضا مقصودا تابعا للدين لأنه وسيلة إليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والأموال فكل ما يسد باب
معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليها ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على
القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن تختلف فيها
الملل فلا يجوز أن يبعث الله تعالى نبيا يريد ببعثه إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله
أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب الأولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة
رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر إذ الحجاب بين العبد وبين الله سبحانه هو الجهل والوسيلة المقربة إليه هو العلم
والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الأمن من مكر الله تعالى والقنوط من
رحمته فإن هذا أيضا عين الجهل فمن عرف الله تعالى لم يتصور أن يكون آمنا ولا أن يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع
كلها المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وبعضها أشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى
حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم إلى ما
يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم
المتوسط طمع في غير مطمع المرتبة الثانية النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة ويحصل المعرفة بالله عز وجل
فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود إذ حياة

الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب
وبعضها أكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع
النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب ويبطل التوارث
والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم ما لم يتميز
الفحل منها بإناث يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الإصلاح وينبغي أن يكون الزنا
في الرتبة دون القتل لأنه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد
يفضي إلى التقاتل وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته
الرتبة الثالثة الأموال فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي أن
تحفظ لتبقى ببقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الأمر فيها نعم إذا
جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق أحدها الخفية وهي السرقة فإنه إذا لم
يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك والثاني أكل مال اليتيم وهذا أيضا من الخفية وأعني به في حق الولي والقيم فإنه مؤتمن فيه وليس
له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فيعظم الأمر فيه وأوجب خلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف وخلاف الخيانة في الوديعة فإن
المودع خصم فيها ينتصف لنفسه ٥ الثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طرق لا يمكن
فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلا وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه
الأربعة جديرة بأن يكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا
تأثيرها وأما أكل الربا فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في
مثله وإذا لم يجعل الغصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا
المالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير
إلى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظن إلى أنه غير
داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فبقي مما ذكره
أبو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن
يكون من الكبائر وقد دلت عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل محفوظ كما أن النفس محفوظة
بل لا خير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك أنه لو شرب ماء
فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإيجاب الشرع به الحد يدل على تعظيم
أمره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه

كبيرة وجب الاتباع وإلا فللتوقف فيه مجال وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرتبة
ولتناولها مراتب وأعظمها التناول بالإضافة إلى الفاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون
كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث يجوز أن تختلف
فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن
يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح
الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فإذن هذا أيضا ملحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أن له أن يشهد وحده
أو ظن أنه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمته
بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون
من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب أموالهم وإخراجهم
من مساكنهم وبلادهم وإجلائهم عن أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكثر ما قيل فيه فالتوقف
في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فإذن رجع حاصل الأمر إلى أنا نعني بالكبيرة ما
لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن يكفره وإلى ما يتوقف فيه
والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإذا لا مطمع
فيه فطلب رفع الشك فيه محال فإن قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة
حده فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على
الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة بأساميها كالسرقة والزنا وغيره وإنما حكم الكبيرة
أن الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على
الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف
نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فإن مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع أشد تأثيرا في تنوير قلبه من إقدامه على
النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره فإن كان عنينا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادرا ولكن امتنع لخوف
أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر الصغائر التي هي من مقدماته
كسماع الملاهي والأوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته
النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع فكل هذه أحكام أخروية يجوز أن يبقى بعضها في
محل الشك ويكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفة

فقد روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراك
بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة أن تبايع رجلا ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله
فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فلا محالة يبقى مبهما فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا ممن اجتنب الكبائر
والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف
في أن من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد
إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم أرد شهادته فقد جعله
كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد بها الشهادة فدل أن الشهادة نفيا وإثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب
تقدح في العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب
في بعض الأقوال وسماع الغيبة وترك الأمر بالمعروف وأكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب
زائدا على حد المصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون
إليه في أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمور
الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لعز وجوده وبطلت الأحكام
والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة الشراب في وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وأمثال
هذه الصغائر من هذا القبيل وإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة والصغيرة ثم
آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها أثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك
مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم
بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر ٥

بيان كيفية

توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا ٥ اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من
عالم الغيب والملكوت وأعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب
الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فإنا الآن في الدنيا وهي عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة
وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس
نيام فإذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير فكذلك
ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كسوة الأمثال وأعني بكسوة الأمثال ما تعرفه من علم
التعبير ويكفيك منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثال فقد جاء رجل إلى ابن سيرين وقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به

افواه الرجال وفروج النسا فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر فقال صدقت وجاه اخر فقال رايت كاني اصب
الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو مردود الى الاصل
فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال له اخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة
غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى اخره مثال يعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل ادا المعنى في صورة
ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج
راه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي
يراد الختم له وليس للانبيا ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر
عقولهم انهم في النوم والنايم لا يكشف له شي الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز
قدره ظاهر المثل لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا
واصبعا تعالى الله عن قوله وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل
والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام فجعلوه صوتا
وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الاخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد لجمود نظره
على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيثور الملحد الاحمق
ويكذب به ويستدل به على كذب الانبيا ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل
هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هولا الحمقى عن معرفة اسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من
قال رايت في منامي انه جي بكبش وقيل هذا هو الوبا الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل
على ان هذا الوبا ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الاياس عنه فاذن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في
رويته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرويا وهو الذي يطلع على الارواح عند النوم ويطلعها على ما في اللوح المحفوظ مثله بمثال
ضربه له لان النايم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى
الاخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله تعالى ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه
دون ضرب المثل فقوله يوتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب
على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القران بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم
بقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك في كتاب قواعد العقايد من ربع
العبادات فلنرجع الى الغرض فالمقصود ان تعرف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيات لا يمكن الا

بضرب الامثال فافهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الاخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم في
السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تتفاوت في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الاخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا
فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصا احاد
الدرجات فلا نعجز عن احصا الاجناس فنقول الناس في الاخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفايزين
ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم
فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفايزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا
لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا
يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي
ان يكون خلع الفايزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب
درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الشدة والخفة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات
تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الاخرة هكذا يتفاوتون
فمنهم هالك ومنهم معذب مدة ومنهم ناج يحل في دار السلامة ومنهم فايز والفايزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات
الماوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة الف سنة وذلك
اخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الايسون عن رحمة الله تعالى تتفاوت درجاتهم وهذه
الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين
الايسين عن رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه ايس عن رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني
المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية
في القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم
المنكرون والمكذبون هم الايسون من رحمة الله تعالى ابد الاباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيايه المرسلين انهم عن
ربهم يومئذ محجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا في نار جهنم بنار
الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاونا في الحور العين انما مطالبنا اللقا ومهربنا من الحجاب فقط
وقالوا من يعبد الله تعالى بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط
فاما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام
فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع
الم الفواد ولذلك قيل وفي فواد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان تنكر هذا في عالم الاخرة اذ له

نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد روي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس لغلبة ما في
قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفواد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما
تراه فليس الهلاك في النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزءين يرتبط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي
يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تالف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب
البصاير وارباب القلوب ولا يبعد ان يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين
الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد
ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو
خير بين الهريسة والحلوا وبين فعل جميل يقهر به الاعدا ويفرح به الاصدقا لاثر الهريسة والحلوا وهذا كله لفقد المعنى الذي
بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استغرقته صفات البهايم والسباع
ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون
الذوق الا في اللسان والسمع الا في الاذان فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له
ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب فجعل من لم يتذكر بالقران مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي تكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر
الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وساير الاعضا عالمه ومملكته ولله الخلق
والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيبا
وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها ساير الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف
ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وينظر بعين
الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته للجامد على اللفظ اكثر من رحمته
للمتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر
والحقيقة فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
ولنعد الى الغرض فقد رحبنا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب
فنقول ظهر ان رتبة الهلاك ليست الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده ٥ الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفا
بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله تعالى ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا

بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله تعالى ومعنى قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط
الموصوف في الاخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير اذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك
قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان
ناران نار الفراق لذلك الكمال الفايت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القران فيكون كل مايل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين
من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه
والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر من واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك قال الخايفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا
انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد في من يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي
يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان اخر من يخرج من النار بعد سبعة الف سنة
وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وساير المدد وان
الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه وادناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال
بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف
ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال
وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه
الاختلافات ثابتة في عذاب الاخرة دلت عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة
الطاعات وقلتها وكثرة السيات وقلتها واما شدة العذاب فبشدة قبح السيات وكبرها واما كثرته فبكثرتها
واما اختلاف انواعه فباختلاف انواع السيات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القران بنور الايمان
وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله سبحانه اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله عز وجل
وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد
في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزا على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو
والرحمة ارجح اذ قال الله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها
ويوت من لدنه اجرا عظيما فاذن هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيات معلومة
بقواطع الشرع ونور المعرفة واما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من
انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير واحسن جميع الفرايض

أعني الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط فإنه إذا
حوسب رجحت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك
اجتناب الكبائر بحكم نص الكتاب مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذه
حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه بأصحاب
اليمين أو بالمقربين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى فذلك يتبع أصناف الإيمان لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان العوام
يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى حتى ينكشف فيه الوجود كله
على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله تعالى مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله فهذا الصنف
هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية من القرب من الملأ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون
ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر إذ الإحاطة بكنه
جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في
الأزل فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية له فالسالكون سبيل الله تعالى لا نهاية لدرجاتهم وأما المؤمن إيمانا تقليديا فهو من أصحاب
اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب اليمين يقارب رتبته رتبة الأدنى
من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعني الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة
باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا
قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلا وإن مات
قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما إذا
كان إيمانه تقليديا فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للانحلال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد عن أن
يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله تعالى عذابا يزيد على عذاب المناقشة في
الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر
ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في
درجات أصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في أعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة
أضعاف ولا تظنن أن المراد به تقدير المساحة لأطراف الأجسام بل يقابل في شبر بشبر أو عشرة فإن هذا جهل بطريق
ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير وأعطاه
مائة دينار فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الثقل والوزن فلا يكون مثله إذ لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة
الأخرى عشر عشيره بل هو مواز نفيسا بالأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله

وعرضه وهيئته بل بالمالية فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية
وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والإبل بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة
أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهري فإن روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر ولذلك
يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف مثقال فقد كذب
في أني أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالحقيقة هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن
يحصل في قلبه النور الذي به يدرك أرواح الجواهر وسائر الأموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم
المقلد القاصر صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول الجنة في السماوات كما ورد في الأخبار والسماوات
من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم القروي وكما
أن الجوهري مرحوم إذا بلي بالقروي والبدوي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلي بالبليد الأبله في تفهيم هذه الموازنة
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا
السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فبتلاهم وامتحانهم بأنواع البلاء من الله تعالى وكل موكل بهم بتوفيقه كتبه القضاء الأزلي
وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو
الذي ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام من البلاء العظيم إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما أوذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فإذن لا يخلو
الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا يخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما انفك الأولياء والعلماء عن ضروب من الإيذاء
وأنواع البلاء بالإخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن تكون
أهل المعرفة عند أهل الجهل من الكافرين كما يجب أن يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين
المضيعين فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم أنه يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات وإياك
أن يقتصر تصديقك على ما تدركه بالبصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لأن الحمار يشاركك في الحواس الخمس وإنما
أنت مفارق للحمار بسر إلهي عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه فإدراك ما يخرج عن عالم
الحواس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة
البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالإعراض عنها ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم
أنفسهم فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله تعالى إذ ليس ذات الله مدركا في العالم بالحواس وكل من نسي الله
إذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله تعالى أنساه الله لا محالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم
وترك الترقي إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم بها عليه كافر النعمة ومتعرض للنقمة إلا أنه

أسوأ حالا من البهيمة فإن البهيمة تتخلص بالموت وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة
ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب
القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن
حضرة الربوبية والمظلمة أيضا راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى
عليين إلى جهة أسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم
منكوسون منحوسون قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله تعالى
فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار
ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحد ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله
فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة
والمال مدة الحياة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد أن لا
يرى الأمور كلها إلا من الله تعالى وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى
مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثال الجبال
ومنهم من له مثقال ومنهم من له مثقال خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار وفي الخبر يقال
أخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال
وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين أعيان الأموال وبين
النقود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فأما بقية السيئات
فيتسارع العفو والتكفير إليها وفي الخبر أن العبد ليوقف بين يدي الله عز وجل وله من الحسنات أمثال الجبال لو
سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب هذا وأخذ عرض هذا وضرب هذا فينقص من حسناته حتى لا يبقى له
حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا إلى النار
وكما يهلك هو بسبب غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم إذ تنقل إليه عوضا عما ظلمه به وقد حكي
عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال لا أفعل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها
وقال هو وغيره ديوان إخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد
في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الأسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه لا يموت لا
محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين فإن ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد
تنوب إلى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يهلك العليل الخفيف علته من حيث لا يطلع عليه

وذلك لأسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة
البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لها أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ونعني بذلك
السبب الخفي المفضي إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي إلى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الأزلية
التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وإن
كثرت طاعاته الظاهرة فإن الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد
انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضي البعد من
الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح
قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح وليس للإنسان إلا
ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير
الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا
أوضح من المشاهدة بالبصر إذ البصر يمكن أن يغلط فيه إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن
الغلط فيها وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب وإلا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب وإليه الإشارة
بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ۞ الرتبة الثالثة رتبة الناجين وأعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز
وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين
والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم تكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية
ولا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين
المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار ومن أنوار الاعتبار
فأما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بأن الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا في عالم النبوة وبعيد
أن يرتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضا متعارضة حتى إن عائشة رضي الله عنها لما مات بعض
الصبيان قالت عصفور من عصافير الجنة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال ما يدريك ۞ فإذن الإشكال
والاشتباه أغلب في هذا المقام ۞ الرتبة الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فإن
المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان
والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله تعالى بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقوله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم فأما الحور

والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا
يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله تعالى الكريم فهو غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف
رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شي سواه حتى عن
انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه او الفكر فيه فانه في حال الاستغراق
غافلا عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره
وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا لنفسه ولا لغير نفسه وهذه
الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر
صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الى ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم
قطعا انه لم يتصور ان تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على الحقيقة وبرفعه ينكشف الغطا فعند ذلك يدرك
هوان الحياة الدنيا وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات

كبر الصغيرة

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

ه اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار
والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك
لكان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الما تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك
القدر من الما لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشيا
تستبان باضدادها فاذا كان النافع من العمل هو الدايم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره
فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير
سوابق ولواحق من جملة الصغاير فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة
سابقة ومعاداة فكل كبيرة تكتنفها صغاير سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق العود اليها
ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه
العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب وكراهيته
له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب
هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يواخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا
يتاثر بما يجري في الغفلة وقد جا في الخبر المومن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب
مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شي عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المومن
لعلمه بجلال الله تعالى فاذا نظر الى عظم من عصى به راى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة

الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال
بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر
كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت الصغاير
عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور
لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها
واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة
وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف
مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف روجت عليه الزايف
وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله تكبر به الصغاير فان الذنوب مهلكات واذا
دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة ويتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب
بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ه ومنها
ان يتهاون بستر الله تعالى عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه
من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله تعالى وجهله بمكامن الغرور بالله تعالى كما
قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ه ومنها ان ياتي الذنب
ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك
لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فيغلظ به فان انضاف الى ذلك الترغيب
للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين
يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله تعالى ونعمه انه
يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب
غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف
وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه ه ومنها ان يكون المذنب
عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال
الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه
اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم
الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم اياما متطاولة فطوبى لمن اذا مات

من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من
قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي
بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر
مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وبكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا
ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك الطريق
المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات
هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا
التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجا فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات
وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على ان الشي يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة
واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا
يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم
وفي لفظ اخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عايشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل
الله تعالى عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها
وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة
فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبريل دخل على يوسف في السجن فقال كيف
تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله تعالى قال اجر مائة شهيد فاذن الهموم مكفرات
حقوق الله تعالى فهذا الحكم ما بينه وبين الله تعالى واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى
نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي
اضدادها فيقابل ايذاه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق عليهم بماله الحلال ويكفر تناول اعراضهم
بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق
الرقاب لان ذلك احيا اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل
الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث
كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد اما في
النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذا المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطا فتوبته بتسليم الدية
ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص

فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شا عفا عنه وان شا قتله ولا يسقط عنه الا بهذا ولا
يجوز له الاخفا وليس هذا كما لو زنا او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في
التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفا حق الله تعالى عليه بل عليه ان يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله تعالى
على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فان رفع امره الى
الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال
يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة امر به فحفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فريقين
فقايل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقايل يقول ما توبة افضل من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجات الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني فردها
فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما لا
فاذهبي حتى تضعي فلما ولدت اتته بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته
اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين
ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فنضح الدم على وجه خالد
فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها
صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت ه واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق فيه
وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زايف او ستر عيب من
المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما
يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي
في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب
في القيامة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب
ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم
او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن
على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيامة
فتوخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته
حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر

مات معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم
والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون
بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل
الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك
ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى
اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك تتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل
الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام ويكون له مثل
ثوابهم وان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحرام من الحطام
ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران
وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة عنها

الركن الثالث

في تمام التوبة وشروطها و في
دوامها الى آخر العمر قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي
حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط فلا بد
من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات
المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او
ببعض اعزته طالت عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي شيء
ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض
ولده المريض لا يبرأ وانه سيموت منه لطال في الحال حزنه فكيف وليس ولده اعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق
من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فالم
الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا
التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية
وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في
العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السماوات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب
منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم
ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه والمه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل
ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قال لا فهو جحد للمشاهدة

بل ربما ينفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون لعلمه بان كل ذنب
ذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون
فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان تدوم هذه المرارة في جميع الذنوب
وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن
ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث انه مخالفة امر الله تعالى
وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور
هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو
دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه
بالسن او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات
ما الذي قصر فيه منها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية
غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر
الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان
كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد
ويشتغل بقضائه واما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة
في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف
الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رضي الله عنه فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكاة
ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف وليسأل اهل العلم عن كيفية الخروج عنه من الحساب واما الحج فان كان
قد استطاع اليه سبيلا في بعض السنين ولم يتفق له خروج والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه
ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكوات او الصدقات
ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز
الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش
من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته
ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى
من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة
وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها

في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات
والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما اموال الحاضرة
فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر
الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس
بما يسوءهم او تعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم فمن
مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضا في القيامة واما من وجده واحله بطيبة قلب
منه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه
عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة
جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى به بمعرفته كزناه بجاريته واهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه
يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منهما ثم تبقى مظلمة فليجبرها بالحسنات
كما يجبر مظلمة الميت والغائب فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني
عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من
حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة
تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي
يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه
حتى اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيامة بحكم الله تعالى به عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله
فامتنع من له المال عن قبوله وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين
واعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل
قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن
يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة
الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه
بينهم قال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة
الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه

حديث المقنط

ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه اقرب الى هذه بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان
ميزان الحسنات ولو بمثقال فلابد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان
يعقد مع الله تعالى عقدا موكدا ويعاهده بعهد وثيق انه لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره
مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة
في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت
وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر
عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك
الشهوات في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من
تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما
يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يوثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب
عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ
القصد في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك
فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان عنيت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب
قبولا توصل الى النجاة والفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله تعالى
وان قال من ذهب الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية ويستحيل
ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله
بالسكين لان توجعه لفوات محبوبه سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توجع العبد لفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء
عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها
معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر
فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من
حيث مخالفة الامر واحدة فاذن معنى الصحة وعدمها ان ثمرة ملك الرتبة لا تنال الا بالكل ولا يتصور الندم على بعض المعاصي
فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة
وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق وترك السرقة لا
يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع
يستطرق المصنف تفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر دون

الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الصغائر ممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله تعالى
واجلب لسخط الله تعالى ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويندم عليه كالذي يجني على
اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب
واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن احد منهم معصوما
فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه
يشعره معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله من العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده فان اكلهما
بحكم شهوة فيندم على اكل العسل دون السكر ه الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده
ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله تعالى كالذي يتوب عن القتل والظلم والنهب ومظالم العباد لعلمه بان ديوان
العباد لا يترك وما بينه وبين الله تعالى يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر
ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبيها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب
عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال العقل ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب
ترجح الخمر عنده فيبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي ه الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر
وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير محرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب
الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما
قويا ولكن يكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل
والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان
سلم عن شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد
تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه
من الله تعالى قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل
يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلم انحى ان اخلع العذار وارخي
العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعسى ان اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور
هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله تعالى فلا تصح وان كانت لله تعالى فاترك الفسق
فان امر الله تعالى فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله تعالى ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله
علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملي في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الاخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو ان
بمجاهدتي فيه ان يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع

بين طاعة الله تعالى ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف
اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم على كل ذنب
وقال عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض الكبائر
ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط
ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة القليل التي يعجز عنه
ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذي يحذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل
من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لابد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية
واما في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور لاختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف
حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله تعالى في جميع الاوامر
والنواهي فان قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث
العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرا عليه بعد
العنة كشف ومعرفة تحقق بها ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع
باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا للذنب وماحيا عنه سيئته اذ لا
خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وان لم تطرا عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب
القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان
يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه
بادنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله منه والحقيقة في هذا
ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد
امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم حيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا
لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا
يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر
بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري
واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في
توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين
لا يخلو عن حق وعن قصور عن كل الحق [illegible] احد الحالين يكون

انقطاع نزوعها اليها لفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا لان تركه بالمجاهدة دل على قوة نفسه واستيلائه دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهما امارتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطا وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما غلبه وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل من صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من ان ينطحه فرسه فتكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من ان يعضه الكلب ويتعدى عليه وهذا خطا بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثالثة ان يكون بطلان النزوع بسبب اليقين وقوته وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليه فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ان ذلك افضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصل المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثال من قمع العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما بامان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد ولعل الذي في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يتفكر فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فلا جرم تختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا

نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليه افضل ولكنه حال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله تعالى نفسه فمنازله احواله وقد يكون طريق الجبلي الذي يسلكه العلم والتعليم فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهرت له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لعاق عن الطريق الى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على ساحل النهر بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا وتعذر السلوك وكان على طريقه ما يخاف منه فعلى نفسه ان جربها فليطل بالليل بكاءه وحزنه على تخريب الجسر لتاكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود لمثله فان حصل له من الشيطان وثوق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى التلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا الحقيقة ما يحكى من بكاء داود عليه السلام ونياحته فان قياسك نفسك الى الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتاديب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تعجز عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم انه لا يفهم

منطقه نزل فصاحته الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طائرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان التائبين على اربع طبقات الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون في ذلك من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء

الطبقة الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز منها ومن اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم لانفسهم وذلك لاجل تندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي كرم الله وجهه خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة يفيء احيانا ويميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب ياتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين وكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واهي راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واهي بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا

الطبقة الثالثة ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وساتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله تعالى بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاجتهاد في التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا يسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وكذلك ارتباط حصول فقه النفس الذي به يستحق المناصب الجليلة في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات

الحديث كان قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبينها إلا شبر
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فيه خطر إذ يمكن أن يكون الموت
متصلا به فلينظر إلى الأنفاس والأوقع في المحذور دوام الخطر إن خير لا يسع التجسس ۵ الطبقة الرابعة أن يتوب ويجري مدة
على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك
انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف
على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله تعالى فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسنى حتى مات
على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه
كما لا يستحيل أن يدخل الإنسان خربة ليجد كنزا فيتفق أن يجده ولا أن يجلس في البيت ليعلمه الله تعالى العلوم
من غير تعلم كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال
بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم
الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون إلا العالمون
والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما أن
من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم أنه ينتظر فضل الله تعالى بأن يرزقه كنزا يجده تحت الأرض في
بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى المغرورين وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله
فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند
أرباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة إذ يقول إن الله
كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدينار وإذا
قيل له إن الله تعالى كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه
يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا
فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الأرباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله تعالى ولا يعلم المغرور أن
رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وأنه قد أخبر إذ قال تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فكيف
يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور
عن الملك المقيم والنعيم الدائم وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الأحوال فنعوذ
بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بأن يكون داخلا تحت قوله
تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا أي أبصرنا أنك صدقت إذ

قلت وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي
الجهل والشك والارتياب الباعثة بالضرورة إلى سوء المنقلب والمآب ۵ **بيان** ما ينبغي أن
يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق ۵ اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم
والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن
أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات
المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها فأما بالقلب
فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر
العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على العباد وكذلك يضمر في قلبه الخيرات للمسلمين
والعزم على الطاعات وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي
وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما ذكرناه في كتاب الدعوات والاستغفار والأذكار وأما بالجوارح
فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا اتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا
أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحب الإقلاع عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة
من أعمال الجوارح وهي أن يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده
مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الأخبار يصلي
أربع ركعات وفي الخبر إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر
تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أوما صليت معنا صلاة
الغداة فقال بلى فقال إن الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة
كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب
نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فإن قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار
وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قول أستغفر
الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير فاعلم أنه
قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله تعالى الاستغفار
ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض الصحابة يقول كان لنا
أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فإن ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين

هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله
وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا
انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح
لأن يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو
عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب والتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة
وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال
يا رب ارزقني العصمة فإذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار
الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم
يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعم وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى
الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا
في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه إلى
العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب حبيب الله فقال إنما
يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه
حبيبه والمقصود أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير
حبيبا وللتكفير أيضا درجات فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات
التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات وليس يخلو عن
الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها
أن قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في
الميزان من أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان بأحمال البر وذلك بالضرورة محال
بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخيرات إلى أن يثقل فتشيل كفة السيئات فإياك وأن تستصغر ذرات الطاعات فلا
تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد
وتقول أي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وأن أجسام العالم
مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فإذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله تعالى أصلا بل
أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة
مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة

إلى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله
إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فإن تعود
الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق
لسانه إلى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى أن يقول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن تعود
الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله وإذا تعود الفضول قال
لعنه الله فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى
إن الله لا يضيع أجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة
عادة للسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات
وتضعيف الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فإياك أن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات
فإن هذه مكيدة روجها الشيطان بلعينه على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا
والسرائر فأي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه
ومقتصد وسابق أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين
وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كمن داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه
وأما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد
اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن طبقه
وافقه فاعتنقه وأما المقتصد فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة
إلى القلب ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك
القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا والظالم
المتخلف كالذي ترك الحياكة وأصبح كناسا والمقتصد الذي عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مذمة الحياكة ولكن
الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولما
قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله تعالى
بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلته لا من حركة لسانه فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا
احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن يفهم ذم ما يذم ومدح ما يمدح وإلا جهلت معنى ما قال
القائل الصادق حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة
بل ينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث خبأ

رضاه في طاعته فلا تحقرن منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقرن منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ
وليه في عباده فلا تحقرن منهم أحدا فلعله ولي الله تعالى ه **الركن الرابع** في دواء التوبة وطريق العلاج لحل
عقدة الإصرار ه اعلم أن الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عجب ربك من الشاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم
ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا
بالدواء ولا يقف على الدواء من لم يقف على الداء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك
السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطل الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا
يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى وأولئك هم الغافلون لا جرم
أنهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين
حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء
فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب عامة من مرض الإصرار فإذن لهذا الدواء أصلان أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من
بيانهما فإن قلت أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص فاعلم أن كل العلوم كلها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل
مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك داء الإصرار فلنذكر
حصول ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم فنقول يحتاج المريض إلى التصديق بأمور الأول أن يصدق على
الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا
يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة
سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد
وكلاهما من جملة الإيمان الثاني أنه لا بد وأن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر
عنه لا يلبس ولا يكذب فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق
الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث أنه لا بد وأن يصغي إلى
الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه وأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة
الخوف باعثا له على الاحتماء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير
من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى إلى سمعه من غير شك وارتياب حتى ينبعث
به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه
بنفسه الاحتماء عنه ليعرفه أولا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن

كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة تخصه علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة
وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال معرفته إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتها
وقدر ضررها في الدين ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم تختص بها
أطباء الدين وهم العلماء ورثة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أنه مذنب فعلى
العالم أن يعرفه وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم
وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء والأنبياء
ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا
فيرشدونهم فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه
غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فإن
الخلق لا يولدون إلا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع فالدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت
ولا على ظهرها إلا سقيم ومرض القلوب أكثر من مرض الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل
العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم
ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن سائر الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل
أحدها أن المريض به لا يدري أنه مريض والثاني أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فإن عاقبته موت
مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل
على فضل الله تعالى في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فإن الأطباء
هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم
فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء
فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم فبهذا السبب عم
الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا
وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون
إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع لينصرف
الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا
أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة أما الذي غلب عليه الخوف
حتى هجر الدنيا بالكلية و [illegible] نفسه بالكلية فيكسر سورة إسرافه في الخوف

بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط
واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فأما معالجة المغرور
المسترسل في المعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء
فإذن فساد الأطباء هو من المعضلة الزباء التي لا تقبل الدواء أصلا فإن قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ
في وعظه مع الخلق فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار
وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع النوع الأول أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين
وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب
شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر
يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعض الروايات
تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا ه وقال بعض السلف إذا أذنب
العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم
يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها ه وقال بعض السلف ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن
يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي
وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب إلي فأغفر له لعله يستبدل صالحا فأبدله له حسنات
فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده وفي حديث
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله تعالى
الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبضت إصبع حتى
تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل ه وقال الحسن إن بين العبد وبين الله تعالى حدا في المعاصي معلوما
إذا بلغه العبد طبع الله تعالى على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والأخبار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن
يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم
والحكمة وورثه كل عالم بما أصابه ه النوع الثاني حكايات الأنبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم
فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلوات الله عليه في عصيانه وما لقيه من الإخراج من
الجنة حتى روي أنه لما أكل الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا
عنه فجاء جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري
فإنه لا يجاورني من عصاني قال فالتفت آدم إلى حواء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب

وروي أن سليمان عليه السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوما وقيل لأن المرأة سألته أن
يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها
على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعموني فإني سليمان بن داود شج وضرب وحكي أنه استطعم من
بيت فطردته امرأة وبصقت في وجهه وفي رواية فأخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج له
الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين أيام العقوبة فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن
والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم
في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه ه وفي الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل
عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله تعالى ببركة تقواه فكان نبيا في بني إسرائيل
وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بم أطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بترك المعاصي لأجل الله تعالى وروي
أن الريح كانت تسير بسليمان فنظر إلى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه قال فوضعته الريح فقال لم
فعلت ولم آمرك قالت إنما نطيعك إذا أطعت الله تعالى ه وروي أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت
بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لإخوته أخاف أن يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت إلى
حفظي له وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وأمثال هذه
الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء
عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة
ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثما ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر فهذا أيضا مما ينبغي أن
يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة ه النوع الثالث أن يقرر عندهم أن تعجيل
العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فبسبب جناياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة
ويخاف من عقوبة الله تعالى في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغي أن يخوف به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في
غالب الأمر كما حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته عن
القلوب ويستولي عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم
من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا ه وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال إنما
اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق
للخير ويسر له الشر فقد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف
فيحرم العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون ه

ويحكى عن بعض الصالحين انه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه محترزاً حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضاً وهو اشارة الى ان الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفا الاخوان فذنوبك اورثتك ذلك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال اخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بعد ثلثين سنه وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا تفوت احداً صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها فكنت اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله واستترت في البيت فلم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا سواداً حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فساورت نفسك بشهوة حتى استولت عليك فاخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم ان العبد لا يذنب ذنباً الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيداً اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقياً اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا في الفقر والمرض وغيره بل من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلي بشي كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوه وان اصابته نعمة كان استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة في حقه جزا على الطاعة ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته

النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدوا في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل اولاً بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقراين الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال له اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له آخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما تعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكاً في الدنيا والآخرة

فقال كيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم عرف في السائل الاول الغضب فنهاه عنه وفي السائل الاخر الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السائل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ بن جبل اوصني فقال كن رحيماً اكن لك بالجنة زعيماً فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء الياس وكانه تفرس فيه آفة المخالطة ولخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السايل اولى من ان يكون بحسب حال القايل وكتب معوية الى عايشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عايشة الى معوية سلام عليك اما بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلم عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التي يكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب رضاهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً فاذن على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللايقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان يتكلم في جمع او ساله من لم يطلع على باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان الطريق في ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق فيه وفي الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلاً قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلما بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً وعلى اعناق الناس كلاً وصم صوماً يكسر شهوتك ولا تصم صوماً يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال ايضاً لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رايته مصيبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلم للخضر اوصني فقال كن بساماً ولا تكن غضاباً وكن نفاعاً

ولا تكن ضراراً وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافاً كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله تعالى واحذر ما حذرك الله تعالى وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر اليقين والسلم وكتب عمر بن عبد العزيز يساله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المومنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدوا لما يخاف من عاقبة الدا وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اوليا الله وعدوة اعدا الله اما اولياوه فغمتهم واما اعداوه فغرتهم وكتب ايضاً الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي الى الناس شيئاً الا كان زايلاً عنهم باقياً عليك واعلم ان الله عز وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلم فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي يشترك فيها الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هولا الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعاً وينشدون ابياتاً ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادراً من القلب ليصل الى القلب بل القايل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطبيب اول علاج المريض فطلب العلما اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله

الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فبقي علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته باكل المضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك تعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلاً اذا غلبته

الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذيذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدايم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن ساير الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله تعالى وتيسيره من ورا ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغا واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله تعالى للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما علينا الا شرح طرق الهدى وان لنا للآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظيم ضرر الذنب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله تعالى ورسوله فهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مومن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مومن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب ليس حاضراً والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل توثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذن كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متاخراً الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ما الثلج لشدة عطشه مكذباً باصل الطب ولا مكذباً بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مومن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات فقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على

الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان * الرابع انه امر موقن الا وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة لجاجاً لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالاً على فضل الله تعالى فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب لسبب خامس يقدح في اصل الايمان وهو كونه شاكاً في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد ان الطبيب عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غداً للناظر قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع صار ناجزاً ويذكر نفسه انه ابداً في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلاً وابداً فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا الفكر بعينه يعالج اللذة الغالب عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغيصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة * واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غداً بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابداً شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق فهو [illegible]

فضل الله تعالى كمن ينفق امواله ويترك نفسه وعياله فقراء معتقداً لفضل الله تعالى ان يرزقه العثور على كنز في الارض فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من وقع النهب في الظلمة في بلده وذخائر امواله يمكن اخفاؤها وتقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله تعالى ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله تعالى مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة * واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسول وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو احمق وكانه لا وجود لمثله في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة انه قد لغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فاكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فسيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديداً فهو قريب وان صدق فيفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال له سبحان الله كيف اخرت صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضاً فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثواباً وعقاباً وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة ولا يبقى له توقف ان كان عاقلاً مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائراً يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص ابد الآباد شيئاً فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً لاجل سعادة تبقى ابد الآباد ولذلك قال ابو العلاء المعري

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر ... او صح قولي فالخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكاً ان كان ما قلت فقد تخلصنا جميعاً والا فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال فان قلت فهذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة واهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا [illegible] والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ

الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة وكل نفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخراً لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك * واما علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألماً بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به واما الثاني وهو كون الفكر مفوتاً للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً فكيف بما يضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة وقد صار الخير ديدناً كما كان الشر ديدناً فالنفس قابلة ما عودتها تتعود فالخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقاً للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب الخير توفيقاً اذ التوفيق هو التأليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال يا امير المؤمنين لعلي بن ابي طالب رضوان الله عليه اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال على اربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله تعالى ما لم يكن يحتسب * فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن الفكر وهذا القدر في التوبة كاف واذا كان الصبر ركناً من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر ونذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى * * *

كتاب الصبر والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله اهل الحمد والثناء المنفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار وهما ايضاً وصفان من اوصاف الله عز وجل واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً فالجهل [illegible] بكلا شطري الايمان

ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والقاعد عن معرفة الصبر والشكر قاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر ان شاء الله تعالى

الشطر الاول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده *

بيان فضيلة الصبر * قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً واضاف اكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سيأتي كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم الآية وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضاً الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال ايضاً افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] لكان كريماً والله يحب الصابرين والاخبار في هذا مما لا يحصى

وأما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري عليك بالصبر واعلم أن
الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصائب حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك
الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد
والعدل وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه
يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين
على البعير وأشار به إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية إنا
وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب بكى وقال واعجبا أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال أبو الدرداء ذروة
الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا
بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر
حقيقته ومعناه ٥ **بيان حقيقة الصبر ومعناه** ٥ اعلم أن الصبر مقام من مقامات
الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال فالمعارف
هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال
كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق
على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة
سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب
بين الملائكة والإنس والبهائم فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة أما في البهائم فلنقصانها
وأما في الملائكة فلكمالها وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون
إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة
صبرا وأما الملائكة فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة
صارفة صادة عنها حتى تحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف وأما الإنسان
فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم تخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب
والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر
قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة
جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه
والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح

المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب
بل إلى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب إلا اللذيذ وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار
الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له
قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى قدرة
وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده
ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك
بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كما أن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة
التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث
الهوى وليعلم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد
باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى فالصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله تعالى
والتحق بالصابرين وإن تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين فإذن ترك الأفعال
المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي في مقابلة الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة
بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيمانا وهو
اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف
ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة
الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام
الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف
عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسلما له فهو إذن صاحب اليمين والآخر صاحب
الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء
إليه فيكتب إعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال
هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة يستمد من جنوده
فيثبت له به حسنة وإنما تثبت هذه الحسنات والسيئات بإثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين أما الكرام فلانتفاع
العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبين فلإثباتهما الحسنات والسيئات وإنما كتابتهما في
[illegible]

وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الغيب والشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار
في هذا العالم ثم نشر هذه العجائب المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني
بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد
وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أما في
القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلائق وفيها يساق المتقون
إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا أفرادا والهول الأول هو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة
الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فإنك تعلم
أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن
الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة
مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص
من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس حظك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان
والخائف من تزلزله أن تزلزل بدنك بسببه وإلا فالهوى أبدا متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس تزلزل به بدنك فحظك من
زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك
وقلبك شمس أرضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومغيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك
نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فإذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت
الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا وإذا أظلم قلبك عند الموت فقد
كورت الشمس تكويرا وإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا وإذا انشق
دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا وإذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا وإذا التفت إحدى
ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا وإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت حتى
ألقت ما فيها وتخلت ولست أطول بموازنة جميع الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه
القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك
وقد انتثرت حواسك التي تنتفع بالكواكب والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنه قد
كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت
سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى
والخوف بعد أسفل والهول بعده آخر وذلك إذا [illegible] وبطلت السماوات

والأرض ونسفت الجبال وتمت الأهوال فاعلم أن هذه القيامة الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها
فهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين إحداهما الخروج من
الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام وهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل
وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى
خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد
بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم
إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه
الإشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت
والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور
الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى
بالجهل والضلال أفلا تكفيك القيامة الصغرى أوما سمعت قول سيد الأنبياء كفى بالموت واعظا أوما سمعت بكربه
صلى الله عليه وسلم في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت أوما تستحيي من استبطائك هجوم الموت اقتداء على
الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض
نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به
يستهزئون أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى
سافروا من عندهم فهم معدومون كلا إن كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا وهم عنها
معرضون وذلك لأنا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول إن الصبر عبارة
عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين
ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ ذكرنا أن الحسنة في الإقبال والإعراض من القادر على الإعراض والإقبال
ولعمري يظهر مبادي إشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن
يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات
لمجرد ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه في الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم الجليل والولي البر الشفيق
إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام البررة الأخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه
عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق

الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين ۞

بيان

كون الصبر نصف الايمان ۞ اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره ۞ الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الآخر وهو الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان تفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة ۞

بيان

الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر ۞ اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى باسترسال

في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني اولا ثم يطلع على الاسامي ثانيا اذ الاسامي وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات ۞

بيان

اقسام الصبر بحسب القوة والضعف ۞ اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلثة احوال احدها ان يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط المستقيم القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ۞ الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله تعالى في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله تعالى وامر من امور الله تعالى واليهم الاشارة بقوله عز وجل ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عنهم فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار

رفيقا للشهوات لا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم اسير في ايدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته سببه انه يجر ما كان حقه ان يستسخر ويسلط من حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله تعالى وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن ارق مسلما لكافر بل كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق في الارض ۞ الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون المجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل

ولم ار في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذا التقسيم قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا يكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ۞ وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثاني الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالث المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة

الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة ۞

بيان

مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال ۞ اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا صديق ۞ وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رأيت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر على العافية ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يرعى حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء ۞ النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط باختياره

ولكن له اختيار في ازالة التشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلاثة اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو
سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على
الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي
مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذ استخف قومه فاطاعوه
وما من واحد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره
فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في
رداء الكبريا فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة وما يكره بسبب البخل
كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر
على طاعته في ثلاث احوال الاول قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الريا ودواعي الافات وعقد
العزم على الاخلاص والوفا وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة الاخلاص والنية وافات الريا ومكايد النفس
وقد نبه عليه صلوات الله عليه وسلامه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ۞ الحالة الثانية
حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في اثنا عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى
الاخر فيلازم الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل ۞ الحالة الثالثة
بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به الى السمعة والريا والصبر عن النظر اليه بعين العجب
وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر
بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله
في قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاي ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاي ذي القربى
هو المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر ۞ الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله
تعالى انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من
جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة
فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى
باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي
اللسان من الغيبة والكذب والمرا والثنا على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات
التي يقصد بها الازرا والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره

غيبة وفي باطنه ثنا على النفس فللنفس فيه شهوتان احديهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي في
طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات
يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان
يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما
ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد
فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في احاد
المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر
باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم
آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شي معين لم يتصور فتور
الوسواس عنه ۞ القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او
جني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة
ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد
بها وجه الله فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر
من هذا فصبر ۞ وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة ولذلك
مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل
قال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب
خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ رداك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين
وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه باعث الدين وباعث
الشهوة والغضب جميعا ۞ القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالمصايب مثل موت الاعزة
وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضا وبالجملة فسائر انواع البلا فالصبر على ذلك من
اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر على ادا فرايض الله تعالى فله

ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة
وانما فضل هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما
الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما
نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي
مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او
انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة
فقال كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله
ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه
قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عليه السلام يقول الله عز وجل
اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابرأته
ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء
مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله تعالى
على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل الفضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله تعالى قيل وكيف ذلك قال
الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي رحمه الله في البيمارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك
جاؤك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين
في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امرأة فتح
الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة
وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا
فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك وروي عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد
اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى
ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني
صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الاخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة

الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية
المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج من مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة
تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان
وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في
ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي قلت باحسن حال بحمد الله
فانه لم يكن منذ اشتكى اسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت
الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك
كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك سبعة كلهم قد قرأ القرآن وروى جابر انه عليه السلام
قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة
من غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية
ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا
عن هذا فقال انما هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة
راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتب
ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله عنده فيما ابقاه واعلم ان
الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم
فيما يعافون منه فاذن مهما دفع الكراهية بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال
الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة
فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل
وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر
لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر
فهو كيف ما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به
انسا بالله تعالى او عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة لله تعالى فهو مغبون هذا ان كان
فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في تحصيل اقضاء الشهوات اذ لا

بل التابع كل من تحرك على خلاف غرضه جميع عمره او من توهم منه انه نازعه وخالف غرضه بظهور امارة النعمة
بل يعتقد ان المخالفة من اخص الناس حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتذكر في كيفية زجرهم وكيفية
قهرهم وجوابهم عما يعتلون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس
عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار
وخلق الانسان من صلصال كالفخار فالفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها
الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن
عن حركته ساجدا للمخلوق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من
نار وخلقته من طين فاذن حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه فلا ينبغي ان تطمع في سجوده لاولاده
ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد اظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان
سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو
جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم
المحتشم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر
اللب عن اللب فتكون ممن قيد عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين
فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشتغل قلبك بالله وحده
فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا
اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح
فانك ان اردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما
يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين والا
فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن
عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض
ويفرخ ثم تزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر
الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا تزال النار تتولد من النار ولا تنقطع البتة بل
تسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت
وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذن اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك

ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها
شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم
لا يقطعه الا الموت ۝

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

۝ اعلم ان الذي انزل الداء
انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط
التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر
مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها
واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع
مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك
قلبه ونفسه لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول
قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما
الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا هاهنا تقوية باعث الدين
وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلثة امور احدها ان ننظر الى مادة قوتها وهي الاغذية
الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند
الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه
المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل
بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه
النظر سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان او الهرب من
صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه والثالث تسلية
النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عن المحظورات
منه وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في
حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
فهذه ثلثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري
ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب
مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التاديب واما تقوية
باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار

التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عاقبته في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه
بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم
خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف
وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين
وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثالث ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث
الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة
للاعمال الشاقة يؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة
الممارسين للاعمال الشاقة فيبنوا على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة
فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه
اياهم بموسى عليه السلام حيث قال وانكم اذا لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة
اسباب ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجري ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين
ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع
الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات
الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له
البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم
الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا
وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السماوات
والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر ابواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله به مجاذبة
الشيطان ووسوسته وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار
والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا
فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر
من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالطة اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا
احد الانواع الشاغلة النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب
المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن تولاه ولكن بعد
قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر

وينكشف فيه من اسرار الله تعالى في ملكوت السماوات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول
القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ
ما يرد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد
يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك
باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل
السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام
ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى
اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها
من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله تعالى اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى
انه لا يخلي سنة من مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات او نفحة من النفحات فينبغي ان
يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما
يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع
الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار
رحمته حتى تستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف
من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار
بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك
حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهار
ماء الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب
ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى وليتذكر اولوا الالباب وقال تعالى
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر
وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله المسير من الدنيا الى الآخرة
سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله
اشد وذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان
لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلب اللذات

ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لامور الربوبية
وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حب ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له
بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون
مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة ليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر
فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان
يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك
مشوب بانواع الآلام ومليء بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر
ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان فتوسل اليه بواسطة
العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة
ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول
بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض
عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار
مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله تعالى الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو
واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا
فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة
فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل
الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا وملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد
فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين
اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ
الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو كانت تسلم لكان حسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن
المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر اسباب الجاه ثم ان سلم وتم الاسباب ينقضي العمر
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كأن لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده

عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير
صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يسخره
زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية
بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة
قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك قال كيف قال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال انت
عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذن هو الملك في الدنيا وهو الذي
يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستداد على
الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية
ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر
عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه
وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه
العمل وعمله في ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب
كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة
الارض اذ قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ۞ الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف ما
اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي التجمل بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم
وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل
باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة ۞ الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج ولا ينقل دفعة واحدة
الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع ينفر ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض
ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان تقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا شيئا الى ان تنقمع
تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق
ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والى الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا
هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضعفه لما
ذكرناه من فوائد طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات ولنجعله كدستور يعرف به علاج
الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق
عليه الصبر معه فينعكس امره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا

يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر اية اشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه

والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر في اكثر الاحوال محمود

وقيل ايضا

الصبر يجمل في المواضع كلها ... الا عليك فانه لا يجمل

هذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلاثة اركان الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الاول في نفس الشكر وفيه بيان فضيلة الشكر

اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال تعالى اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

المغفرة

واما الاخبار

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني ليلة فدخل معي في فراشي وقالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضا فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى

علي ان في خلق السماوات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء لا ينبغي ان ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن واوحى الله تعالى الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله تعالى اليه في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم بثلاثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فاما في حق الله تعالى فلا يتم الا بان تعرف ان النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التوحيد والتقديس فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقيل افضل الذكر قول لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يتضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب

فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق
فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن انعم
عليه ملك من الملوك بشيء فان رأى لوزيره او لوكيله دخلا في ايصال ذلك اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة
من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا
ينقص من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي
كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما
بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال
وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم خاف عاقبته لما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره
الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك
فكذلك من عرف الله تعالى وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره مثل القلم في يد الكاتب
وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت
كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك
نعمة الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله تعالى عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في
الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ان خلق الله
له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطا
لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذن انما يطلب نفع نفسه لينفعك فليس منعما عليك بل
اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى وهو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات
والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله
وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلم في
مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن
لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده
بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل ٥ الاصل الثاني
الحال المستثمرة من اصل المعرفة وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده
كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام
ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور

كالقلم

ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه
وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحرا فاخذه لكان فرحه مثل ذلك
الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في
صحرا او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من
نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة
القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا
القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة ايضا
الوزارة بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث
درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا
حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من
حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا
حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان
يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه
على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن
ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج
بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته او قربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا
رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة
لا يدركها من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات
وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا
مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما تستبشع بعض المرضى الاشيا الحلوة وتستحلي الاشيا
المرة كما قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا ٥ فاذن شرط الفرح بنعمة الله تعالى ان يكون
الى المنعم وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس
وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله تعالى لينعم عليه وبين من يريد نعمة الله تعالى ليصل بها اليه ٥
الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب
فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح

فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه
لمسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار
الرضا عن الله تعالى وهو مامور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السؤال فاعاد حتى
قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال عليه السلام هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم
استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق
وكل عبد سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل
الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم
يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر
على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح قال الله عز وجل
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم
فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم
فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك
وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته
فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض
احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل
ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه
الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا اشارة الى المعرفة من
معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص
وهذه اقوالهم تعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم تختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا
يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال
السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يظن ان ما ذكرناه طعن عليهم
وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها لكانوا ينكرونها بل لا نظن ذلك بعاقل اصلا الا ان يفرض منازعة
من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني او يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني
تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الاخرة

في شيء ه **بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى** لعله يخطر ببالك ان
الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم
عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم
وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشيء من ذلك وهو محال في حق الله تعالى من
وجهين احدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه
والحشمة بالثناء والاطراء او عن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا وساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي
شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا حظ لله تعالى في افعالنا والوجه الثاني ان جميع ما
نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله تعالى اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي
اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا
مركوبا اخر له وركبناه او اعطانا مركوبا اخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج
الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا
نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام
وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ
اخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر
اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال ففهمني وافصح عن ادراك معنى ما اوحي اليهم
فاني اعلم استحالة الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار
شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم
قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من المعارف وهي اعلى من
علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى لوامح فنقول ها هنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه
الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه
وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال
ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود
بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي
لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد
ولا يتصور ان يكون غير ذلك اذ ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت

وفي

لا

ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هاهنا نظر حبيب بن ابي حبيب
حيث قرا قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال وا عجبا اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى
نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هاهنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري
يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار به الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا يفهمها الا بمثال
على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه
والوالد اذا احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعته
فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية
عن هذه الحالة بفنا النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله تعالى فلم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول
ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وغرض العارفين
ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون
واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هولا لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين
عليهم اعظم اذ قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك قوم نوح كانوا يضحكون عليه عند
اشتغاله بعمل السفينة فقال تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين ۝ النظر الثاني نظر من
لم يبلغ الى مقام الفنا عن نفسه وهولا فريقان فريق لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهولا هم العميان
المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قايم بنفسه وقايم على كل نفس بما كسبت
وكل قايم فقايم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود
لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد
وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو والموجود قايم وقيوم والموجد هالك وفاني واذا كان كذلك كل
من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ۝ الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور فانهم يبصرون باحدى
العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فنا غير الموجود الحق فاثبت موجودا
اخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا
بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص في الموجود الاخر دخل في حد التوحيد
ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فان بقي
في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته ما سوى الله تعالى فلا يرى الا الله تعالى فيكون قد بلغ
كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله تعالى دخل في اوايل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبها

تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي يحصل به انوار الابصار والانبيا هم الكحالون
وقد جاوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال
التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان
قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوايل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون
وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح له حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك
ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز ۝ لكل الى شاو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات ۝ ولما امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقال له واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة
فعل الله عز وجل فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الافعال
وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد
فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية
فعل وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا
واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثنا عليك فقوله لا احصي خبر عن فنا نفسه وخروجه عن مشاهدته
وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شي هالك الا وجهه
فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله تعالى وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ما
ذا انتهت نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه
لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصانا في
سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم
والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات
الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عايشة رضي الله عنها وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكا في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال افلا اكون عبدا شكورا
معناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ تغلغلنا
في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبيا بعثوا لدعوة الخلق الى كمال
التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق
سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك تكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر في ذلك

المقام وبالاضافة الي ملك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا نعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان
تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الي عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتي يقطع به
مسافة البعيد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الي حضرته ان
يقوم بعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد
في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة يغني منه غناء وغيبته لا ينقص من ملكه فلا يكون قصده من الانعام عليه بالمركوب
والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فنزل
العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد
لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الي حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادها الملك منه واما في
الحالة الثانية فلا يحتاج الي الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه
اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده
منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته
في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما
كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها
وعطلها وان كان هذا دون ما لو تبعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الي استعمال
الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم ما يقدرون على
استعمالها في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم
رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا الاية فاذن نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تعالى
لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة
فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته فقد كفره لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه
لان الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كافر للنعمة
بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الي سعادة الاخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل
مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او
عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما
المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه
وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن

بالشكر الا انصراف نعمة الله تعالى في جهة محبة الله عز وجل فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل
المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انك محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي
اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الي محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك
محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن
بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء اذ جعلك خالق الاشياء
شيئا وانما انت لا شيء اذ كنت انت انت ظانا انك بنفسك شيء من ذاتك فاما باعتبار النظر الي الذي جعل الاشياء اشياء
فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء حقا والي هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ عنها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدرة الله تعالى
ومحل افعاله وان هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله في محل البعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى
الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث
داعية جازمة الي الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال
الله تعالى ولكن بعض افعاله سبب للبعض اي الاول شرط للثاني كما ان خلق الجسم سبب لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق
الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض اذ هي شرط
ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة
الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا
اذا حقق ترقي الي درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان
وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل الي الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب
لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الي جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب
ومرتبها فمن سبقت له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب التي تقوده بسلاسلها الي الجنة ويعبر عن
مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وكلام
العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الي الدنيا واذا لم يترك الركون الي الدنيا بقي في حزب
الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الي الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود
الي الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الي النار بالسلاسل وهو
تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الي الجنة قهرا والمجرمون يقادون الي النار قهرا ولا قاهر الا الله
الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء لاعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك

بل المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين
لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من
الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك ○

بيان وتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه ○

اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله تعالى اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر
نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان احدهما السمع
ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز
فلذلك ارسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبتني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد
فمن لا يطلع على احكام الشرع في جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني فهو النظر بعين الاعتبار فهو
ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود
هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس ان يحصل بها الليل
والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فيتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكمة الشمس
لا كل الحكمة فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق
الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق
دون الدقيقة التي تقصر عن فهمه اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا واما
الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق
انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤه
وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة
من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك اعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد
للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الاحشاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب
والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة
فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى علم الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذن
كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب
غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك غيره بها ومن
نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار تتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في
دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق

الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها الى الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن
غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر
الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء
ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة
والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله تعالى فقد كفر
نعمة الله سبحانه في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست
في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام
الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه
وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه
ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا
يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او
الصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه اشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم
يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم
عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير
المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل
يساوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يساوي مائة فهما من حيث انهما متساويان بشيء واحد متساويان وانما امكن
التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض
ترجيحا ومن لا غرض له لا يرجحه فلا ينتظم الامر فاذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين
الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما
الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج
الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو
في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها
كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به
المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض
المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذن من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم

المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولعمرو خاصة اذ لا غرض للاحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هولاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوا حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا كشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في اناء من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه لا يقدر على ان يشتري به طعاما ودابة وربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المراة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالاخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الاخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه ولا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوف النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي فلا ينتظم العقد

وان طلب زيادة في الردي فذلك مما لا يقصد فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفه الدقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوب عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليوكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولا يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلب بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب اداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الاخر في الغرض وبائع صاع البر بصاع غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد واما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رضي الله عنه في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وممكنا بالمطعوم فراى الشرع التحديد بجنس المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا تقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكماله يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا ولذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد كما حرم شرع عيسى عليه السلام الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحد داخل في التحريم بحكم الحسم كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي

أن تعتبر شكر النعم وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن تصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من عرف
الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب
الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا
إلى ملكوت السماء وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر
منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يتناطق به عوام الخلق بالكراهة
وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر فأقول مثلاً لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين
إذ خلق الله تعالى لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل
إذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها شريفة كأخذ المصحف
وبعضها خسيسة كإزالة النجاسة فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف
بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها
في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في
حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه ليتقيد
به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى
ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق فإذا رميت بصاقك إلى جهة
القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها تكمل عبادتك وكذلك إذا لبست
خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي أن تكون
بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة
وإن سماه الفقيه مكروهاً حتى إن بعضهم جمع أكراراً من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال
لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد أن أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في
هذه الأمور لأنه مسكين بلي بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الأنعام وهم منغمسون في
ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فيقبح أن يقال إن الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره
فقد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمراً في وقت النداء يوم الجمعة فيقبح
أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر
القبلة فيقبح أن يذكر ترك الأدب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها
فوق بعض فينمحي بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك

السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب
وتساهلنا به في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان
عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها
يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصناً من شجرة من
غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد
فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة أو للأعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق
وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه
لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك
إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان فإنهما جميعاً فانيان هالكان فإفناء الأخس في بقاء الأشرف
مدة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السماوات وما في
الأرض جميعاً نعم إن كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً لأن كل شجرة بعينها فلا تفي
عباد الله تعالى كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلماً وصاحب
الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه
بذلك فإن نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بمغرسه أو بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى
أخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل أن يكون هو أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز
محض إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السماوات والأرض وكيف يكون العبد مالكاً وهو في نفسه ليس
يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله تعالى والأرض مائدة الله تعالى وقد أذن لهم في الأكل منها بقدر
حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد
انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك ولكن
إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص
والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله تعالى
في عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج
إليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد
الخلق في طاعته أموال الدنيا إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لأن
مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة

الملول ٤

فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مفهوم وهم بحكم
نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا إياهم ذلك لا يدل على أن اللهو واللعب
حق فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الإنفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا
عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق
الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر الزاد
وكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان فمن أخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر
محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر بنعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول
والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى

تحقيق

في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا يفي إلا بالقليل
وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قول الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح إبليس لعنه الله بقوله
ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله وأمورًا أخر وراء هذا تستغرق الأعمار دون
استقصاء مباديها فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا تبين لك الفرق بين المعنى والتفسير

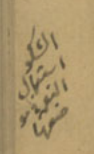
تحقيق في الشكر

فإن قلت فقد رجع حاصل الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سببًا لتمام تلك
الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعًا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى
انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو
كفر وهذا كله مفهوم ولكن الإشكال باق وهو أن العبد المنقسم إلى ما يتم الحكمة وإلى ما يرفعها هو أيضًا من
فعل الله تعالى فأين العبد في البين حتى يكون شاكرًا مرة وكافرًا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق في هذا أن يستمد من
تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة
عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلًا عن الجولان في جو
الملكوت جولان الطير فنقول إن لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة
أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى تعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها
في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادي إشراقها فانخفضت عن
ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار
الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة
تفهم من مبادي حقائقها شيئًا ضعيفًا جدًا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا

لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر
انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي
توهم منها أمرًا مجملًا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ القدرة ثم انقسمت
الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما تنساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما تقف دون الغاية وكان لكل واحد
نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة
المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل إنهما جميعًا داخلان في وصف المشيئة ولكن
لكل واحد خاصية أخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرًا مجملًا عند طالبي الفهم من الألفاظ واللغات
ثم انقسم عباده الذين هم أيضًا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له في المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته
دون غايتها ويكون ذلك قهرًا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم
لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة
المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب
وظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن
والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة
الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه أعطى الجمال ثم أثنى وأعطى
النكال ثم قبح وأردى وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فإذا تم زينته
قال يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال
وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في
أزل الآزال وهكذا تسلسل الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق
وبخت بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلمح البصر فأفاضت بحار المقادير
بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي ولفظ القدر بإزاء التفصيل
المتمادي إلى غير نهاية وقيل إن شيئًا من ذلك ليس خارجًا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت
هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة
كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه فألجموا عنه بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا
خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأت مشكاة بعضهم نورًا مقتبسًا من نور الله تعالى في السماوات والأرض
وكان زيتهم أولًا صافيًا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورًا على نور فأشرقت أقطار

الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بأدب الله واسكتوا وإذا ذكر القدر
فامسكوا فإن الحيطان آذان وحولكم ضعفاء الأبصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس
لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا بأخلاق الله وانزلوا إلى السماء الدنيا من منتهى علوكم
ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس
والكواكب في جنح الليل فيحيى به حياة يحتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيى به حياة المترددين في كمال نور الشمس
وكونوا كمن قيل فيهم ۝ شربنا شرابا طيبا عند طيب ۝ كذاك شراب الطيبين يطيب ۝ شربنا وأهرقنا على
الأرض فضله ۝ وللأرض من كأس الكرام نصيب ۝ فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا تفهمه إلا إذا كنت
أهلا له وإذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد
ما فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولا يقدر على أن
يستجر وراءه أعمى وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور عليه إلا بالسباحة فقد يقدر
الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وإنما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير
على ما هو مجال الجماهير الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا
يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال لو
ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران
لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس
إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس
والأمين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين ثم أحال
الإرشاد إلى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده
وأحال الإغواء على إبليس ليضلهم عن سبيله والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه إلى
العبد الذي غضب عليه والإرشاد سياقة لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له
مثال فالملك إذا كان يحتاج إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناءه عن القاذورات وكان له عبدان
فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب إليه إلا إلى أحسنهما وأكملهما
وأحبهما إليه ولا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولم يكن فعله على وفق فعلي فإنك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك بل هو الذي
صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماما للعدل فإن عدله
تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فإنك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر أسباب حركتك

في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال المعتدلة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر
عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه إلى نفسك وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا
إلى لعب المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتصيح وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك
بأنفسها إنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار
الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك
وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الأمر إليه والجاذب
بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان إلا العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة
فيحيلون عليها والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء
الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة
الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك
الخيوط في مناطات لها هي معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسماوات
وشاهدوا أبصار ملائكة السماوات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة
الربوبية كيلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المكاشفات في القرآن فقيل
وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملكوت السماوات لما ينزل إليهم من الأمر والقدر فقيل خلق
سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل
شيء علما وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين
في العلم بعلوم لا يحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الأمر بينهن فقال لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه
الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج
بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا في إتمام
حكمة الله تعالى فأشكر العباد أحبهم إلى الله عز وجل وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب وما منهم
إلا له مقام معلوم وأعلاهم في رتبة القرب من اسمه إسرافيل وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة وقد
أصلح الله تعالى بهم الأنبياء وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض ويلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى
الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم إذ أكمل الله تعالى به الدين وختم به النبيين ويليهم
العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في أنفسهم صالحون وقد أصلح الله تعالى بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما
أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع





السلطان

الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله تعالى به صلاح دينهم ودنياهم
ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم تلي العلماء الصالحون الذين أصلحوا أديانهم فقط فلم تتم حكمة الله تعالى بهم إلا
فيهم ومن على هواهم فهمج رعاع واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا
قال عمرو بن العاص إمام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء يفسدون
وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال
سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة
فهو جاهل ۞ وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال مهلا إن لله تعالى
كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع
ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون ۞

الركن الثاني

من أركان الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها
ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان

حقيقة النعم وأصنافها ۞ اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ولكن النعمة
بالحقيقة هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة إما غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية
التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة
الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن
تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها
بتقسيمات القسمة الأولى أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم
وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ
باتباع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في
الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر
في المآل بلاء محض عند ذوي الأبصار وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة
إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند
الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة
فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الأم

ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب بكمال عقله يلحظ العاقبة والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي
بجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوا له ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة
صديق لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل
وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو ۞ قسمة ثانية اعلم أن
الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب
والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى ما نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر
الأسباب وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ
ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله
ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب إنسان يستضر بالقليل أيضا إذ لا يزال مستصغرا له شاكيا
من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه ۞ قسمة ثالثة اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم
إلى ما هو مؤثر لذاته وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لذاته ولغيره فالأول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر إلى وجه الله تعالى
وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها
بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجات لو كانت لا تقضى بها لكانت
هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في
أنفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا
فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال
مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة
والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات
الدنيا وتقصد أيضا لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل
من حيث إنها سلامة فإذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن
دون الأول فأما ما لا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث هما جوهران بأنهما نعمة بل من حيث
هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمرا ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم
والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر وكان وجودهما وعدمهما
عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة ۞
قسمة رابعة اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع وجميل ولذيذ واللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال

والنافع في الذي يفيد في المال والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والذي ايضا ينقسم الى ضار وقبيح ومؤلم
وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة
فانهما نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل الحكمة والعلم واما في الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم
جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذ
ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل
وادراك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب
دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بين بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع
المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل
استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه
ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان
ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما
البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامه
قسمة خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها
او مشاركته لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات
اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس مستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها
القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا
يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتشبهين باسمهم والمترسمين
برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل
وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد
الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقل الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان
العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق
والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي السلاطين
بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل
في كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن
في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق

لم يعرف ومن لم يذق لم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض
الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور فطرتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع
الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن
يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلثة اما من لم يحي بعد باطنه كالطفل واما من مات بعد
الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول
وقوله لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله تعالى من الموتى
وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان
الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض
الحيوانات والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك
اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث بلذة الغلبة وهي اشدها التصاقا
بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب واخر ما يخرج من
رؤوس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج فكسرهما مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة مما لا
يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال يشبه ان
يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة
ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل يعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة لا

تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله تعالى ولا يستريح
الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله تعالى وانما انسه بالجاه والرياسة والمال
وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله تعالى والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض
الاحوال الرجوع الى الاوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الاحوال تلذذ
بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به واما الثالث
والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة
وانما يكون كثيرة في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب
قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز
والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة

الدنيا

الآخرة فإنها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في
المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق
رؤيتك فإنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولاً فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة
فانقلب التابع في الوجود متبوعاً في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدماً وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس
والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس
من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد
أمر الخلق به فقيل فاعتبروا يا أولي الأبصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة
وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً شأنها أن تطلع على الأفئدة إلا أن بينه وبين إدراك
ألمها حجاباً فإذا رفع الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا
الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم يدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين
اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفروا حظهم من نور اليقين فلذلك قال
تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح
لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالشخص الصالح لملك الدنيا ◦ قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم ◦ اعلم
أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع
حاصلها إلى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش إلا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر
الخندق في شدة الضر وقال ذلك في شدة السرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحداق
الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا
قال دخول الجنة وأما الوسائل فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن
وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة
وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي إذن أربعة
أنواع النوع الأول وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان
وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله وإلى علوم المعاملة
وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن
مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل

تفصيل حسن

١٣٥

التي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان فمن أخصى نفسه لترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك
الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان
وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فإذن الفضائل الخاصة بالنفس
المقربة إلى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهي
الفضائل البدنية وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة المال والأهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب
الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة
هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر إذ قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحد إلى أربعة
وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة
إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في
الآخرة إلا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري
وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل فإن ذلك
لو عدم ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة فإن قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال
والأهل والجاه والعشيرة فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود أما المال فالفقير
في طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع إلى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال وكيف ومن عدم المال صار
مستغرق الأوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى
تشغله عن الذكر والفكر ولا يندفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات
وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الأمن فإني رأيت الخائف لا
عيش له قيل زدنا قال العافية فإني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فإني رأيت الهرم لا عيش له وكأن ما
ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكنه من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من أصبح معافى
في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأما الأهل والولد الصالح فلا
يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد إذا مات العبد
المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل في كتاب النكاح وأما الأقارب

فيهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما
لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو إذن نعمة وأما العز والجاه فبه يدفع
الإنسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله
وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان
وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب كما لا معنى للغنى
إلا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه
المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع عن ماشيته فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد
كان الأنبياء عليهم السلام الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على
قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بسببهم ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم
حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى انتشر به عزه وجاهه كانت أقل من
نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة فإن قلت كرم العشيرة وشرف الأهل من النعم
أم لا فأقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة
في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم الأكفاء وقال إياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن
فقال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا
بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم
والعمل فإن قلت فما معنى الفضائل البدنية فأقول لا خفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر إذ لا
يتم علم وعمل إلا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله وإنما يستحقر من
جملته أمر الجمال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل
الغناء ولكنه من الخيرات أيضا أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين أحدهما أن القبيح
مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه
جناح مبلغ كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح الوجه
وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة
النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تأدى إلى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول
أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك
يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الأرض قبيح إلا

ووجهه أحسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو ألكن فأسقط اسمه
من الديوان وقال الروح إن أشرقت على الظاهر فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه إذا بعثتم رسولا فاطلبوا
حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجها أولاهم بالإمامة وقال الله تعالى
ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة وإنما نعني به ارتفاع
القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر
إليه فإن قلت فقد أدخلت الجاه والمال والنسب والأهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا
رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال الله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وقال تعالى إنما أموالكم
وأولادكم فتنة وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا
بأبيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم أن من أخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤولة والعمومات
المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله إلى إدراك الأمور على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها
بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها إلا أن فيها فتنا ومخاوف فمثال
المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج
ترياقها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر
واللآلئ فمن ظفر بالبحر فإن كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر
بنعمه وإن خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسوله صلى الله عليه وسلم
فقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم
بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في
ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك
القلوب وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر
الجاه فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل
العثور على جواهره ولو كانا في أعيانهما مذمومين لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى
الله عليه وسلم ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والأموال حيات
والأنبياء والعارفون معزمون فقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه
فقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده ولأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها ويهلك فله

غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يبغضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فإذا كان يقيد
على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كبيرا ولو أخذه لأخذه الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه
أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه أن فيها سما قاتلا لا ينجو منه
أحد ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق فإن ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص
إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر وإن كان لا
ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى أباه يحوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب
منه بين يديه فكذلك الأمة في حجر الأنبياء كالصبيان الأغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده وقال عليه السلام إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم وحظهم الأوفر
في حفظ أولادهم عن المهالك فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت فلا جرم
اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه فإن الإنفاق فيه الترياق وفي الإمساك السم ولو فتح
للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الإنفاق فلذلك قبحت الأموال
والمعني به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا
ولذاتها فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر أن لا يحمل
إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما حمله فأما إن سمحت نفسه بإطعام الطعام وتوسيع الزاد
على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لنفسه
خاصة وإلا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في
موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة
استأذنه عبد الرحمن بن عوف في أن يخرج من جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن
يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث ٥ فإذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها
بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها منتقيا داءها ومستخرجا
دواءها ومن لا فالبعد البعد الفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا يعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم
الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فإن قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد
والتأييد والتسديد فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين
قضاء الله تعالى وقدره وهذا يشمل الشر والخير وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم
التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال إلى الباطل

عن الحق وكذلك الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل   إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه
اجتهاده ٥ وأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى
ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد
الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال الله تعالى ربنا الذي أعطى
كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من
يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله
قال ولا أنا ٥ والهداية ثلاث منازل الأولى معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى وهديناه
النجدين وقد أنعم الله به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى وأما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة
لا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب وإن كانت لا تعمي الأبصار ومن جملة
المعميات الإلف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وعن
الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله عز وجل
أبشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة
وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور
الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها إلى ما لا يهتدي إليه بالعقل الذي
يحصل التكليف وإمكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه
الله تعالى بتخصيص الإضافة وإن كان الكل من جهته فقال تعالى قل إن هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة
في قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله تعالى أفمن شرح الله صدره
للإسلام فهو على نور من ربه وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى
مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد
آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة
إليها فالصبي إذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستثمار ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستثمار
لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره
ولكن ما أعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة

وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في أسرع وقت
فإن الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات
بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعث الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية
لتستيقظ وتتحرك والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة
عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى إذ أيدتك
بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسنح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير
وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن تثبت إلا بما يخوله الله تعالى من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي
والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل
عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر
أسبابا ويستدعي تلك الأسباب أسبابا إلى أن ينتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب
ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا
ليعلم به معنى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

كلام جامع

بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء

اعلم أنا جمعنا النعم في ستة عشر وجعلنا
صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها
تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة
الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا
بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد
للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات ثم أسباب
القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر
الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في
الأرض وهي له آلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورق فإنه تغلظ أصولها ثم تتشعب
ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر إلا أن النبات مع هذا
الكمال ناقص فإنه لو أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن

الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات
الإحساس وآلات الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في ترتيب خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك
فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه فهذا أول حس يخلق
للحيوان ولا يتصور حيوان إلا وأن يكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما
يلاصقه ويماسه فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي
في الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا
أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك
فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة
ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت به ريحه
وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك
جهته فتقصد تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران
والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب إلا
بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات
ولأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات
تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل
ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله
فتهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل
ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات
الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك
فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مضر ما لم تذقه ثانيا ولولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة
ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده
الصفرة والمرارة جميعا حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك
فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فإن البهيمة يحتال عليها
فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت وقد تلقي نفسها في بئر ولا تدري
أن ذلك مهلكها وكذلك قد تأكل البهيمة ما يلذها في الحال فيضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ

ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف
من الكل وهي العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة
وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوائد العقل واقل الحكمة
فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة
الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة
وقد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الارايح والاخرى
باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه
البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك
قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من
نواحي العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا
صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاآت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار
المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام
والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه
سياقة نعمة الله تعالى عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات
والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات
وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه
بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض
وتركيب ولو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز
عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس عليه حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفي
حكم الله تعالى وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف
ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات ○ الطرف الثاني
في اصناف النعم في خلق الارادات ○ اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعيد ولم يخلق لك ميل في
الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء
له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت ان يكون لك ميل الى ما يوافقك
يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك يسمى كراهية لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام

في اصناف النعم الارادة

وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي وتبقى بالغذاء فهذا مما تشارك
فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تعالى
الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسفله حتى يفسد فيحتاج الى
آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فيبقى به بدنك
خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض
وتاليف الجنين من النطفة ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق الساكنة اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة
وكيفية انصباب ماء المراة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة
في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقتها مرة
مضغة ومرة علقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى راس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الاعضاء لقضيت
من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدا خلقك كل العجب مما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في
الاكل وحده كيلا يطول الكلام فشهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه ياتيك
المهلكات من الجوانب فلو لم تخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ
منك كل ما حصلته من الغذا فان كل احد يشتهي ما في يدك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب
ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا تكفي فيه هذه
الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب
مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا
تضرك لا تغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما
لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى
من هذا ○ الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة ○ اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك
والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او الهرب وهذا لا يكفي فيما لم تكن آلة الطلب والهرب فكم من زمن
مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او
لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات الحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا
وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسبابها فمنها ما هو للطلب
كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات
وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له

القدرة الا[illegible]

الجناح ليطير به بعيدا ومنها ما خلق له اربع قوايم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وفي ذكر ذلك تطويل فلنذكر الاعضا التي بها
يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول انظر كيف يصل الطعام من بعيد الى فمك اليد لا يكفي ما لم تحمل فافتقرت الى الة باطشة
فانعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمتدان الى الاشيا ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد
وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي
الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة
لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها
كانت لك الة في الضرب واذا انشرتها ثم قبضتها كانت لك الة في القبض ثم خلق لك اظفارا واسند اليها رؤس الاصابع
حتى لا تتفتت وحتى يلتقط بها الاشيا الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤس اظفارك ثم هب انك اخذت
الطعام باليد من اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد ان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل
الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم
ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك
اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام
تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس
والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتحرك الفك
الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دون ان يتحرك ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك
لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل
رحا صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحا الذي صنعه الله تعالى اذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما
اعظم شانه واتم برهانه واعظم امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضا الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان
او كيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف تتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان
فانه يطوف في جوانب الفم ويردد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام
الى الرحا هذا مع ما فيه من فايدة الذوق وعجايب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام
وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان ينزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان
عينا ينبعث اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به الطعام وانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام
من بعيد فتثور الشكلية الخادمة وتنصب اللعاب حتى يتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون
المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر

اسفل على ج

كيف هيا الله تعالى المري والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام
بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان
يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد ان يطبخ طبخا تاما تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة
قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي
تحيط بالمعدة من الاعضا الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترايب ومن
خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضا من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مايعا
متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزايه ورقته وهو بعد لا
يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام
فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في
اجزا الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزايها حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه
بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج اخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذا الاعضا الا ان حرارة الكبد
هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد من جميع ما يطبخ احديهما شبيه بالدردي والعكر
وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفرا ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج
الاعضا فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه
فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة
رقة ورطوبة لما فيه من المايية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضا
فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد فمن عجايب حكمة الله تعالى ان
عنقيهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصلا بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب ما فيها
بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا
انفصلت منه المايية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذا ثم ان الله تعالى
اطلع من الكبد عروقا قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من
الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى ساير الاعضا حتى يصير العروق المنقسمة
شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذا بالرشح الى ساير الاجزا ولو
حلت بالمرارة افة فسد الدم وحصلت منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال
افة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيره وان لم

تدفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقا وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب منافع
على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحدى عنقيها وتتعلق بعنق اخر الى الامعا ليحصل
به في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعا لذع تحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق
ويكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في
كل يوم شيا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها
تتغذى بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في
الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من
هذه الاعضا الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن التي بواسطتها
تصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن وبواسطتها تصل الحس وكيفية انشعاب
العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها تصل الغذا ثم كيفية تركيب الاعضا وعدد عظامها
وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك يحتاج اليه للاكل
ولامور اخر سواه بل في الادمي الاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة
والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شي منها الا وفيه حكمة او اثنان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل
ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة
الله تعالى عليك اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله تعالى الا الاكل وهي اخسها لا تعرف منها الا انك
تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستوحش فيشمس ويرمح فاذا
لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة
من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل
وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لا يعرفونه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم
شيا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام
هذه الاعضا وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب
ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزا البدن الا ويحدث عند وصوله في
تلك الاجزا ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في اطراف البيت
فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزا البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج
سببا له بحكمته وهو البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطبا الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب

له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذا له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر
اعضا البدن بسببه كالضو للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا
ينطفي مهما انقطع غذاوه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة
الزيت فكذلك الدم الذي تتشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذا
فانه لا يقبل الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من
داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفا السراج بنفاد الزيت او بفساد الفتيلة او بريح
عاصف او باطفا انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك بتقدير فكذلك انطفا
الروح وكما ان انطفا السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك
انطفا الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقه انواره التي
كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائرها ما يجمعها معنى لفظ الحياة
فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم اخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته لتعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته
ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال من امر ربي فلم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة
عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح تطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من
جملتها جسما لطيفا تسميه الاطبا روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضا وكيفية حصول
الاحساس والقوى في الاعضا به حتى اذا خدر بعض الاعضا علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا
يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه
ينفذ في مشابك العصب وبواسطته تتادى من القلب الى سائر الاعضا وما يرتقي اليه معرفة الاطبا فامره سهل
نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم
نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل
العقول وصفها بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن
ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقهما
فلا يدرك بالعقل شي من وصفه بل بنور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة ونسبته
الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك
المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق

ينون الإيمان والنفس وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد وحجاب
الجو صدره وفي مقدمه مجال وميدان فسيح وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على العتبة
جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل إلى الميدان فكيف بالانتهاء إليها والتشرف من المشاهدات العالية ولذلك قيل
من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا في خزانة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحا
عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف
الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن أدرك الكرة التي يحركها صولجان الملك فظن أنه رأى
الملك ولا شك في أن خطأه فاحش وهذا الخطأ فحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف
وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
أن يتحدث به بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا
لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى من أمر ربي وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى
يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الآن إلى الغرض
فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل ۝ الطرف الرابع
في نعم الله تعالى في الأصول التي منها تحصل الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته ۝ اعلم
أن الأطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام
مما يطول فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل ولنأخذ من جملتها حبة
من البر ولندع سائر الأغذية فنقول إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعا فما أحوجك إلى
أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما
خلق فيك فإن النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يفارقك في الاغتذاء لأنه يغتذي بالماء ويجتذب إلى باطنه
بواسطة العروق كما تغتذي أنت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن
نشير إلى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي
بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا الهواء ومجرد الهواء
لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من أرض فيها ماء يمتزج
ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الأرض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فتحتاج إلى تركها
في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها بنفسه فتحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى

ينفذ إليها وإليه الإشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وإنما إلقاحها في إيقاع الازدواج بين الهواء والماء
والأرض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شاتي فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج
غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج الماء ليساق إلى الأرض الزراعة إلى البحار
والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تكون
مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار
العالم وهي سحاب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الأراضي في وقت الربيع والخريف على حسب
الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد
وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحصاؤها وأما الحرارة
فإنها لا تحصل من الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض
مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى
حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة
فتفتقر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس
التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس
والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا أظلتها شجرة كبيرة وتعرف
ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له في الليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب
رأسك يرطب الفواكه أيضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع
فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بإحصائها
ولو لم يكن كذلك لم يكن فيها حكمة ولكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى
وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء
بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون
أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر
الله تعالى في أمور جعلت أسبابا بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل
المنهي عنه في النجوم أمران أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير
مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك
كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء ثم

اكثر من ذلك العلم لم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا للاثار
التي تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الاثار
على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج
الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالة حمي
الهواء على طلوع الشمس واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم
يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الاثار الا ان الاثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا تجوز
دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضيا والحرارة بطلوع الشمس وبعضه
لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السما وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت
السماوات على ان يعرف لون السما وضو الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفته ذلك
فهو الذي مسح بها سبلته فلله تعالى في ملكوت السماوات والافاق والانفس والحيوانات عجايب يطلب معرفتها
المحبون لله تعالى فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه حبا له
فكذلك الامر في عجايب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنعه
بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم
عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعبذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا
تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تتعجب من حذق المشعبذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية
عن الابصار فاذن المقصود ان غذا النبات لا يتم الا بالما والهوا والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا
بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملايكة سماوية يحركونها
وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر
اسباب غذا النبات ۵

الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك ۵

اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون
بعض والناس منتشرون على وجه الارض فقد تبعد عنهم الاطعمة وتحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف
سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شي بل يجمعون فاما ان
تغرق بها السفن او ينهبها قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فتاخذها السلاطين واحسن احوالهم ان تاخذها

ورثتهم وهم اشد اعدايهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله تعالى الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدايد في طلب الربح
ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى الشرق والغرب
اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب
والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا
على التعب والى الجمال كيف تطوي المراحل وتقطع البراري تحت الاعبا الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف
سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وساير الحوايج وتامل ما تحتاج اليه
الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق
الحاجة واحصا ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر نتركها طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة ۵

اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويوكل وهو
كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقا البعض وابقا البعض الى امور اخر لا تحصى
واستقصا ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح
للاكل من بعد القا البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان
وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الما مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن
ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القايمين بها وعدد الالات
التي تحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن والخبز
من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال
والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير
بحيث يصلح لاكله يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدي من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الما
الى اخر الاعمال من جهة الملايكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الاف صانع كل
صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى ان الابرة
التي هي الة صغيرة فايدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان
تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت
الى عمل المنجل الذي يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله تعالى عبده الذي خلقه من نطفة
قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما
على الاخر فيتناولان الشي معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف طريق ايجاده بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا

إلى استنباط الطريق فيه شكرها ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد
منا عمر نوح وأوتي أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وجدها فضلا عن غيرها
فسبحان من الحق ذوي البصائر بالعميان وسبحان من منع التبين مع هذا البيان فانظر الآن كيف لو خلا البلد عن الطحان
مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس العمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ما الذي يصيبك من
الأذى وكيف يضطرب عليك أمرك كله فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته
ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضا فإن الغرض التنبيه على الغرض دون الاستقصاء الطرف السابع
في إصلاح المصلحين اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع
الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد
فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم ولو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت
بين قلوبهم فلأجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور
متقاربة متجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه ثم هذه
المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك
يؤدي إلى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب
وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح
البلاد حتى رتبوا أجزاء البلاد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض
ورتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد
والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار
الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم
وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما تتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر
كيف بعث الأنبياء حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل
بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه
ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى
الأنبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي هو واسطة
بينه وبين الله تعالى فالخباز يصلح العجين بالطبخ والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد
والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذى جميع أرباب الصناعات المصلحين

لآلات الأطعمة والسلطان يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين
والملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال
ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى
ولولا عزله إيانا عن أن نطمع بعينا لطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء
ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا
وإن سكتنا فبقهره انقبضنا إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى لأنا في كل لحظة من لحظات العمر
قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن
الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى
في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمه في الملائكة بإصلاح الأنبياء وهدايتهم وتبليغ
الوحي إليهم ولا تظنن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتب
مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى
بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما جاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما واعلم
أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذي إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة إلى عشرة إلى مائة وإلى
ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الأمر ثم
يصير لحما وعظما فإذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا
تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير
طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مطبوخا إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا
إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم
فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد
من رابع يكسوه صورة اللحم أو العظم أو العرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء ولا بد
من سادس يلصق ما اكتسب صفة اللحم باللحم وما اكتسب صفة العظم بالعظم حتى لا يكون منفصلا ولا بد
من سابع يرعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف
ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل شيء واحد قدر حاجته فإنه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع

هو اوله مع

علي نحوه لكبر الله وبطل التخويف وتشوهت خلقته بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها
وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة
وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك الغذاء في القسمة والتقسيط فساق إلى رأس
الصبي وهو رضيع من الغذاء ما ينمو به لا إلى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر
جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فإعطاء
هذه الهندسة في القسمة مفوض إلى ملك من الملائكة ولا تظنن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فإن محيل
هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا لك وأنت في النوم تستريح
وفي الغفلة تتردد وهم مصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك التي لا تتجزأ حتى
تفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للإيجاز والملائكة الأرضية
مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية
من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة
والجبروت جبار السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسماوات
والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب أكثر من أن تحصى
فلذلك تركنا الاستشهاد به فإن قلت فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم افتقر إلى سبعة أملاك والحنطة
أيضا تحتاج إلى من يطحن أولا ثم إلى من يميز عنها النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثا ثم إلى من
يعجن رابعا ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم إلى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم إلى من يلصقها
بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال
الإنس ظاهرا فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة
ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد وإليه الإشارة بقوله تعالى وما منا إلا له مقام
معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فإن البصر
لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فإنك قد
تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب
ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فإن هذا نوع من الاعوجاج والعدول
عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني
الفعل ولذلك ترى الإنسان يطيع الله تعالى مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير

ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع أبدا والساجد ساجد أبدا والقائم
قائم أبدا لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث
لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن يشبه بطاعة أطرافك لك فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح
تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق
متصلا بإشارتك فهذا يشبههم من وجه ولكن يخالفهم من وجه إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه
من الحركة فتحا وإطباقا والملائكة أحياء عالمون بما يعملون فإذن هذه نعمة الله تعالى عليك
في الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك إليهم في غرض الأكل فقط دون ما عداها من
الحركات والحاجات كلها فإنا لم نطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم
ومجامع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فإذن قد
أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الإثم وباطنه فترك باطن الإثم مما لا
تعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة وإضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر
للنعم الباطنة وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى
ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه
في السماوات والأرضين وما بينهما فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسماوات والأرض
والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضا به
فإن لله تعالى في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات
متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور
سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة
الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون مانعا للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثا بالأقذاء التي
تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك
الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو أطبق لم يبصر فيجمع الأجفان
مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول
القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف
الأجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فتطبقهما مرة أو مرتين فقد انصقلت

الحداقة من الغبار وخرجت الاقذا الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن له اجفان خلق له يدين فتراه على
الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار واذا تركنا الاستقصا لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد
على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجايب
صنع الله تعالى ه فلنرجع الى غرضنا فنقول فلا تكفر نعمة العين بنعمة الله تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان
الا بعين ولا العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذا ولا الغذا الا بالما والهوى
والارض والمطر والغيم والشمس والقمر ولا تقوم شي من ذلك الا بالسماوات ولا السماوات الا بالملايكة فان
الكل كالشي الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضا البدن بعضها ببعض فاذن قد كفر كل نعمة لله تعالى
في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك
ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم
يستغفر له كل شي حتى الحوت في البحر وان الملايكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاوها
وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بطرفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا
ان يتبع السيية بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه ه واوحى
الله تعالى الى ايوب عليه السلم ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعماي قال الملكان
اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين عندي علو رتبة
اني اشكر شكرهم وملايكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين
نعم كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم
يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوا الى القلب ولو سد منفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهوا وبرد ونه
عنه وهلك بل اليوم والليلة اربعة وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من
عشر لحظات فعليك في كل لحظة الف الف نعمة في كل جز من اجزا بدنك بل في كل جز من اجزا العالم فانظر
هل يتصور احصا ذلك ام لا ه ولما انكشف لموسى عليه السلم حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها ولذلك ورد في
الاثر من لم يعرف نعمة الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى
المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شي ولا يلم خاطره بموجود
الا ويتحقق ان لله تعالى فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصا والتفصيل فانه طمع في غير مطمع ه

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر ه

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة

الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها
ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان
تستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول
هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلا الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد
اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون
على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد
لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله تعالى على روح الهوا ولو اخذ بمخنقهم
لحظة حتى انقطع الهوا عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هوا حار او في بير فيه هوا ثقل
به رطوبة الما ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشي من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر عليه وهذا
غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال
والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر نعمة بصره
الى ان يعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله تعالى
واسعة عمت الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السو
حقه ان يضرب دايما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك
الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة
وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه
به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة
الف فقال لا قال ايسرك ان تكون اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا قال لا فقال ايسرك ان تكون
مجنونا ولك عشرة الف قال لا فقال اما تستحي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا ه
وحكي ان بعض القرا اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام كان قايلا يقول له تود انا
انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا
قال فمعك قيمة مائة الف وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي
يده كوز ما يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان
فهل كنت تعطيه قال نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح
بملك لا يساوي شربة ما ه فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ما عند العطش اعظم من ملك

الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعم الخاصة دون العامة كما ذكرنا النعم العامة فلنذكر
إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله رأى من الله تعالى
نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه
فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم أما العقل فما من عبد لله تعالى إلا
وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد أنه أعقل الناس وقلما يسأل الله تعالى العقل وإن من شرف العقل
أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره
لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهي نعمة في حقه فمن وضع
كنزاً تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده
ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقي وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها وأخلاقاً
يذمها وإنما يذمه من حيث يرى نفسه بريئاً عنها فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى
إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره
ما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فإذن
لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله تعالى فلم لا يشكر ستر الله تعالى الجميل الذي أرسله
على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد
فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقاً وإما في بعض الأمور فلننزل من هذا إلى طبقة أخرى أعم
منها قليلاً فنقول ما من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو
أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو سائر محابه أموراً لو سلب ذلك منه
وأعطي ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جماداً وإنساناً لا بهيمة
وذكراً لا أنثى وصحيحاً لا مريضاً وسليماً لا معيباً فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموم أيضاً فإن هذه
الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض به بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضاً وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله
بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذن حاله أحسن من
حال غيره فإن كان لا يعرف شخصاً يرتضي لنفسه حاله بدلاً عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص فإذن لله تعالى
عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد
المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو
فوقه فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى عليه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله تعالى عليه وما

باله لا يسوي دنياه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة فينظر أبداً في
الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه
وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا إلى
من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً شاكراً ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين
إلى من هو دونه لم يكتبه الله لا صابراً ولا شاكراً فإذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى
على نفسه نعماً كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وهذه إشارة إلى نعمة العلم وقال صلى الله عليه وسلم إن
القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد
استهزأ بآيات الله وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى
إن عبداً أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وعن طبيب يداويه وعما في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا
فقال
إذا القوت يأتي لك والصحة والأمن ... وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن
بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمناً في سربه
معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس وجدتهم
يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى في هذه الثلاث ولا
يشكرون نعمة الله تعالى عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح
إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من الشرق
إلى الغرب من أتباع وأموال وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك
لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات
في الدنيا بدلاً عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا
تسرق ولا تغصب ولا منافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة
ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بألمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إذ
ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت
كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال
معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظة ولو عقل واستهان بذلك اللذة وغض
البصر سلم جميع عمره فهكذا وقع أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول إن المعرض عن الدنيا

ما لم يصبر عنها فإن المقبل عليها أيضا ما لم يصبر عليها وحفظها وحبسها لم ينل المقصود منها ونال المعرض يفضي
إلى الزهد في الآخرة ونال المقبل يفضي إلى الكلام في الآخرة فليفر المعرض عن الدنيا قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن
تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فإذن إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم
بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فإن قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى
فعساها تشكر فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة
وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصته أو شعر بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبدا إلى من
دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر في كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام
فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة
الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ثم يشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب
ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن
أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى فليتدارك وأما من أطاع فليزيد في طاعته
فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه
الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر فإذا شاهد المقابر
وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود
لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من الأنفاس وإذا عرف
تلك النعمة شكرها بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه
القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين
بهذا الطريق تأكيدا للمعرفة وكان قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول
رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا
ترد ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك
كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف
النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون
بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم هذا تمام الركن ٥

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد ٥ لعلك تقول ما ذكرناه

في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر إذن
وإن كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أن الشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة
فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان
وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة
والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق
أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى وأما في
الدنيا فالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من
وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما
مدة وإما أبدا وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر
والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء
المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر أن
يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعلم أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب
غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه
فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم ألمه فلا يؤمر بالصبر بل يؤمر بإزالة الألم
وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلقا بل يجوز أن يكون نعمة من وجه
فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلا يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان حتى يقصد
بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير
بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون
الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الأرض وقال تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليحمي عبده الدنيا
كما يحمي أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم
سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذن نعما في حقهم
إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون
فقدها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه
وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال

اليه وحيلته وحيبته واشتغاله بالاستغراق وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غش نفسه عليه اذ لو عرفه
لبغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما
يكون وليا لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك لكان اثمه اعظم لا محالة فليس من آذى نبيا
او وليا وهو يعرفه كمن آذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى امر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم
الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد
فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق
وذلك مطرد في كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا الآلام التي خلقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون
نعمة في حق المتألم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يده بنفسه ووشمه
بشرته فانه يتألم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهي ايضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في
حقهم فان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون
قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام اهل النار اما ترى اهل
الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر
الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا
بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه
نعمة اما على جميع عباده واما على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى
فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر
جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد
قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل
فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض
فيتصور ان يكون اكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده
ويحجره فليشكر اذ لم تكن اعظم منها في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رضي الله عنه
دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك
استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت
ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا به واذ ارجو
الثواب عليه وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر الله تعالى

وضربه فقال له اشكر الله تعالى فجيء بمجوسي محبوس مبطون وقيد حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل
المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله تعالى فكان المجوسي يحتاج ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف
على رأسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال
لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق
التأمل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن
استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك احداهما
فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة
الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم
الا تخرج الى الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت
كيف افرح واري جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر
قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم
واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا
هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر
تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة
بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت
مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها
فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون
الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك
عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء
قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملاحدة
يتمنون غدا لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شيء من هذه الاسباب يوجد من
العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه

بان حكمة الله تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكر العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما
يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء
تاديب من الله تعالى وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال لا تتهم الله في شي قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السما فضحك فسيل فقال عجبت لقضا الله تعالى
للمومن ان قضى له بالسرا رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضرا رضي وكان خيرا له ۞ والوجه الثاني ان راس الخطايا
المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير
امتزاج بلا ومصيبة تورث طمانينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاوه عند الموت بسبب مفارقته
واذا كثرت عليه المصايب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها
غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن
الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمومن كل منقلع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها
والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب
الا الواحد الحق فاذن في البلايا نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة
الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دوا نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب
الفرح فكل بلا في الامور الدنيوية مثاله الدوا الذي يولم في الحال وينفع في المال بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم انه
يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلا عليه لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام
فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفر عن المقام كان ذلك نعمة عليه
والدنيا منزل لقد دخلها الناس من الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلا وكل ما يزعج قلوبهم
عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه النعم في البلايا لم يتصور منه
الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعم بالضرورة ومن لا يومن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر
على المصيبة ۞ وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس عن ابيه فقال   اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس ۞

تعزية

خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس ۞ فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته ۞ والاخبار
الواردة في الصبر على المصايب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه
قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه
يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى
انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال

من سلبت كريمتيه فجزاوه الخلود في داري والنظر الى وجهي ۞ وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي
وسقم جسمي فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه
صبره وقال عليه السلم ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها حتى يبتلى ببلا في جسمه فيبلغها بذلك
وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردا له في ظل الكعبة فشكونا اليه
فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصره لنا فجلس محمارا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليوتى بالرجل فيحفر له في
الارض حفيرة ويجا بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي كرم الله وجهه
قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال انس عليه السلم من اجلال
الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدردا رضي الله عنه تولدون للموت
وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلا صبا وثجه
عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملايكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي
وسعديك لا تسالني شيا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا
كان يوم القيامة جي باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يوتى باهل البلا
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلا صبا فيود اهل العافية
في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلا من الثواب فذلك قوله تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شكا نبي من الانبيا عليهم السلم

رواه م

الى ربه فقال يا رب العبد المومن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلا ويكون
العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلا وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد
لي والبلا لي وكل يسبح بحمدي فيكون المومن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلا فيكون كفارة
لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلا فاجزيه
بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته ۞ وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوا يجز به قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست
تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن فهذا ما تجزون به ۞ يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك ۞ وعن
عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته
فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي يعني لما

ترك اما انهم لو انفتحت عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة ٥ وعن الحسن
البصري رحمه الله ان رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت
اليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا ٥ وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى آية
في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب
في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله
اكرم من ان يعذبه يوم القيامة ٥ وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين
احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله تعالى
من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا
عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم ٥ وعن ابي الدردا
انه قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلم فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي
الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال اخذت الجادة
فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان ولم بذرت على الطريق اما علمت انه لا
بد للناس من الطريق فقال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولد
بعد ذلك ٥ ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في
ميزانك فقال يا ابه لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي اليه ابنة
له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا
ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة الآية ٥ وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي
يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه ٥
وقال بعض العلما ان الله ليبتلي العبد بالبلا بعد البلا حتى يمشي على الارض وما له ذنب ٥ وقال الفضيل ان الله عز وجل
ليتعاهد عبده المؤمن بالبلا كما يتعاهد الرجل اهله بالخير ٥ وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج على الخلق
يوم القيامة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنيا بسليمان وعلى الفقرا بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى
المرضى بايوب صلوات الله عليهم اجمعين ٥ وروي ان زكريا عليه السلم لما هرب من بني اسرائيل واختفى في
الشجرة فعرفوا ذلك فجي بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا فان انة فاوحى الله تعالى
اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلم على الصبر حتى

قطع بشطرين ٥ وقال ابن مسعود البلي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد
ان يقاتل به ربه عز وجل ٥ وقال لقمان لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلا واذا احب
الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ٥ وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي
ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة
واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلثين سنة ما علم بها احد ٥ واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلم اذا نزلت بك
بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضايحك ٥
بيان فضل النعمة على البلا ٥ لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلا خير
في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسال الله تعالى البلا فاقول لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه كان يستعيذ في دعائه من بلا الدنيا والآخرة وكان يقول هو والانبيا عليهم السلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعدا وغيره ٥ وقال علي كرم الله وجهه اللهم
اني اسالك الصبر فقال صلى الله عليه لقد سالت الله تعالى البلا فسله العافية ٥ وروى الصديق رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه انه قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين
الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن ٥ وقال الحسن رحمه الله الخير
الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر ٥ وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر
احب الي من ان ابتلى فاصبر ٥ وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج
فيه الى استشهاد وهذا لان البلا صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكثر منه اما في الدنيا
او في الدين والآخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان نسال الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه
من البلا ونساله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر
فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار ٥
وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني ٥ فهذا من هؤلا سؤال البلا ٥ فاعلم انه
حكي ان سمنون رحمه الله بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان
ادعوا لعمكم الكذاب ٥ واما محبة الانسان لكونه هو في النار دون سائر الخلق فغير محال ولكن قد تغلب المحبة
على القلب حتى يظن المحب بنفسه حب امثال ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله
سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو كلام العشاق الذين افرط
حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كان يراودها زوجها فمنعته فقال

ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي
الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال ۞ وقول الشاعر ۞ اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد ۞
هو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق
هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى
مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب
محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو لحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال الثاني
ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة
على لذته في مشاهدته مع كراهيته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا ولذلك انتهى حال بعض المحبين الى ان
صارت لذتهم في استشعارهم رضا الله تعالى عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهو لا اذا
قدروا الرضا في البلا صار البلا احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يستبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها
لا تثبت وان ثبت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى وقدت على القلب فمالت به عن الاعتدال
هذا فيه نظر وذكر حقيقته لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلا فنسال الله تعالى العفو
والعافية في الدنيا والآخرة ۞

بيان الافضل من الصبر والشكر ۞

الافضل الصبر ام الشكر

اعلم ان
الناس اختلفوا في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل وقال اخرون هما سيان وقال
آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى
للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان على سبيل
التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق
لقصور افهامهم عن درك الحقايق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود
كلامهم مخاطبة العوام واصلاحهم والظير المشفقة لا ينبغي ان تصلح الطفل بالطيور السمان وضروب
الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي
هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد
الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان كانت الاخبار وردت في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في
فضيلة الصبر كانت فضايل الصبر اكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلام من افضل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزا الشاكرين ويوتى باصبر اهل الارض فيقال له
اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت

لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزا الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض
المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة
الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد
المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن فالمشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة فكذلك قوله
الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم
بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعلم نصف الايمان فلا
يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود
لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي خبر آخر يدخل سليمان بعد الانبيا
باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل
البلا امامهم ايوب صلى الله عليه وسلم وكلما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقر
والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه
صلاح دينهم ۞ المقام الثاني هو البيان الذي نقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق
الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن
حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب
ان تفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما
في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلثة علوم واحوال واعمال
والشكر والصبر وساير المقامات هي كذلك وهذه الثلثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى
الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصاير فالامر
عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال
لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت
اذا اضيف بعضها الى بعض وكذلك احاد المعارف والافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم
المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة
على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس افضل من
العمل القاصر فنقول فايدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفايدة اصلاح القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى

وذاته وصفاته وأفعاله فإن فرع أفعال المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال
بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة
التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إنما تراد لأجلها
ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض
إما بواسطة وإما بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل وأما الأحوال
فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة
الحق فإذن فضائل الأحوال تتقدر بتأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة
وكما أن تصقيل المرآة تحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض فكذلك
أحوال القلب فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود
وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفات القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل فإما أن يجلب إليه
حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة
موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث
التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات
تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال وكذلك إنا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة
نافلة وإن الحج أفضل من الصدقة وإن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن الغني الذي معه مال وقد
غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج درهم له أفضل من قيام ليالي وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته
شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع
فأما هذا المدبر إذا لم تكن له هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه
فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء
الصداع لا ينتفع به بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا
يزيله صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزيله إلا إخراج المال فعليه أن يتصدق بما معه وتفصيل هذا
مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه فإذن باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف أن
الجواب المطلق فيه خطأ إذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل
والماء للعطشان فإن اجتمعا فينظر إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل فإن تساويا فهما
متساويان وكذلك إذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا نعم لو قيل

لنا السكنجبين أفضل أم علم الصفراء فنقول علم الصفراء لأن السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير
أفضل منه لا محالة فإذن بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا
من القلب لمعرفة الله تعالى وحبه فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فإن قلت فقد حث
الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال
ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء
يراد لعينه أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما
لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فإنه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه
المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة
عليه فيزول مرضه فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهه ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا
عيب فيه ولنضرب مثالا أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث
لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار
ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده
على ذلك بالجميل ليتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعلم فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعلم العبيد
القرآن وأنه قد استخدم ليعلمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل
منهم وأعز عند الوالد واعلم أن الوالد أراد تعلم العبيد لقدر عليه من غير تكليفي واعلم أنه لا نقصان لأبي بفقد
هؤلاء العبيد فضلا عن علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء
أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع
بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا إن الله غني عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأي
معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله تعالى إطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى
صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين
في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لا
حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا ولا في أموالنا سواء أمسكنا أو أنفقنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن
أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده

في قلبه حتى يكون ذلك سبب شقاوته في الدنيا واما كان ذلك لطفا من الوالد في استجراره الى ما فيه سعادته
فهذا المثال يبين لك بطلان اعتقاد من اعتقد هذا وضلال من ضل من هذا الطريق فاذن المسكين الاحمق لما لك يستوفي
بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج
الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان
يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة البواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات
امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال
الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات
والقلب بحسب تاثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي
ان ترجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الان الى الخصوص ما نحن بصدده من الشكر
والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في
الاخر بل تقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر
بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة
الصابر ان يرى العمى من الله تعالى وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا اذا اعتبرنا في البلاء والمصائب وقد
بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة
لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في
مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقابلة باعث
الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه
الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل
الشيء على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلثة الطاعة والمعصية والبلايا فقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما
البلا فهو عبارة عن فقد نعمة اما ان تكون ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على
قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضا الله تعالى ولا
يترخص بسببهما في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على
معصية والاخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور
الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة
العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيها ايضا من صبر على الطاعة ثم

قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله تعالى فيكون هذا الشكر افضل من الصبر
ولولا هذا لكانت رتبة شعيب ع وقد كان ضريرا من الانبيا فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره لانه صبر على فقد البصر
وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال لان
كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من
الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يوت الا قدر
الضرورة وهو محتاج الى ما وراه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقرا ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان
تصرف الى الخيرات او ان لا تستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل
لانه يتضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقرا وترك صرفه الى التنعم المباح وكان
الحاصل يرجع الى شيئين افضل من شي واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين
ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ها هنا افضل من الشكر
والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير
قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلا الله تعالى وفي هذه الحالة يستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته
واطاع شهوته ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا لان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة
التي عنها يصدر الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال
القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع
ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الآيات والاخبار انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى
افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين
بالنعم على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذن الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي تفهمه العامة افضل من
الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر
ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين في قيامهما بشروط
ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشيا تلايم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشيا تولم صفته
وتقبضها وتزعجها فاذا كانا قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته
ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه
ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه
الجنيد فاصابه ما اصابه من البلا من قتل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول

الصابر ويرجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل
واحد من القولين وجه في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من
فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير الذي لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى
الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة ليصرف اليها ثم اذا
صرفه لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان
قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر الم الصبر فان كان
متالما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي يرى ان الذي يسوقه الله عز وجل اليه فيصرفه اكمل
حالا ممن يفقده وهو بخيل به وانما ينقطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة
فالالم الفقير ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبه وذلك نضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المادب اكمل من الكلب
المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الالم والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه
في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مولما في حقه لذيذا عنده كما يصير العلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان
مولما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول
بان الفقير بتالم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذن اذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة
الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فان ذلك صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التحقيق
فتفصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة وورآها الرضا وهو مقام وورآ الصبر ومعناه الشكر
على البلاء وهو ورآ الرضا اذ الصبر مع التالم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح
به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها وندخل في جملتها امور دونها فان حيا العبد من تتابع نعم
الله تعالى عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله
وكثيف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتدا من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من
الله تعالى وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر اذ قال عليه السلام
من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب
بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال
تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اكمال القول بتفضيل احدهما على
الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والاثار وقد روي عن بعضهم انه قال
رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال اني كنت في ابتدا عمري اهوى

ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى
على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل
فنحن منذ سبعين او ثمانين سنة على تلك الحالة الليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو
صبرا على البلا ... رحمهما الله تعالى ... وانسب صبر الغريزة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا
الشكر ... على جنابن المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم

كتاب الخوف والرجا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح
رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وصرف بسياط
التخويف وزجر العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لاسبابه والتهدف
لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلاة على
محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فان الرجا والخوف جناحان
بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا يقود
الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا ثقيل الاعبا محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح
والاعضا الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات
وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما
وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل
على شطرين الشطر الاول في الرجا والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان
حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دوا الرجا والطريق الذي به يجتلب الرجا

بيان

حقيقة الرجا اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما
اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب
والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه
الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب
وغرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل
وكان الرجا اسم الحال من جملة الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في
الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا

وتذكراً فإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال يسمى وجداً وذوقاً وإدراكاً وإنما يسمى وجداً لأنها حالة
تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً فإن
كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق
القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب
لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب فإن كان
انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها
فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم
التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد
فيه أما ما يقطع به فلا إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها عند الغروب لأن ذلك
مقطوع به نعم يقال أرجو زوال المطر وأخاف انقطاعه وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة
والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر
الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها
البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقلما ينفع إيمان
مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب
الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو
يسوق الماء إليه في أوقاته ثم نقى الأرض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده وجلس
منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره
رجاء وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر
الحصاد منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها وأخذ ينتظر
مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً سمي انتظاره تمنياً لا رجاء فإذن اسم الرجاء إنما يصدق
على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو
فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر
القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة
المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى
الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات أو ترك

القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال
صلى الله عليه وسلم الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال ما أظن أن تبيد هذه أبداً
وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً فإذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب
للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تعالى تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي إذا تاب
وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية
تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيق أن يرجو
من الله تعالى التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي يفضي إلى
التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال الله تعالى إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك يستحقون أن يرجوا وما أراد به تخصيص وجود الرجاء
لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه
عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على
أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء
العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله عز وجل بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار
وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الإفراط فإذا عرفت
حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تثمر الجهد
للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه
فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعاهدها وتنقية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعاهدها أصلاً
إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء
معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعاهدها والرجاء محمود لأنه باعث واليأس
مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو
باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فإذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال
والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم
بمناجاته والتلطف في التملق له فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً

من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجا
والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل
على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيت لاسالك عن علامة الله
فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شي منه
سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو
ارادك للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير
فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور ٥

بيان

فضيلة الرجا والترغيب فيه ٥ اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله تعالى احبهم له والحب
يغلب بالرجا واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر رجا لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن
الظن رغايب لا سيما وقت الموت قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب
ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون لم خفت
الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا
وهو حسن الظن بالله وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ودخل
صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه
ما اجتمعا في قلب في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجاه وامنه مما يخاف وقال علي كرم الله وجهه لرجل اخرجه
الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا
فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السو وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول
للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس
قال فيقول الله تعالى قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيتسامح ويتجاوز عن المعسر
فلقي الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك منا فعفى عنه لحسن ظنه ورجايه انه يعفو عنه مع
افلاسه عن الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم
الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل يقول لك لم تقنط عبادي
فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلم احبني واحب من يحبني وحببني الى

خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الايي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا
يعرفون مني الا الجميل ٥ ورؤي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجا فقال اوقفني الله تعالى بين يديه
فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ٥ ورؤي يحيى بن اكثم في النوم فقيل له
ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما
هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه
عن جبريل عليه السلم انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال عز وجل صدق
جبريل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين
يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة ٥ وفي الخبر ان رجلا من بني اسرايل كان يقنط الناس ويشدد عليهم
قال فيقول الله تعالى يوم القيامة اليوم اوييسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فاتني بعبدي قال
فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله عز وجل كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي
ويلتفت الى ورايه فيقول الله عز وجل الى اي شي تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول
الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاه كان سبب نجاته ٥

بيان دوا الرجا

والسبيل الذي يحصل منه حال الرجا ويغلب ٥ اعلم ان هذا الدوا يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك
العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مايلان
عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني
على الله تعالى مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجا تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة
العسل الذي هو شفا لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا
ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل
علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوسا[طها]
فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان
لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجا بل المبالغة في التخويف ايضا تكاد ان لا تردهم الى جادة الطريق
وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب
والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثنا كيف ما كانوا مالوا الى
الارجا حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي كرم الله وجهه

إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس
أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء
جميعاً لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة
استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيف ما
كان وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والأخبار والآثار أما الاعتبار فهو
أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب
حكمته التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء
وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة
الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وإنما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الإلهية إذا لم
تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف
يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد بل إذا نظر الإنسان نظراً شافياً علم أن أكثر الخلق قد هيئ له أسباب
السعادة في الدنيا حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت مثلاً أو لا
يحشر أصلاً فليس كراهتهم للعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه إلا
في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله
تعالى لا تجد لها تبديلاً والغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف
بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تأمله حق التأمل قوي به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة
الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة
من أقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل
من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف
لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه ۝ الفن الثاني استقراء الآيات والأخبار فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر
أما الآيات فقد قال الله تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
جميعاً وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض وأخبر تعالى أن النار أعدها لأعدائه وإنما خوف بها أولياءه فقال لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين
وقال تعالى فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وقال تعالى وإن ربك لذو مغفرة

للناس على ظلمهم ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية
وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد صلى الله عليه
وأحد من أمته في النار ۝ وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله تعالى
قوله عز وجل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في
كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ۝ وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه
أنه قال أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم
القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار ۝ وفي لفظ آخر يأتي كل
رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها ۝ فقال صلى الله عليه وسلم الحمى
من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار ۝ وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه
إن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه السلام إني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا يا رب أنت خير لهم مني فقال إذاً لا أخزيك
فيهم وروي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم إلي
لئلا يطلع على مساويهم غيري فأوحى الله تعالى إليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم
إلى غيري لئلا ينظر في مساويهم أنت ولا غيرك ۝ وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم
أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتي فإن أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسناً حمدت
الله تعالى عليه وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم ۝ وقال صلى الله عليه وسلم يوماً يا كريم
العفو فقال جبريل أتدري ما تفسير يا كريم العفو هو أن عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات
بكرمه ۝ وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما
تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقال العلماء قد أتم نعمته علينا برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ۝ وفي الخبر إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله عز وجل لملائكته
انظروا إلى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له ۝
وفي الخبر لو أذنب العبد حتى يبلغ الذنوب عنان السماء غفرتها ما استغفرني ورجاني ۝ وفي الخبر
لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب الأرض مغفرة ۝ وفي الحديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد
إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة ۝ وفي لفظ آخر فإذا
كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من
حسناته واحدة من تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه هذه السيئة ۝ وروي عن أنس

حيث انه عليه السلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد
فقال عليه السلم يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي عن صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى
الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين
حسنة قبل ان يعملها فاذا عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم
تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ووراها حسن عفو الله عز وجل ٥ وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه
فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج
ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد
ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك من اثنين النظر الى ما حرم الله عز وجل وان تزدري بهما مسلما دخلت معي
الجنة على راحتي هاتين ٥ وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله
تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا
قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي الا لا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم
الاكرمين فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما
بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى اما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور ٥ وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة
وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة ٥ وفي خبر اخر يقول الله عز وجل
انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم ٥ وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
ما خلق الله تعالى شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه ٥ وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب
على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي ٥ وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من قال
لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان
وفي خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال تدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم عليه السلم قم فابعث بعث النار من
ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا
يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون
فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج
امم لا يحصيها الا الله عز وجل انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع

الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف
اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير
لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر
تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد
ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده اكثر مما يصلحه بوعظه ٥ وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق
الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي
الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب ٥ وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها ٥ وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت
قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه ٥ وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا
وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على
ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق
السموات والارض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك ٥ وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من
النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ٥ وقال عليه السلم اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه
عمله ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للخاطئين
المتلوثين ٥ وقال عليه السلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ٥ وقال عليه السلم احب ان يعلم اهل الكتابين ان في
ديننا سماحة ٥ ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا فقال تعالى ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ٥ وروى محمد بن الحنفية عن علي كرم الله وجهه انه قال لما نزل قوله تعالى
فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى اكرم
من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل فقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول
كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى ٥

واما الآثار فقد قال علي كرم الله وجهه من اذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم
ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة ٥
وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما ٥ وقال بعض السلف المؤمن اذا
عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن ابصار الملائكة كي لا تراه فتشهد عليه ٥ وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم بخطه
ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو فيقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى

اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري
اشهدكم اني قد غفرت له ٥ وقال ابراهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة فوقفت في الملتزم عند
الباب وقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم بن ادهم انت تسالني العصمة وكل
عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ٥ وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان
يطير في الملكوت ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب ٥ وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيء بالمحسن
ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى متى تحدث الناس بالرخص فقال يا مالك اني لارجو الذي من عفو الله تعالى يوم
القيامة ما تحرق له كساك هذا من الفرح ٥ وفي حديث ربعي بن خراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن
تكلم بعد الموت فقال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا
فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في
طست فحملناه ودفناه ٥ وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على
نفسه وكان الاخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على
كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي
اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت
دنياه واخرته ٥ وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلم وخلفه عابد
من عباد بني اسرائيل فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جانبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد
ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به
الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم منه نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه فاوحى الله
الى عيسى قل لهما ليستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما
الاخر فقد احبطت سيئاته بما ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه ٥ وروي
عن مسروق ان نبيا من الانبيا كان ساجدا فوطى بعض العصاة عنقه حتى الصق الحصا جبهته قال فرفع النبي
عليه السلم راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له
وقريب من هذا ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته
فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي الاية فترك الدعا عليهم وهدى الله عامة اولئك الى الاسلام ٥ وفي الاثر
ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على

صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا اكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسالني
في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا دليل على ان العبادة على الرجا
افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخائف فكم من فرق من الملوك من يخدم اتقا لعقابه ومن من يخدم ارتجا
لانعامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا
الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شي ٥ وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك بن انس في
العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو
الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه ٥ وقال يحيى بن معاذ رحمه الله في مناجاته يكاد رجائي
لك مع الذنوب يغلب رجائي مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف
واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف ٥ وقيل ان مجوسيا استضاف
ابراهيم الخليل عليه السلم فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم لم تطعمه
الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما كان عليك فمر ابراهيم يسعى خلفه
ورده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض
علي الاسلام فاسلم ٥ وراى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد
الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمناه ٥ وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام
على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي ٥ وحكي
ان ابا العباس بن سريج رحمه الله راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه
يقول اين العلما قال فجاوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السوال
كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما
دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال ٥ وقيل كان رجل شريب جمع قوما من
ندمايه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس
منصور بن عمار وهو يسال لفقير شيا ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع
الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال
الاخرى ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى فقال يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله
لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال وبم دعا
فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم

وابن الثالث قال ان يتوب الله عليك فقال تب الى الله تعالى وابن الرابع فقال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال لهذا الواحد ابشر لي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين ۞ وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلثة من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا امره قلت وايش كان هذا فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرايت تلك الليلة كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت من انت قال المخنث الذي دفنتموه اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي ۞ وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف ما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال القوم انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ۞ وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكانك يا ربنا انما تطاع سبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعم حتى لكانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام واما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا ۞ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان اقسام الخوف وبيان فضيلة الخوف وبيان ان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين ۞

بيان حقيقة الخوف

۞ اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله تعالى وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها واليه اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب خوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وانما دوام الشهود غاية

المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذلك النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتالمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسال عما يفعل تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت جلال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل ويقوى فيورث القنوط والياس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل عند من يشتهيه مكروها اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره

وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان
جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف
بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل
درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان
زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى
ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه
التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير
الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى
الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر في الجوارح
بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه
يكف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب
وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما
عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني
فاذا ذكرت انه حسيني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا
قلت صديق فقد قلت انه تقي وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معاني كثيرة متباينة
فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع
معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما
يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده
الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن
لا يدل ذلك على ان المبالغة في الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال
والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع اية من القران فيورث البكاء وتفيض
الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف
قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية لا يؤلمها الما مبرحا فلا يسوقها
الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين

برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلماء بالله تعالى وبايامه وبافعاله وذلك مما قد عز
وجوده الان ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت
واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث النفس
وحركة الخاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط
وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان
الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن
خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة
الى نقص الادمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز
وصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء
محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف
والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط
الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجا
واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود
منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى
والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وساير الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن
وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف
يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا
بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله تعالى وسلوك سبيله
فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد
وشهدا ولولا ذلك لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او ولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي
ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر
بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما
كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر في
العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم
يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر

درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

بيان

أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والمكروه إما أن يكون مكروها في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروها لأنه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لأدائها إلى المكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت ولا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه باستشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله تعالى أو خوف البطر بكثرة نعم الله تعالى عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله عز وجل أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله تعالى ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله تعالى على سريرته في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه مخطر وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لأن الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك

وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله عز وجل والأعمال بالخواتيم فهذا انقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنايته وإلى من يخاف الله تعالى بنفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرضة الغرور والأمن إن واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية بل العاصي مسخرة للمعصية ويسرت له سبيلها وتهيأت له أسبابها فإن تيسر أسباب المعصية إبعاد ولم تسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهدت له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف لصفة جلاله فإن من أطاع الله تعالى أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وأتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وأتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعة عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد إذ الكل ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز إفشاؤه ولا يظهر تفهيم الخوف منه في صفات الاستبداد لولا إذن الشرع لم يتجرأ على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يوقفك على سببه فإن الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي فإن قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك

شفقة عليك وابقاء على ودك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل الهلاك الف مثلك واهلاك
ما لا عدد له على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سلطنته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله
المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه
صادق في قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف
المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة ٥ الطبقة الثانية من الخائفين ان تتمثل في انفسهم ما هو المكروه
وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف
بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته
وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم
والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة
في انفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن
الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم
تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا
يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر
الى وجه الله تعالى الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة
التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين بالنظر الى الالوان والوجوه
الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذات العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك
وشرحه حرام مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه له غيره
فالى هذه الاقسام ترجع خوف العارفين من الخائفين ٥

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه ٥

اعلم ان الخوف تارة تعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالايات
والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوى
السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر
اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل
المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر
المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها
ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو

النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على
الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة
والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس
من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين
الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك
جاء في خبر موسى عليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة
الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى
للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم
على الله تعالى كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظرت الى المثمر فهو العلم وان نظرت الى الثمرة فهو الورع والتقوى
ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى
والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد واله اجمعين
وقد خص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ولذلك وصى الله تعالى الاولين والاخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور
ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال صلى الله عليه وسلم
في فضيلة التقوى اذا جمع الله تعالى الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع ادناهم كما يسمع
اقصاهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم
ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم
الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم
الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام لابن مسعود ان
اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي ٥ وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير ٥ وقال
الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط ٥ وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن

يعمل بسببه الا والجمعه جميعا ان خوف العقاب ورجا العفو كجناحين بين السبيلين ۝ وفي خبر موسى عليه السلام واما
الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الخائفون فاني استحييهم واجلهم ان
اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم يسم بهذه الاسامي
وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى
وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي
خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة ۝ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى خافه كل شي ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شي ۝ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا ۝ وقال
يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة ۝ وقال ذو النون من خاف الله تعالى
ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه ۝ وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجا فاذا غلب الرجا تشوش
القلب ۝ وقال ابو الحسين الضرير علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا
انقطع زمامه هلك مع الهالكين ۝ وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم ۝ وقال سهل
لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال ۝ وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير
فقال والله لان تصحب اقواما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف ۝
وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب ۝ وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات
الواردة في الامن من مكر الله تعالى وعذابه لا تحصى وكل ذلك ثنا على الخوف لان مذمة الشي ثنا على ضده الذي
ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجا الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجا فكذلك تدل
مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كلما ورد في فضل الرجا فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان
فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا
فالخوف والرجا متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما مجتمعان
ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجا والخوف
تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة
فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجا وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران متقابلان لا محالة
اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى

ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة
اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجا قال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في
القرآن الرجا بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشي بما يلازمه بل اقول كلما ورد في فضل
البكا من خشية الله تعالى فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكا ثمرة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من
خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المؤمن
من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد
بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ۝ وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله فقال امسك عليك
لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ۝ وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك
الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى ۝ وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى
الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله ۝ وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا ۝ وقال صلى الله عليه
سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه ۝ وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك ۝ وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح
وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع ۝ وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى
ينكسر صلبه ۝ وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم
القيامة فان سالت دموعه اطفا باول قطرة منها بحارا من النار ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة
وقال ابو سليمان البكا من الخوف والرجا والطرب من الشوق ۝ وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده
لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب ۝ وقال عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار ۝ وروي عن حنظلة قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا
فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت
وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه كلا لم ينافق فقلت يا رسول الله كنا
عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في
حديث الدنيا ونسينا ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في
الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ۞ فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى
والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق
المسبب ۞

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجاء او اعتدالهما ۞

افضل الرجاء ام الخوف

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول
القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل
للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما متساويان
وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما
القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف
افضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية
فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التأويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز
مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفرا ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل
فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا
فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما
يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات
الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ
الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجا وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك
ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
وروي ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك
وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس
الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون

انا ذلك الرجل ۞ وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم
والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من دخول
النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه
كما سبق في اول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من
بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهده وجمع اسباب شروط الزرع غلب على قلبه رجاء الادراك
ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون حال المتقين فاعلم ان من اخذ المعارف من الالفاظ والامثلة
يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل
بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع
وغيرها واما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه ونبت في ارض غريبة لم يعهدها الزراع وان ادى كنه مجهوده
وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسألتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب
وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق غامضة والافات هي الشهوات
وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يعرف ولا يعرف بالتجربة
اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب
الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن
عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي
في احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه
فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه بالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه هل يعرف
به من اثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه
من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن اين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء
عيبه عنه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل
اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب
فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت
فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في غالب
الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا
وطمعا وقال ويدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح

نعم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن
العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع
الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث
النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون الياس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض
الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا استقام
في محجة الادكار ٥ وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن
عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة
الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى
السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك
يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان
يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله عز وجل فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجا تقارنه المحبة فمن
ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه
والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان
القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقا والاصحاب فهذا رجل محابه كلها
في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج عن الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه
ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه
فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح الى
محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر
فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعد الله تعالى لعباده الصالحين مما
لم تره عين ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من
الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين
ولا مطمع في اجابة هذا الدعا الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع
العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم
ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الما البارد فالغرض ان غلبة الرجا عند
الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك

قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا ولما حضرت
سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما حضرت
الثوري الوفاة اشتد جزعه فجمع العلما حوله يرجونه ٥ وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا
وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان حببني
الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم آلائي ونعمائي فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله تعالى وانما تحصل
المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين
ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فساله فقال الان افلت فلما اصبح سال عن حاله فقيل انه مات البارحة ٥

بيان الدوا الذي به يستجلب حال الخوف

٥ اعلم ان ما ذكرناه في دوا الصبر
وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجا
لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة
يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والخوف والرجا يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها
الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق
الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يودي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا
الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويودي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى
كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وساير المقامات فهذا هو الترتيب في
سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة
والتجرد لله تعالى باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد
المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن فيما
ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين
احدهما اعلى من الاخر ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد
اليد الى الحية لياخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر
الصبي الى ابيه وهو ترتعد فرايصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف
الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما
خوف الابن فبمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان
السبع مخوف ولا يعرف وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف

من عذابه والثاني الخوف من ذاته اشتغالها الكون منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي
الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته فاما الاول
فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه
بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيامة
واصناف العذاب في الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة
فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله تعالى هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب منه
ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية
العلماء حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد
التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف فيه ولعلى قرب
حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيجترئ على اخذها تقليدا له كما احترز من
اخذها تقليدا لابيه والعبادات التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على
الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار ومن ادى
من اتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة ولا يحتاج الى علاج يجلب الخوف كما ان من عرف
السبع وراى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء ام ابى ولذلك
اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري
الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا
يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته
ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا
يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يسر المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يسر العاصي بدواعي المعصية حتى
يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان
ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على
اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج ادم وموسى
عند ربهما فحج ادم موسى قال موسى انت ادم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك
في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال ادم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك
الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال

فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام
الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو اتم لانه لا يصدر الا
عن كمال المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما اطلع
من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم
خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية فوض الامر الى المشيئة واخرج
نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس اليه من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا خارجا عن حد المعقولات
والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهو الذي قطع قلوب العارفين
اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا
يعذبهم بانواع العذاب والالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العذاب عليهم ابد الاباد ثم
يخبر عنه ويقول ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم الاية وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملان
جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع عند
الحيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء الخفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له
اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي
سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره
وباطنه على الله تعالى مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر
الثبات يزيد من الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس من امن وهو نادى
بالتحذير من الامن ولولا ان الله تعالى لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف
فاسباب الرجاء رحمة الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت
القلوب ومن خوف تقطع القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم
اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام
على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني ما ادري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة الى باب الدار ٥ وكان ابو الدردا
يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه ٥ وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند
كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى وقلوبهم وجلة ٥ ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له

يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله تعالى بأمثال
الجبال من الخطايا ٥ وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإن رأيتني مت
على التوحيد فخذ جميع ما أملكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وإن مت
على غير التوحيد فأعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد
الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه ٥
وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر ٥ وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت
إلى المسجد كأن في وسطي زنارا أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار
فهذا لي في كل يوم خمس مرات ٥ وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر
الأنبياء نخاف الكفر ٥ وروي في أخبار الأنبياء أن نبيا شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان
لباسه الصوف فأوحى الله عز وجل إليه عبدي أما رضيت أن عصمتك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب
فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر ٥ فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ
أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل
البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال
الحسن لو أني أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد الإيمان
بل المراد ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من
كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق
حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر ٥ وفي لفظ آخر وإذا عاهد غدر
وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر
والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور
مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا
حتى قال حذيفة إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا إني لأسمعها من
أحدكم في اليوم عشر مرات ٥ وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في
أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ٥ وقال بعضهم علامة النفاق
أن يكره من الناس ما يأتي مثله وأن يحب على شيء من الجور وأن يبغض على شيء من الحق ٥ وقيل من النفاق إذا مدح بشيء ليس
فيه أعجبه ٥ وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون وإذا خرجنا تكلمنا

أربع

النفاق

فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وروي أنه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال
أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأشد من ذلك ما روي أن نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم
سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول إنه يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا
يكون للنفاق فيه مغرز إبرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة ٥ فقد عرفت
بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى
يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق ٥ وقال بعضهم
لبعض العارفين إني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة
والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع
فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة
أو النار ٥

بيان معنى سوء الخاتمة

٥ فإن قلت إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم
إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين إحداهما أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة
أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة الجحود أو
الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد
والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه
حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى
الدنيا وصارفا وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ
نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فيقول له النار
جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما
عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب
إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا
ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد
ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال
أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه

سوء الخاتمة

من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي ان يسرع النار اليه عقيب موته فما بالها يؤخر الى القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سوال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملا الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله تعالى برحمته ولا تظن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجمع الاجزا المتفرقة ويعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سو الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاوها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برايه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطا ومبادي سكراته منه وقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطا في هذا الاعتقاد خاصة لاجل رجوعه فيه الى رايه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله تعالى ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسو وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهولا هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك اشتغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل

١٧٠

الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يومنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جا من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كوودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدا النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير موكدة للعقائد الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله تعالى وصفاته بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نباه بعد حين ويتمثل في شانه عند كشف الغطا

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سو ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرميه موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه موج الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة ولقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آ[illegible]كر الله تعالى

مغترّ بجهله القاصر وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقولات الى نور المشاهدة
الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم من هذا الخطر البله من العوام
او الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة
واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب
الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر
في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو
ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا
فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله تعالى ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا
وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره بانكار
ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله تعالى فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما
ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف
بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا
والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان
الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله تعالى اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو
ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة
المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره فاذن من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار بباله على الله تعالى وظهور بغض فعل الله تعالى
بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله تعالى
قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب
فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه
فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما الخاتمة
الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان
والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة
الالف وا[illegible]ـع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات

كان اكثر ما يحضره ذكر الله تعالى وذكر الطاعات وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت
فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى
والذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا
عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا
الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال
التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة
الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا
يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة
والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة
النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب اخر من الاسباب والموت يشبه النوم ولكنه فوقه
ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى
القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات
ايضا مرجح ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة
فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان
باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد
المنامات لها اسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف البعض كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه
اما بالمشابهة او بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر
جميلا اخر واما بالمضادة فبان ينظر الى الجميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان
ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدرى وجه
مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا
يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك انتقالات
الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فمن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى
المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب
فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة
لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بعضهم انه كان

يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفكر له
قبل الموت ۞ قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تلالا نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع
مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة
فيرى احوال نفسه فياخذه من الحيا والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب
من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزا النبوة فاذا
رجع سو الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسو
الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثير فلهذا عظم خوف
العارفين من سو الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات
عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يوثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل
بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ
ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله
ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم الكركاني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا
فقلت لم ذلك قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة والانكار لما اقوله لما جرى
ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب على قلبه في اليقظة فهذا
هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار علم الخاتمة وامرها وما ورا ذلك فهو داخل في علم
المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سو الخاتمة بان ترى الاشيا كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع
العمر في طاعة الله تعالى من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف
ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاوك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبيا
والاوليا والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان
اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم من النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب
امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني
اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملايكة بروح المومن وقد مات على الخير
والاسلام تعجبت الملايكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا ۞ وكان الثوري يوما يبكي فقيل له
علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت
عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المومن اشد اضطرابا

من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سو يخطر فقط وهو
الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة
فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر
خطور البرق الخاطف ۞ وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثماية نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في
الدنيا قالوا سو الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاة مكروها اما
الموت فجاة فلانه ربما يتفق عنده غلبة خاطر سو واستيلاوه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة
او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج
حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا
حبا لله تعالى وطلبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله تعالى به اذ قال عز وجل ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض
المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال
سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذه
حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سو الخاتمة وما
هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن
فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك
يوثر ايضا في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جات الخاتمة فان
كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل
تلك اللحظة خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيها روحك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على
طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله تعالى على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة
اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا
يغلب في النوم الا ما كان غالبا عليه قبل النوم ولا يبعث عن نومك الا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث
شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه
فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث
حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وامن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا
لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك وان تغفل عن الله [illegible] عين فانك

اذا فاتك ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا اشتغلت الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر الضرورة والضرورة من مطعم وملبس ومسكن والاثاث وما سوى ذلك فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول المضطر كارها له ولا يكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام الى البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تشتغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما خرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة باكلة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذايذ من الاطعمة بل تقنع بما اتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذايذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وامكنك ان لا تاكل الا من حلال فان الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فمهما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك تضييع زمانك ويلزمك الشغل الدايم والعنا القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما يحصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السما سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحايط سوى كونه حايلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعيد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات امورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله تعالى وقدرت على الزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله تعالى في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التزود والتدبر والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دافعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفك فجاة في غير وقت اختيارك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدتك اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال الخايفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تحقق ان عقل الانبيا والاوليا وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتامل مع كلال بصيرتك

وعمش عين قلبك في احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم مغشيا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يوثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ٥

بيان احوال الانبيا والملايكة عليهم السلام في الخوف

٥ روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهوا وهبت ريح عاصف يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى ٥ وقرا صلى الله عليه وسلم سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل في الابطح فصعق ٥ وروي انه عليه السلام كان اذا دخل في الصلاة سمع لصدره ازيز كازيز المرجل ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار ٥ وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكاييل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري ٥ وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افيدة الملايكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت ٥ وعن انس انه عليه السلام سال جبريل ما لي لا ارى ميكاييل يضحك فقال جبريل عليه السلام ما ضحك ميكاييل منذ خلقت النار ٥ ويقال ان لله تعالى ملايكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم ٥ وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامرني بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد ٥ وقال ابو الدردا كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وسلامه اذا قام في الصلاة من ميل ميل خوفا من ربه ٥ وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكته قال وكان يوتى بالقدح ثلثاه ما فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ٥ ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه ما رفع راسه [illegible] الله تعالى

وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي
سبحانك الهي اتت اطبا عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبوسا للقانطين من رحمتك ، وقال الفضيل بلغني ان
داود عليه السلم ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال
ارجعوا الا اريدكم انما اريد كل بكا على خطيئته فلا تستقبلني الا بالبكا ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود
الخطا ، وكان يعاتب في كثرة البكا فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكا قبل تحريق العظام واشتعال الحشا
وقبل ان يؤمر بي ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ، وقال عبد العزيز بن عمير لما
اصاب داود الخطية نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفا اصوات الصديقين ، وروي انه عليه السلم لما طال
بكاوه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم بكاي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت
ذنبك وذكرت بكاك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الما الجاري عن جريه
وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك
فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ادم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت
فيه من روحي واسجدت له ملايكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته
حوا امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك
وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك ، وقال يحيى ابن ابي كثير بلغنا ان
داود عليه السلم كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النسا
فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له الى البرية منبر فيامر سليمان ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الرياض والاكام
والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود على نفسه فلياتي قال فتاتي الوحوش
من البراري والاكام وتاتي السباع من الرياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى
من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود حتى يرقا على المنبر ويحيط به بنو اسرايل وكل صنف على
حدته محيطون به وسليمان عليه السلم قايم على راسه فياخذ في الثنا على ربه فيضجون بالبكا والصراخ ثم ياخذ في ذكر
الجنة والنار فتموت الهوام وطايفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على
نفسه فيموت من كل نوع طايفة فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق
وماتت طوايف من بني اسرايل ومن الوحوش والهوام فياخذ في الدعا فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني
اسرايل يا داود عجلت بطلب الجزا على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير
فحمله عليه [illegible]ديا فنادى الا من كان له مع داود حميم او قريب فلياتي بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه

قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله
ثم اذا افاق داود قام فوضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على
داود ولا يزال يناجي فياتي سليمان ويقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو
بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شا الله ثم يخرج الى بني اسرايل فيكون بينهم ، وقال يزيد الرقاشي
خرج داود ذات يوم الى الناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلثون الفا وما رجع الا في عشرة الف
قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق
اعضاوه ومفاصله فيموت ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليه السلم بيت المقدس وهو ابن
ثمان سنين فنظر الى العباد قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها
السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا
نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح
فيه ليلا حتى اتت عليه خمسة عشر سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على
بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الما وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب
حتى اعلم اين مكاني منك فسال ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الما ففعل وكفر عن
يمينه فلج بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكا حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلم
لبكايه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى اخرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي
ان اتخذ لك شيا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكا
فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت عليه امه فعصرتهما فاذا رات دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي
وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي فقال يحيى يا ابه ان
جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكا قال زكريا عليه السلم فابك يا بني ، وقال عيسى
عليه السلم معاشر الحواريين خشية الله تعالى تورث الفردوس وان الصبر على المشقة وتباعدا من الدنيا وحق اقول لكم
ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل ، وقيل كان الخليل عليه السلم اذا ذكر
خطيته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقريك السلم ويقول لك هل
رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيتي نسيت خلتي ، فهذه احوال الانبيا عليهم السلم فدونك
والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله تعالى وبصفاته ، **باب في احوال الصحابة**
والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف ، روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لـ [illegible] يا طاير

ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت
عائشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع
الآية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم
اكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني امي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان من
الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان
غير ما ترون وقرأ عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت فخر مغشيا عليه
ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره
واستند الى الحائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي
كرم الله وجهه وقد سلم عن صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت اصحاب رسول الله صلى الله عليه
فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما
يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ماذوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم
الدموع حتى تبل ثيابهم والله لكأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال
عمران بن الحصين لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني
اهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك
عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كأن النار
قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القارئ يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فبكى عبد
الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق فقال وعزتك لا عصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور
ابن مخرمة لا يقوى ان يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف او الآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما
حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين
ولست من المتقين اعد علي القول ايها القارئ فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك بن دينار
بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها
وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت
ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه وروي ان الفضيل رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو
يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغيب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان

غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية
يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومر
الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا
قال فهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان
حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وانا غير آمن اذ
عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله تعالى هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا
من خشية الله تعالى وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان آمرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي
كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقي آدم
عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم
فان بلعام كان يحسن اسم الله تعالى الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر منزلة عند
الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لأنظر الى انفي
كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى
ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت البارحة
على الله تعالى سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك
احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي وانا على
بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي وجلالي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا
عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار
فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم
جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا آوى الى فراشه قال
يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله تعالى قد احسن اليك هداك الى الاسلام فقال اجل ولكن الله تعالى قد بين لنا انا
واردو النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل
بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد
وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله تعالى الجنة ابدا انما كان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي
شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه
رفع رأسه يوما فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا

آدم فقيل حججت فيها وعصى آدم ربه فغوى فقال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله
قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال صلى الله عليه فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو
من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا وآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين
ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب
السبع والسبع قد يغفل لاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق وذلك الاتفاق
أسباب مرتبة بقدر معلوم لكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت
معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلى
وتركه وإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله عز وجل الخوف من السبع
بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله عز وجل لأن المهلك بواسطة السبع هو الله
فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد
أهلا يسوقه المقدر عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له فخلق للجنة وخلق لها أهلا سخروا للأسباب بها
شاءوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا للأسباب بها شاءوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج
القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع
إلى يفاع الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين وأقوالهم
وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمادى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء
والأولياء والعلماء ٥ وأما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الأغبياء أما رسولنا صلى الله عليه فهو سيد
الأولين والآخرين وكان أشد خوفا حتى روي أنه كان يصلي على طفل وأنه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب
القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية أنه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب
وقال ما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله وما أدري ما يصنع بي إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا
لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي أنه قال ذلك على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين
لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أزكي أحدا بعد عثمان ٥ وقال محمد بن
خولة الحنفية والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدني قال فثارت الشيعة
عليه فأخذ يذكر من فضائل علي كرم الله وجهه ومناقبه وروي في حديث آخر أن رجلا من أهل الصفة
استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي

حاجتهم ريح أو يروا أثر الطعام قال هذا من أجل بيتهم رهبان عطاء الخراساني قال عطاء جامع عشية الظلم
وقيل أكلهم وشرابهم يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم من رؤوسهم
ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشر البطيخ وكأنهم
خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله تعالى المطيعين وكيف أهان العاصين فبيناهم يمشون إذ مر منهم بمكان
فخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق
وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله تعالى في ذلك المكان ٥ وقال صالح المري قرأت على رجل من
المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح
فإني أجد غما فقرأت كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فخر ميتا ٥ وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة
فلما قرأ فإذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ٥ ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال
يا أمير المؤمنين اعلم أنك أول خليفة تموت فبكى ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى
وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه ٥ وقال ميمون بن مهران لما نزلت
هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه ٥
ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود
وسقط مكانه ٥ وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء
وجس عرقه ثم قال ما علمت أن في الحنيفية مثله ٥ وقال أحمد بن حنبل رحمه الله سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من
الخوف ففتح لي فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما أطيق فسكن قلبي ٥ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فإن لم تبكوا
فتباكوا والذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ولصلى حتى ينكسر صلبه ٥ وكأنه أشار إلى معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ٥ وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب
الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان
حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج
قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ٥ ورؤي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له إلى أين فقال لا أدري وكان يمشي والها من
الخوف ٥ وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب
فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة ٥ وحكي أن قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك
الله قال قرحة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل ٥ وكان الخواص يبكي
ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فأعتقني ٥ وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك فقال

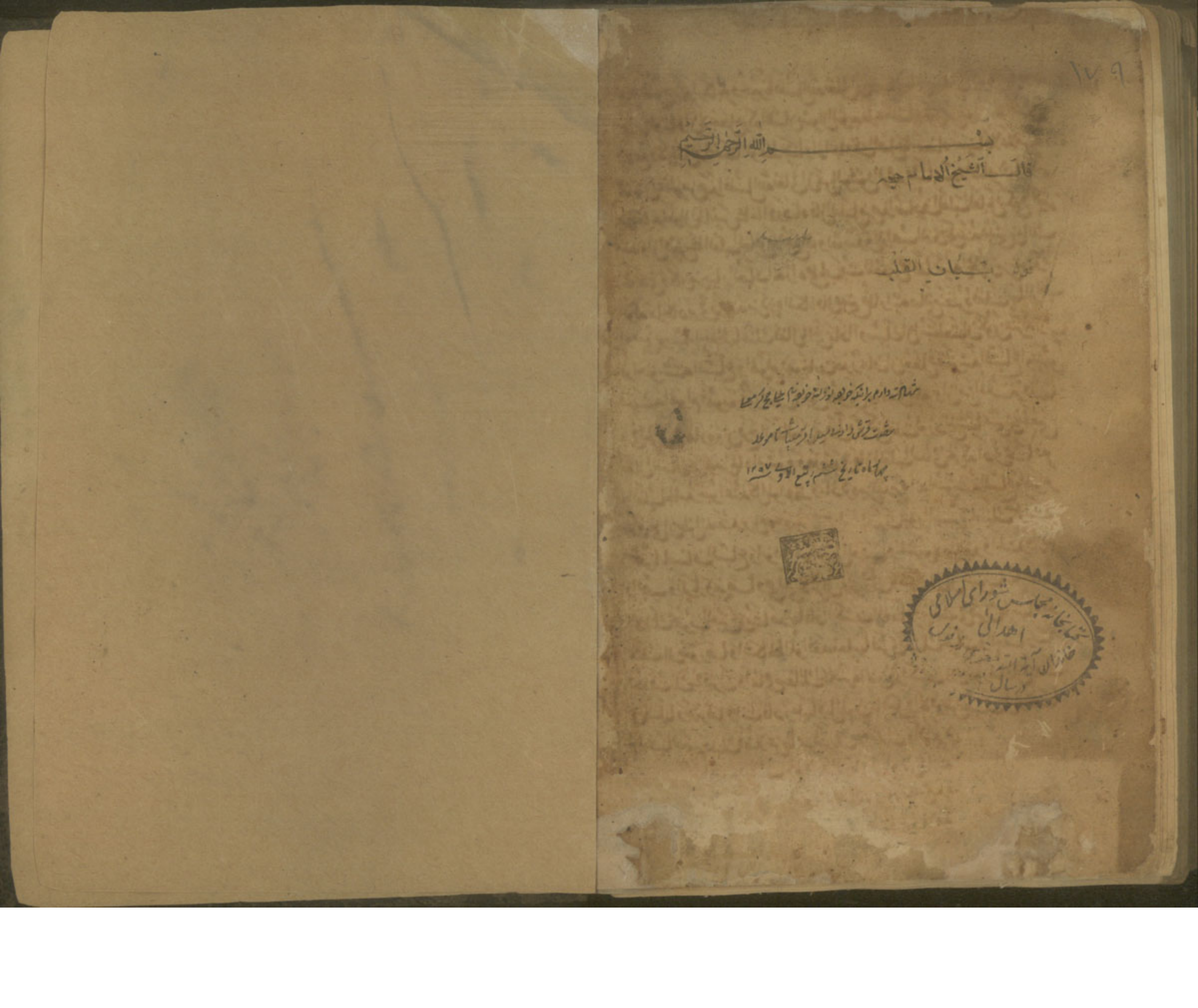
حديث اخر انه دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيا لك الجنة فقال صلى الله عليه
من هذه المتالية على الله عز وجل فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا
يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وهو لا يخاف المومنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم قال شيبتني هود واخواتها سورة
الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى الا
بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه عليه السلام بانه لو شاء الله ما
اشركوا اذ لو شاء لاتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف القلم بما هو كاين وتمت
الشقاوة حتى نزلت الواقعة خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا ورافعة قوما كانوا مخفوضين في
الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيمة وانكشاف الخاتمة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت
علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا والقران من اوله الى اخره مخاوف لمن قراه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد
عن احادها واشد منه قوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله ليسال الصادقين
عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله افامنوا مكر الله الاية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
الاية وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الايتين وقوله وان منكم الا واردها الاية وقوله تعالى اعملوا
ما شئتم وقوله من كان يريد حرث الاخرة وقوله فمن يعمل مثقال ذرة الايتين وقوله وقدمنا الى ما عملوا من
عمل الاية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم
لانهم لم يامنوا مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي وجبريل عليهما السلام
بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيا وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان
الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا
ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم عليه السلام لما وضع
في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهوا حتى قال الك
حاجة قال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله وابراهيم الذي وفى بموجب
قوله وبمثل هذا اخبر عن موسى حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال لا تخافا انني معكما اسمع
وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة هذه العصابة لم يبق على وجه الارض

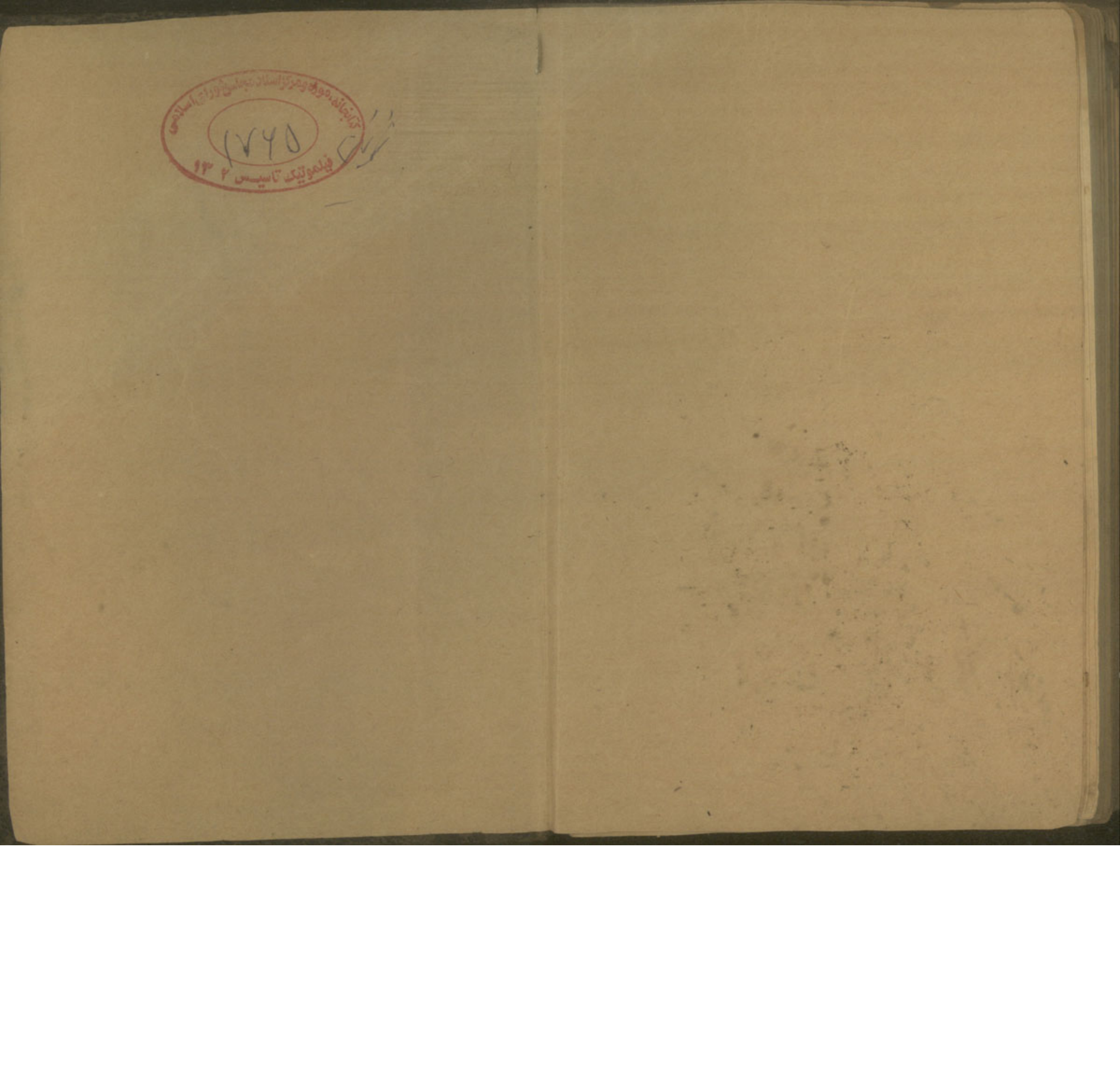
اريني شيئا من عجايب عبادك فذهب به الى رجل في بعض الاحيا في حجر له فاستاذنا عليه فاذا رجل ١٧٧
يعمل خوصا فقرات اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق
الرجل شهقة خر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى اخر فدخلنا عليه فقرات
هذه الاية فشهق شهقة خر مغشيا عليه واستاذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا
فقلت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى
يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرنا على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتينا
بي السابع فاستاذنا فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ جالس في مصلاه فسلمنا
عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي
مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت له ضعيف اه اه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته
اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلثة قد افاقوا وثلثة
قد لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فانه مكث ثلثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يودي فرضا فلما كان
بعد ثلث عقل ۞ وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك ابدا ولا ينام
مضطجعا ولا ياكل سمينا ابدا فما روي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكلا سمينا حتى مات رحمه الله ۞
وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال
قد نصبت والزبانية قد اعدت ۞ وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف
حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت
السفينة فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي اشد
من حالهم ۞ ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت
فيه ركعتين وغلبتها عيناها فاستثقلت في منامها فقالت يا امير المومنين اني رايت والله عجبا قال
وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء
بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فمضى يسيرا فانكفا به الصراط فهوى الى جهنم فقال هيه فقالت ثم جيء
بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جيء بسليمن
بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك والله
يا امير المومنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه
[illegible] اني رايتك والله حتى نجوت اني رايتك قال وهي تنادي وهو يصيح [illegible] وكلي

ان اويس القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا
فيتبعه الناس فيقولون مجنون ٥ وقال معاذ بن جبل ان المومن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراه
وكان طاووس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل
القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين ٥ وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج من
النار رجل بعد الف عام فيا ليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف الخلود وسوء الخاتمة ٥ وروي
انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه
يعاين الاخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال
ما يومنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير
معتمل ٥ وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد
وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب
الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم فقدته في المجلس الاخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت
انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع
قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما
صنع الله بك فقال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة ٥ فهذه مخاوف
الانبياء والاولياء والعلماء ونحن احدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب
وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا
شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب
تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتداركنا
بفضله وجوده فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب
انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا
طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان
الله تعالى لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم
قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاونا وبه اغترارنا ينادينا ويقول
وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك
لا ينبهنا [illegible] عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هايلة ان لم يتفضل الله [illegible]

بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا بل نساله ان يشوق الى توبة
سراير قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسوال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل
ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة
للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ٥ ولنقتصر
من حكايات احوال الخائفين على ما اوردناه فان القليل من هذا اذا صادف القلب القابل فيكفي والكثير
منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ٥ ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك
الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة
الوله ما يكاد يرقى دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب
اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل
قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو
فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان امن المغترون
وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني
فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي تحركه ادنى مخافة
والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام
فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته
مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر
والعجب والريا وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة
الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد
تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك الحيات والعقارب قد
احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الان قد انكشفت لك صورها فان اردت
ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها
ونهشها الصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام ٥

آخر كتاب الخوف والرجاء ويتلوه ان شا الله
كتاب الفقر والزهد من المنجيات والحمد لله حق حمده
وصلواته على سيدنا محمد النبي واله وصحبه وسلامه


١٧٩
بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام
بيان القلب
کتابخانه مجلس شورای اسلامی
اهدائی


کتابخانه، موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
۱۷۶۵
فیلموتیک تاسیس ۲ ۹۳

